

موقف بلاد الشام من الخلافة العباسية في العصر العباسي الأول

إعداد

خلدون نواف الشوحة

إشراف

د. نعمان جبران

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

ملخص الدراسة

موقف بلاد الشام من الخلافة العباسية

في العصر العباسي الأول

إعداد

خلدون نواف أحمد الشوكة

إشراف

د. نعمان جبران

جاءت هذه الدراسة في ستة فصول، سُبقت بعرض لأهم مصادر الدراسة، وقد تحدثت في الفصل الأول عن سقوط الدولة الأموية مبيناً أوضاع بلاد الشام في أواخر العصر الأموي وبالتحديد بعد تولي مروان بن محمد الخلافة سنة ١٢٧هـ/ ٧٤٤م، ثم تكلمت عن المواجهة العباسية الأموية في معركة الزاب (١٣٢هـ/ ٧٤٩م)، والتي كانت نتيجتها في صالح العباسيين الذين أسقطوا الدولة الأموية وقتلوا آخر خليفة أموي بالشام، وأنهيت الفصل بدراسة لأسباب سقوط الدولة الأموية.

وتناولت في الفصل سقوط بلاد الشام بيد العباسيين " أو دخول العباسيين بلاد الشام"، فعرضت لموقف المدن الشامية من القوات العباسية التي زحفت الى الشام بعد الإنتصار العباسي، وسيطرت عليه رغم المقاومة من بعض المدن، وبيّنت في الفصل الأحداث التي رافقت الدخول العباسي وما نتج عن ذلك من أثر على بلاد الشام وأهلها، وخاصة حوادث القتل التي تعرضوا لها في فلسطين والعراق، منهيّاً الفصل بتحليل لهذه الحوادث.

وبحثت في الفصل الثالث الوضع السياسي في بلاد الشام، والذي ركزت فيه على الموقف الشامي من العباسيين طوال العصر العباسي الأول، والمتمثل بحركات المعارضة التي قامت ضد العباسيين في كافة أنحاء الشام، على مر العصر كله، فذكرت تفاصيل عن أهم هذه الحركات، وأوجزت للحركات التي لم يكن مداها وتأثيرها كبيراً على الأوضاع في بلاد الشام. وبيّنت أيضاً موقف أهل الشام ودورهم في الصراعات التي حدثت في العصر العباسي الأول، وإضافة لذلك عرضت لبعض صراعات العصبية بين القبائل في بلاد الشام، وموقف العباسيين من هذه الصراعات.

وجاء الفصل الرابع من الوضع الاجتماعي في بلاد الشام، حيث ذكرت فئات المجتمع الشامي وعناصر السكان فيه، مع توضيح للعلاقات التي ربطت بينهم وبين العباسيين، كما تحدثت عن أوضاع أهل الذمة والقبائل في بلاد الشام، وأنهيت الفصل بإعطاء جانب من أوضاع العلماء والشعراء في العصر العباسي الأول، مع عرض لأبرز علماء وشعراء الشام في هذا العصر، واتصالهم بالدولة العباسية ودورهم في تصوير الحياة الاجتماعية.

وأما الفصل الخامس فقد تحدثت فيه عن الوضع الاقتصادي في بلاد الشام، فذكرت بعضاً من مصادرات العباسيين لأموال أهل الشام من الأموال والضياع، وخاصة الأمويين منهم، وانتقال هذه الأملاك لقادة وأمرأء بني العباس، وتناولت أيضاً وضع الخراج والجباية في بلاد الشام وأحواله في العصر العباسي الأول، وما تضمن من مشاركة أهل الشام في إدارة النظام المالي في الدولة العباسية عامة وفي الشام بشكل خاص، وتضمن آخر الفصل حديثاً عن الأوضاع الاقتصادية في بلاد الشام في العصر العباسي الأول، مع توضيح لأثر الحركات التي قامت في الشام على تلك الأوضاع.

وخصصت الفصل الأخير للحديث عن الوضع الإداري في بلاد الشام، فعرضت لأجناد الشام في العصر العباسي، والتغييرات الإدارية التي طرأت عليها، كما تحدثت عن أثر انتقال مركز الحكم من الشام إلى العراق على أوضاع الشام، وتناول الفصل أيضاً ولاية الشام في العصر العباسي الأول، وأنهيت الفصل بإيراد نبذة مختصرة عن مشاركة أهل الشام في النظام الإداري العباسي وفي إدارة بلادهم، وعن وضع الدواوين في هذا العصر، وخاصة في بلاد الشام.

ABSTRACT

THE ATTITUDE OF BILAD AL-SHAM TOWARDS THE ABBASID CALIPHATE DURING THE FIRST ABBASID PERIOD

by

Khuldoun N. A. Al-Shoha

M.A. History, Yarmouk University, 1992

Supervisor

Nu'man Jubran

This study comes in six sections, preceded by a presentation of the most important sources of the research. In the first section I talked about the fall of the Umayyad state, showing the conditions prevailed in Bilad al-Sham during the years of the Umayyad regime, particularly after the crowning of Marwan Ben Mohammad on 127H/744A.D. The researcher also, discussed al-zab confrontation" 132H/749 A.D" between the Umayyad and Abbasid, who conquered the Umayyad and killed their last Khalifa in al-Sham. I concluded the section with a review of the causes of the Umayyad state fall.

The researcher, in the second section, discussed the fall of the Umayyad state at the hands of the Abbasid or" the Abbasid entry to Bilad al-Sham". I talked about al-Sham towns attitude towards the Abbasid forces, which moved into the country and controlled it, despite the resistance made by some of the towns. I showed in this section those events that accompanied the abbasid entry and their impact on al-Sham and its people, specifically the killing events in Palestine and Iraq, concluding with an analysis of the events.

Discussion of the political situation in al-Sham is contained in the third section. Where I focused on al-Shami stand towards the Abbasid during the first Abbasid period, including the opposition movements emerged against them throughout Bilad al-Sham. I provided detailed analysis of the important movements and a brief discussion of those movements which had less effects on the situation in bilad al-Sham. I threw light on the attitude of the people of Bilad al-Sham and their role in the conflicts occurred during the first Abbasid period. Moreover, I talked about some of the tribal conflicts in the country and the Abbasid position towards them.

The fourth section dealt with the social conditions in Bilad al-sham, describing the community classes and the elements of the population, as well as the relationship between them and the Abbasid. The researcher also talked about "Ahl al-Dhema", scholars and poets of the first Abbasid period, with a presentation of prominent scholars and poets in Bilad al-Sham during this period, and their links with the Abbasid as well as their role in the social life.

I talked in the fifth section about the economic situation in Bilad al-Sham, stating some of the Abbasid confiscations made to the monies and properties of the people of Bilad al-Sham, specially those of the umayyads, and the transfer of these properties to their leaders and rulers. In this section I discussed the status of al Kharaj and Jibayah "Tax collection" in the country during the first Abbasid period. Towards the end of the section, the researcher talked about the economic situation in al-Sham, detailing the effects of the movement emerged in the country on that situation.

The last section was reserved to talk about the administrative situation in Bilad al-sham. I discussed al-Sham administrative units "Ajnad" during the Abbasid period, and the administrative changes made to them. I also, talked about the impact of moving the ruling center from al-Sham to Iraq on the situation in Bilad al-Sham. The section covered the Abbasid administration of Bilad al-Sham, and the prominent rulers in al-Sham during the first Abbasid period. I concluded the section with a brief statement about the country's people participation in the Abbasid administrative system as well as in the administration of their own country. Discussion was also made to the Courts "Dawaween", with special emphasis placed on those existed in Bilad al-Sham.

المحتويات

شكر وتقدير	
المقدمة	
الفصل الأول: سقوط الدولة الأموية	 ١
أ- لحظة عن الدعوة العباسية	 ٣
ب- حركات الأجناد ضد مروان بن محمد	 ١٧
(١) تمهيد	 ١٧
(٢) الجزيرة	 ١٨
- حركة سليمان بن هشام	 ١٨
- حركات الخوارج	 ١٩
(٣) حمص وتدمر	 ٢٢
(٤) فلسطين والأردن	 ٢٤
(٥) دمشق	 ٢٦
- الغوطة	 ٢٦
- دير أيوب	 ٢٦
ج- معركة الزاب والمواجهة العباسية الأموية	 ٢٩
د- موقف الشام من مروان بن محمد بعد الزاب ومقتله	 ٣٣
(١) موقف الشام	 ٣٣
(٢) مقتل الخليفة مروان	 ٣٦
هـ- دراسة لأسباب سقوط الدولة الأموية	 ٣٨
الفصل الثاني: دخول العباسيين بلاد الشام	 ٤٩
أ- موقف الشام من دخول العباسيين	 ٤٩
ب- حصار العباسيين لدمشق	 ٥٣
ج- معاملة العباسيين لأهل الشام	 ٥٨
(١) القتل	 ٥٩
- حادثة نهر أبي فطرس	 ٦١
- حادثة قلنسوة	 ٦٣
- حادثة الحيرة	 ٦٧

٧١.....	(٢) النهب والتدمير
٧٦.....	د- تحليل للحوادث التي رافقت الدخول العباسي إلى بلاد الشام
٨٤.....	الفصل الثالث: الوضع السياسي في بلاد الشام في العصر العباسي الأول
٨٤.....	- تقديم
٨٦.....	أ- حركات المعارضة الشامية ضد العباسيين
٨٦.....	(١) الحركات الأموية
٨٦.....	أ- حركات السفيناني
٨٦.....	١- فكرة السفيناني
٨٨.....	٢- حركة أبي محمد السفيناني
٨٩.....	٣- حركة العباس بن محمد
٩٠.....	٤- حركة أبي العميطر
٩٣.....	٥- حركة المبرقع اليماني
٩٤.....	ب- حركات الأمويين ومؤيديهم
٩٤.....	١- حركة أبان بن معاوية
٩٥.....	٢- حركتا عثمان بن سراقه الأزدي
٩٦.....	٣- حركة سعيد بن خالد العثماني
٩٨.....	(٢) حركات المعارضة القبلية
٩٨.....	أ- حركة حبيب بن مرة المري
٩٩.....	ب- حركة إسحاق بن مسلم العقيلي
١٠١.....	ج- حركة منصور العامري
١٠٢.....	د- حركة نصر بن شبيب العقيلي
١٠٥.....	هـ- حركة ابن بيهس
١٠٦.....	(٣) حركات المدن الشامية
١٠٦.....	أ- حركة فلسطين في عهد المهدي
١٠٧.....	ب- حركة حمص في عهد الرشيد
١٠٧.....	ج- حركة حمص في عهد الأمين
١٠٨.....	د- حركة دمشق في عهد الأمين
١٠٩.....	هـ- حركة دمشق في عهد المأمون
١٠٩.....	و- حركة دمشق في عهد الواثق
١١٠.....	(٤) حركات الخوارج
١١٠.....	أ- حركة بريكة الشيباني

- ب- حركة عبد السلام اليشكري ١١١
- ج- حركة الوليد بن طريف ١١٢
- (٥) حركات النصاري ١١٦
- أ- حركة الياس بالبقاع ١١٦
- ب- حركة بندار بالمنيطرة ١١٦
- ج- حركة النصاري في عهد المهدي ١١٧
- د- حركة النصاري في عهد الرشيد ١١٨
- هـ- حركة نصاري حلب وقنسرين ١١٨
- (٦) حركات أخرى ١١٩
- أ- حركة بسام بن إبراهيم ١١٩
- ب- حركة أحد اهل فلسطين ١١٩
- ج- حركة عبد الرحمن بن أبي سمرة ١٢٠
- د- حركة أبي النداء ١٢٠
- ب- موقف العباسيين من العصبية في الشام ١٢١
- ج- موقف الشام من الصراعات العباسية ١٢٥
- ١- حركة عبدالله بن علي ١٢٥
- ٢- حركة محمد بن عبدالله بن حسن ١٢٨
- ٣- الصراع بين الأمين والمأمون ١٣٠
- ٤- الصراع بين المعتصم وابن المأمون ١٣٢

الفصل الرابع: الوضع الاجتماعي في بلاد الشام في العصر العباسي الأول ١٣٦

- أ- المجتمع الشامي في العصر العباسي ١٣٦
- (١) فئات المجتمع الشامي ١٣٦
- (٢) عناصر سكان الشام ١٣٩
- العرب ١٣٩
- الفرس ١٤١
- الأتراك ١٤٢
- ب- العلاقات بين العباسيين وأهل الشام ١٤٣
- (١) المجتمع الشامي ومعارضة العباسيين ١٤٣
- (٢) معاملة العباسيين لأهل الشام ١٤٦
- ج- وضع أهل الذمة في الشام ١٤٩

د- وضع القبائل في بلاد الشام	١٥٢
هـ- علماء الشام وعلاقتهم بالعباسيين	١٥٦
١- أشهر علماء الشام في العصر العباسي الأول	١٥٦
٢- الشام وقضية خلق القرآن	١٦١
و- الشعر والوضع الاجتماعي	١٦٣
(١) تأثير الشعر في الأوضاع الشامية	١٦٣
(٢) أبرز شعراء الشام في العصر العباسي الأول	١٦٨

الفصل الخامس: الوضع الاقتصادي في بلاد الشام في العصر العباسي الأول

أ- انتقال أملاك الشام للعباسيين	١٧٦
(١) الأموال	١٧٦
(٢) الضياع	١٧٨
ب- الخراج والجباية في بلاد الشام في العصر العباسي الأول	١٨١
ج- أثر الحركات في الشام على الوضع الاقتصادي	١٨٧
(١) الأموال	١٨٨
(٢) الزراعة	١٨٩
(٣) الصناعة	١٩١
(٤) التجارة	١٩٢
د- الوضع الاقتصادي في بلاد الشام في العصر العباسي الأول	١٩٤
(١) تمهيد	١٩٤
(٢) الزراعة	١٩٦
(٣) الصناعة	٢٠٠
(٤) التجارة	٢٠٢

الفصل السادس: الوضع الإداري في بلاد الشام في العصر العباسي الأول

أ- الأجناد الشامية والتغييرات الإدارية	٢٠٧
(١) التغييرات الإدارية	٢٠٧
(٢) كور ومدن الأجناد	٢١١
ب- انتقال مركز الحكم من بلاد الشام	٢١٨
ج- الإدارة العباسية في بلاد الشام	٢٢١
(١) بناء المدن	٢٢٢
(٢) تحصين الثغور	٢٢٣

٢٢٦.....	(٣) إشراف الخلفاء على الشام
٢٢٩.....	د- ولاية الشام في العصر العباسي الأول
٢٣٧.....	هـ- مشاركة أهل الشام في إدارة الدولة
٢٣٧.....	(١) القضاء
٢٣٩.....	(٢) الكتابة والوزارة
٢٤٠.....	و- الدواوين والإشراف عليها
٢٤٤.....	الخاتمة
٢٤٨.....	قائمة المصادر والمراجع
٢٧٦.....	- ملخص الدراسة باللغة العربية
٢٧٨.....	- ملخص الدراسة باللغة الانجليزية

الاختصارات

الرمز	الكلمة
ج	جزء :
هـ	هجرية :
م بعد القرون والسنين	ميلادية :
م بعد المصادر	مجلد :
د. ن	دون ناشر :
د.م	دون مكان :
د. ت	دون تاريخ :
ق	قسم :
ص	صفحة :
ط	طبعة :
و	ورقة :
أ	اللوحة الأولى من ورقة المخطوطة :
ب	اللوحة الثانية من ورقة المخطوطة :
ت	توفي :
ص-ص	الصفحات من - الى :
كم	كيلو متر :
P	Page :

المقدمة

ركز معظم الباحثين في التاريخ العباسي على الثورة العباسية التي أسقطت الدولة الأموية، كما أنهم بالغوا في إظهار عوامل النصر العباسي، وعرضوا بإسهاب لأسباب سقوط الدولة الأموية، وبعد قيام الدولة ركزوا اهتمامهم على أوضاع الدولة العباسية في العراق، وقليل منهم تعرض للأوضاع في بلاد الشام في الفترة التي أعقبت الانتصار العباسي.

ولأن الشام عرفت بأنها دولة الأمويين، فإن سقوط تلك الدولة كان له الأثر الأكبر على الشام وأهلها الذين لم يكن من السهل عليهم نسيان العلاقة التي ربطت بينهم وبين الأمويين، وهذا الأمر برز دوره في الموقف الذي اتخذته الشاميون من العباسيين طوال العصر العباسي الأول، وهذا الموقف ظهر تأثيره وأثره على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية في بلاد الشام طيلة ذلك العصر.

ومن أجل إعطاء هذا الموضوع حقه من البحث فقد اخترت هذه الدراسة التي جاءت في ستة فصول سُبقت بعرض لأهم المصادر التي اعتمدت عليها في كتابة هذه الدراسة، فكان الفصل الأول فصلاً تمهيدياً تناولت فيه الأوضاع في بلاد الشام في أواخر العصر الأموي، ولحة عن نشاط الدعوة العباسية، ثم المواجهة بين الأمويين وأعدائهم من أهل الشام مع العباسيين، والتي تمثلت في معركة الزاب التي شهدت انتصاراً عباسياً وسقوطاً للدولة الأموية، وتضمن آخر الفصل دراسة لأسباب ذلك السقوط.

وأما الفصل الثاني فقد خصصته للحديث عن دخول العباسيين إلى بلاد الشام، والموقف الذي قابل به الشاميون بني العباس أثناء دخولهم، ثم السيطرة على بلاد الشام من قبل العباسيين، وما تبع ذلك من معاملتهم لأهل الشام في تلك الفترة التي شهدت كثيراً من حوادث القتل لأهل الشام عامة والأمويين فيها بشكل خاص.

وتناولت الدراسة في الفصل الثالث الحديث عن الوضع السياسي في بلاد الشام في العصر العباسي الأول، والذي ظهر في الموقف الشامي المعارض للعباسيين، وتمثل بالحركات التي قام بها أهل الشام ضد العباسيين في بلاد الشام، كما تمثل بمشاركتهم في الصراعات داخل الدولة العباسية، وتناول الفصل أيضاً حديثاً عن العصبية بين القبائل الشامية وموقف العباسيين منها ودورهم فيها.

ويبحث الفصل الرابع في الوضع الاجتماعي في بلاد الشام، فعرض لفئات المجتمع الشامي وعناصر السكان فيه، كما تناول وضع أهل الذمة وأوضاع القبائل في بلاد الشام، كما تناول العلاقات بين أهل الشام والعباسيين، وعرضت في الفصل جانباً من العلاقة بين علماء أهل الشام والعباسيين واتصالهم بهم، وأنهت الفصل بالحديث عن الشعراء وتأثيرهم على الأوضاع ودورهم، كما عرضت فيه لأبرز شعراء الشام في هذا العصر.

وخصصت الفصل الخامس للحديث عن الوضع الاقتصادي في بلاد الشام، فعرضت فيه لانتقال أملاك أهل الشام للعباسيين، كما بينت فيه أوضاع الخراج والجباية في بلاد الشام، ثم مشاركة أهل الشام في إدارة النظام العباسي، وأنهت الفصل بالحديث عن الوضع الاقتصادي في بلاد الشام في العصر العباسي الأول، وأثر الحركات التي قامت في الشام على الوضع الاقتصادي.

وأما الفصل الأخير فكان عن الوضع الإداري في بلاد الشام، حيث تناولت فيه الأجناد الشامية وما تضم من كور ومدن، والتغييرات الإدارية التي طرأت عليها، ثم تحدثت عن انتقال مركز الحكم من الشام إلى العراق وأثر ذلك على الشام، كما تضمن الفصل حديثاً عن إدارة العباسيين لبلاد الشام وعنايتهم وإشرافهم عليها مع عرض للولاة الذين تولوا بلاد الشام وأجنادها طوال هذا العصر، وأخيراً تناول الفصل جانباً من مشاركة أهل الشام في النظام الإداري العباسي عامة، وفي بلاد الشام بشكل خاص. وعرضاً لوضع الدواوين في العصر العباسي الأول.

عرض لأهم مصادر الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على العديد من المصادر التاريخية والجغرافية والأدبية، وأهم هذه المصادر هي:

١- تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ / ٩٢٢م^(١). وقد كتب الطبري هذا الكتاب على طريقة الحوليات، وتضمن الكتاب الذي اعتمد فيه الطبري على روايات المدائني (ت ٢٢٥هـ / ٨٣٩م) وأبي مخنف (ت ١٥٧هـ / ٧٧٣م) وابن أبي خيثمة (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) معلومات كثيرة عن الأحداث في العصر العباسي الأول.

وركز في عرض هذه الأحداث على العراق، وأعطى جانباً من الإهتمام بالشام، وقد كان الطبري في تأريخه للأحداث محايداً؛ فأورد أحداث معاملة العباسيين لأهل الشام ولم يتعرض لتفاصيلها، وفي هذه الدراسة كان الطبري المصدر الأساسي الذي اعتمدت عليه، فلا يكاد أي فصل من فصولها - بل أي عنوان فيها - يخلو من أخبار وأحداث أوردها الطبري في كتابه هذا.

٢- أنساب الأشراف، لأبي الحسن، أحمد بن جابر البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩هـ / ٨٩٢م^(٢). ويعد كتاب البلاذري هذا من أفضل كتب النسب التي ترجمت للعباسيين والأمويين، وهو أفرد قسماً خاصاً من كتابه للحديث عن العباس وولده^(٣) تضمن معلومات وفيرة أفادت هذه الدراسة، حيث عرضت لانتقال السلطة من الأمويين إلى العباسيين، وموقف أهل الشام من دخول العباسيين إلى بلاد الشام والمتمثل بالحركات المختلفة التي قامت في الشام ضدهم، وأورد

(١) الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٩٦٤، وسيشار إليه هكذا: الطبري: تاريخ الرسل.

(٢) البلاذري، أبو الحسن أحمد بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م): أنساب الأشراف، ج ٣، مخطوطة مصورة من مخطوطة الخزانة الملكية، الرباط، رقم (٢٥١٨) نسخة ملك خاص للدكتور محمد صالحية، ق ٣ تحقيق عبد العزيز الدوري، دار فرانكس شتاينر، بيروت، ١٩٨٧، ج ٥، تحقيق جوايتين، القدس، ١٩٣٦، وسيشار إليه هكذا: البلاذري: أنساب الأشراف.

(٣) هذا القسم هو ق ٣.

الكتاب أيضاً أسماء من قتلوا من أهل الشام على يد العباسيين بعد دخولهم الشام، وقد اعتمد البلاذري في كتابه على روايات المدائني وغيره.

٣- تاريخ مدينة دمشق، لأبي القاسم، علي بن الحسين بن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م^(١). وقد اعتمد ابن عساكر في كتابه هذا على عدد من المؤرخين أهمهم أبي الحسين الرازي (ت ٣٤٧هـ / ٩٥٨م) في كتابه أمراء دمشق في الاسلام، وقد تحدث ابن عساكر في كتابه هذا عن أهل الشام، ومن قدم إليها من الخلفاء والأمراء والولاة والقادة والأعيان والعلماء والشعراء، وتضمن حديثه عنهم معلومات وأحداث تاريخية في كافة الجوانب الإدارية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ورد كثير منها في المصادر الأولية كالبلادري والطبري.

وهذه المعلومات أفادت الدراسة في جميع فصولها، وتتميز منها في عرضه للقبائل الشامية والصراعات بينها، وخاصة العصبية في عصر هارون الرشيد، فأورد جانباً كبيراً منها في ترجمته لأبي الهيثام، كما أن ابن عساكر أورد إهتمام العباسيين بإنهاء العصبية بين هذه القبائل، وتحدث عن الإجراءات المتخذة بذلك في ترجمته لإبراهيم بن المهدي.

٤- أخبار الدولة العباسية، لمؤلف من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي^(٢). وهذا الكتاب الذي ينهي مؤلفه عند الحديث عن مقتل إبراهيم الإمام وإعلان الثورة العباسية يعد مصدراً أساسياً في الحديث عن الدعوة العباسية التي توجت بإعلان الثورة العباسية، فقد ذكر أئمة الدعوة وقادتها والنقباء واتصالهم ببعضهم البعض لتسيير أمور الدعوة، كما تحدث عن الثورة

(١) ابن عساكر، أبو القاسم، علي بن الحسين (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م): تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وأرديها وأهلها، الأجزاء المخطوطة مصورة من نسخة المكتبة الظاهرية، دمشق، كمل نقصها من النسخ الأخرى في القاهرة ومراكش واستانبول، دار البشير، عمان، د. ت، الأجزاء المحققة، تحقيق مجموعة من العلماء، نشر مجمع اللغة العربية، ودار الفكر، دمشق، ١٩٨١-١٩٩٠، وسيشار إليه هكذا: ابن عساكر: تاريخ دمشق.

(٢) مؤلف مجهول (من القرن ٩هـ / ٩م): أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق عبد العزيز الدوري، وعبد الجبار المطلبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١، وسيشار إليه هكذا: مؤلف من القرن ٩هـ: أخبار الدولة العباسية.

العباسية والانتصارات التي حققتها الثورة في خراسان في كافة المدن التي كانوا يدخلونها، والصراع بينهم وبين الأمويين.

وإلى جانب حديثه عن الدعوة والنقباء، فقد انفرد صاحب أخبار الدولة العباسية بذكر أسماء نظراء النقباء ودعاة الدعوة والدعاة.

وفي هذا الدراسة فقد ظهرت إفادة الكتاب عند الحديث عن الدعوة العباسية وسقوط الدولة الأموية، وخاصة في الموقف الذي قرره أصحاب الدعوة من الدعوة في الشام.

٥- فتوح البلدان، لأبي الحسن، أحمد بن جابر البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م^(١). وقد أفرد البلاذري في كتابه هذا عناوين إختصت بالبلدان الإسلامية تحدث فيها عن الفتوحات الإسلامية الأولى، والإجراءات الإدارية والمالية التي طرأت عليها في العصر الراشدي والأموي والعباسي.

وتكمن أهمية هذا الكتاب في هذه الدراسة عند الحديث عن الجوانب الإدارية، فتحدث عن الأجناد الشامية والتغييرات التي طرأت عليها إدارياً، كما تحدث عن الجوانب المالية، وعن الثغور الشامية وعناية الخلفاء العباسيين بها.

وفي الجانب الاقتصادي تحدث البلاذري عن مصادرات العباسيين لضياح الأمويين بالشام وأملاكهم، وإلى جانب ذلك ذكر شيئاً من معاملة العباسيين لأهل الذمة بالشام، وما لحق بهم من ظلم من الولاة العباسيين في لبنان وقنسرين وحلب.

٦- تاريخ الموصل، لأبي زكريا، يزيد بن محمد الأزدي المتوفى سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م^(٢). وكما الطبري فقد كتب الأزدي كتابه على طريقة الحوليات، وقد اعتمد فيه على مصادر محلية، وعلى بعض المؤرخين كخليفة بن خياط، وفي هذا الكتاب أبرز

(١) البلاذري، أبو الحسن، أحمد بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م): فتوح البلدان، عنى بمراجعته والتعليق عليه رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨، وسيشار إليه هكذا: البلاذري: فتوح البلدان.

(٢) الأزدي، أبو زكريا، يزيد بن محمد (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م): تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، لجنة أحياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٦٧، وسيشار إليه هكذا: الأزدي: تاريخ الموصل.

الأزدي دور القبائل العربية في الدعوة العباسية، وأيضاً دور القبائل اليمنية في سيطرة العباسيين على الشام.

وفي هذا الكتاب يظهر ميل الأزدي للأمويين ومعارضته للعباسيين من عرضه لحادثة قتل أهل الموصل على يد العباسيين وتفاصيلها، ومن إسهابه في الحديث عن حركات الخوارج ضد العباسيين، ويبدو أن قرب الموصل من منطقة الجزيرة التي شهدت أكبر عدد من حركات الخوارج كان له دور في ذلك.

٧- تاريخ خليفة بن خياط، لخليفة بن خياط المتوفى سنة ٢٤٠هـ / ٨٥٤م^(١). تميز خليفة بإيراد الأحداث التاريخية مختصرة، فأورد بعض الأخبار عن الدعوة العباسية وعن إسقاط الدولة الأموية، وركز في عرضها على الوضع في عصر مروان بن محمد، والحركات التي قامت ضده في كافة أنحاء الدولة، وعرض لبعض مقاتل أهل الشام على يد العباسيين أثناء دخولهم الشام، وقدم في آخر عرضه للسنيين أخباراً عن الإدارة والولاة والأمراء في كافة المناطق.

وقد انفرد خليفة بن خياط في تاريخه بنشر المراسلات التي تمت بين الخليفة المهدي وعبد السلام اليشكري الذي ثار في الجزيرة وحلب سنة ١٦٢هـ / ٧٨٠م.

واعتمد خليفة في كتابه على روايات مؤيدة للأمويين، وبعض المؤرخين كأبي اليقظان (ت. ١٩٠هـ / ٨٠٥م) والمدائني وغيرهم.

٨- تاريخ اليعقوبي، لأحمد بن واضح اليعقوبي المتوفى سنة ٢٩٢هـ / ٩٠٤م^(٢). وقد أورد اليعقوبي في تاريخه أخباراً عن الدعوة العباسية كما تحدث عن معاملة العباسيين لأهل الشام فتعرض لحوادث القتل ونهب القبور الأموية كما تحدث عن المعارضة الشامية للعباسيين، وبرز اليعقوبي في عرضه الحركات التي قامت ضد العباسيين في عصر المأمون في جميع أجناس الشام.

(١) خليفة بن خياط (ت. ٢٤٠هـ / ٨٥٤م): تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار القلم، دمشق، بيروت، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٧، وسيشار إليه هكذا: خليفة: تاريخ خليفة

(٢) اليعقوبي، أحمد بن واضح (ت. ٢٩٢هـ / ٩٠٤م): تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، د. ت. وسيشار إليه هكذا: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي.

٩- الأغاني، لأبي الفرج، علي بن الحسين الأصفهاني المتوفى سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م^(١). وقد كتب الأصفهاني كتابه هذا - الذي اعتمد فيه على روايات ابن شبة (ت ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م) والزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ/ ٨٨٩م) وهشام الكلبي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) وغيرهم - بصورة أخبار عن بعض الأمراء والقادة والشعراء الذين تعايشوا واتصلوا ببعضهم من كافة البلدان، وقد أمد الكتاب الدراسة بأخبار عن عدد من أوضاع الشعراء في العصر العباسي وخاصة من أهل الشام الذين أعطوا صورة عن الحياة الاجتماعية في هذا العصر.

واحتوى الكتاب أيضاً على صورة من معاملة العباسيين للأمويين، فعرض لبعض مقاتلهم على يد العباسيين، وتأثير الشعر في ذلك، وإلى جانب ذلك تحدث على لسان أحد الشعراء عن الدمار الذي حلّ ببعض مدن الشام على يد العباسيين أثناء دخولهم الشام، وقد أفادت هذه المعلومات الدراسة عند الحديث عن الوضع الاجتماعي في بلاد الشام في العصر العباسي.

وإلى جانب هذه المصادر، فقد قامت الدراسة على عدد من المصادر التي اختصت بجانب واحد فكان منها كتب الجغرافيا والبلدان، وقد أفادت هذه المصادر الدراسة عند الحديث عن قبائل الشام وعن الأجناد الشامية وما تحويه من مدن وكور، كما أفادته عند الحديث عن الأوضاع الاقتصادية في بلاد الشام فذكرت الأصناف الزراعية التي اشتهرت الشام بزراعتها، وكذلك عن تجاره والصناعة، إلى جانب الحديث عن واردات الدولة من الأجناد.

واعتمدت الدراسة أيضاً على كتب الطبقات والتراجم التي ورد فيها كثير من المعلومات التاريخية عند الحديث عن الخلفاء، والأمراء والقادة والولاة والعلماء والشعراء، فأعطت في حديثها عنهم جانباً من الأحداث والأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية.

وأمدت كتب الأنساب الدراسة بالأخبار عن العباسيين والأمويين في الشام وأنسابهم، فأورد أسماء عدد منهم ممن قتلوا على يد العباسيين، أو ممن هربوا، وممن نالوا العفو من العباسيين.

(١) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م): كتاب الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، وسيشار إليه هكذا: الأصفهاني: الأغاني.

وأما كتب الأدب فقد بيّنت العلاقة بين العباسيين وأهل الشام والأمويين خاصة، فتحدثت عن النظرة المتبادلة بينهم. وأوردت جانباً من المقاتل التي تعرضوا لها وتفاصيلها، وإبراز دور الشعراء في هذا المجال.

وإلى جانب هذه المصادر الأساسية، فقد قامت الدراسة على عدد من المصادر المتأخرة التي رفدت البحث بآراء هؤلاء المؤرخين الذين ساهموا مع أولئك في إخراج الأساس الذي قامت عليه الدراسة.

وبخلاف المصادر، فقد اعتمدت الدراسة على عدد من المراجع والبحوث العربية الحديثة، التي رفدت البحث بآراء الباحثين المحدثين.

الفصل الأول

سقوط الدولة الأموية

الفصل الأول

سقوط الدولة الأموية

أ- لحظة عن الدعوة العباسية

ب- حركات الأجناد ضد مروان بن محمد

(١) تمهيد

(٢) الجزيرة

- حركة سليمان بن هشام

- حركات الخوارج

(٣) حمص وتدمر

(٤) فلسطين والأردن

(٥) دمشق

- الغوطة

- دير أيوب

ج- معركة الزاب والمواجهة العباسية الأموية

د- موقف الشام من مروان بن محمد بعد الزاب ومقتله

(١) موقف الشام

(٢) مقتل الخليفة مروان

هـ- دراسة لأسباب سقوط الدولة الأموية.

أ- لمحة عن الدعوة العباسية.

بالرغم من أن طموحات أفراد البيت العباسي سبقت بداية القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي^(١)، إلا أن النشاط الفعلي للدعوة بدأ حينما دفع الإمام أبو هاشم^(٢) وصيته إلى الإمام محمد بن علي^(٣) الذي أوكلت له مهام الدعوة^(٤)، والذي يرجع إليه الفضل الأكبر فيما وصلت إليه الدعوة، التي اسقطت دولة الأمويين وحلت مكانها في خلافة الدولة الإسلامية.

(١) قال علي السّجّاد أمام الوليد بن عبد الملك: أن الأمر سيكون في أولاده من بعد ذلك/ مؤلف مجهول من القرن ٣هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ١٢٨، مؤلف مجهول: أخبار الدول أو أخبار الزمان في تاريخ بني العباس، مخطوط ميكروفيلم في مكتبة الجامعة الأردنية، مركز الوثائق والمخطوطات تحت رقم (٣٠٢)، ١٩٩. وسيشار إليه هكذا: مجهول: أخبار الدول.

(٢) أبو هاشم، عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب (ت ٩٨هـ / ٧١٦م) انظر: خليفة: طبقات خليفة، ص ٥٩٨، خليفة: تاريخ خليفة، ص ٢٢٠، مؤلف من القرن ٣هـ: أخبار الدول العباسية. ص ١٨٨-١٨٩، البلاذري: أنساب الأشراف، ج٢، تحقيق محمد باقر الحمودي، دار المعارف للطبوعات، بيروت، ١٩٧٧، ص ٢٧٢/ المسعودي، علي بن الحسين (ت ٢٥٤هـ / ٩٦٥م): التنبيه والأشراف، تحقيق لجنة تحقيق التراث، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١، ص ٣٠٨-٣٠٩، وسيشار إليه هكذا: المسعودي: التنبيه والأشراف.

(٣) محمد بن علي بن عبد الله بن عباس (ت ١٢٤هـ / ٧٤١م) انظر السدوسي، مؤرج بن عمر (ت ١٩٥هـ / ٨١٠م): حذف من نسب قريش، مكتبة دار العربية، القاهرة، ص ١٠، وسيشار إليه هكذا: السدوسي: حذف من نسب قريش/ خليفة: طبقات خليفة، ص ٧٩٩/ الطبري: تاريخ الرسل، ص ٢٢٧، ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر (ت أوائل القرن ٤هـ / ١٠م): الأعلاق النفيسة، عناية م.ج.دي جويه، مطابع بريل، ليدن، ١٩٦٧، ص ٢٣٩، وسيشار إليه هكذا: ابن رسته، الأعلاق النفيسة/ مؤلف مجهول: تاريخ الدولة العباسية، مخطوط، ميكروفيلم في مكتبة الجامعة الأردنية، مركز الوثائق والمخطوطات تحت رقم (٤١)، صور عن مخطوط في المتحف البريطاني رقم (١٣١٣)، و ١٣، وسيشار إليه هكذا: مجهول: تاريخ الدولة العباسية.

(٤) مرض أبو هاشم في الحميمة فاجتمع مع الإمام محمد بن علي وأوصى له بالدعوة وأعطاه أسرارها وطلب منه أن يبتعد في دعوته عن أهل الشام لحبّتهم للأمويين وحضه على التوجه نحو خراسان، كما أنه طلب منه أن يستميل أهل اليمن وربيعه ويتعامل بحذر مع القيسيين وأرشده إلى النقباء الذين سيشفرون على الدعوة والدعاة، وأعلمه بأن الأمر بعده سيكون لأبي العباس ثم لأخيه المنصور، انظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م): عيون الأخبار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصوره عن طبعة دار الكتب، القاهرة، د. ت، ج١، ص ٢٠٤، وسيشار إليه هكذا: ابن قتيبة: عيون الأخبار/ البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٣، ص ٨١، ١١٥، ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م): العقد الفريد، تحقيق محمد العريان، دار الفكر، القاهرة، د. ت، ج ٥، ص ٢٠٤-٢٠٥، وسيشار إليه هكذا: ابن عبد ربه: العقد الفريد، غوانمة، يوسف: الحياة العلمية والثقافية في الأردن في العصر الإسلامي، د. ن. د. م.، ١٩٨١، ص ٥٥، وسيشار إليه هكذا: غوانمة: الحياة العلمية.

حيث نظم أمور الدعوة والدعاة: فحدد أماكن الدعوة ومراكزها، والأمور التي سيدعو إليها الدعاة، كما أنه نظم أمور الدعاة وطريقة اتصالهم بالإمام نفسه وبالناس وأرشدتهم إلى الأساليب التي سيدعون بها الناس.

فكانت الحميمة^(١) والكوفة وخراسان هي الأماكن التي تركز فيها نشاط الدعوة. فالحميمة كانت مركز إقامة الإمام، وهي المنزل الأول لبني العباس، وأما الكوفة فهي مركز إقامة الدعاة الأول، وخراسان مركز نشاط النقباء والدعاة^(٢).

وقد جاء إختيار الحميمة لوقوعها على طريق الحج فيمكن الاتصال مع الحجاج عن طريقها^(٣)، كما أنها تقع على طريق القوافل التجارية، فيمكن ذلك من الاتصال مع التجار^(٤)، ولذلك كان الدعاة يتنكرون بزي التجار ليقابلوا الإمام في الحميمة^(٥).

(١) الحميمة: بلد من أرض الشراه من أعمال عمان في أطراف الشام، ياقوت، شهاب الدين الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م): معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي. بيروت، ١٩٧٩، ج٢، ص ٣٠٧، وسيشار إليه هكذا: ياقوت: معجم البلدان، ياقوت الحموي: المشترك وضعاً والمفترق صقلاً، نشر ويستنفلد، مطابع بريل، ليدن، ١٨٤٦، ص ١٤٦، وسيشار إليه هكذا: ياقوت: المشترك، صفي الدين البغدادي، عبد المؤمن (ت ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م): مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق صالح الاشر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦٧، ج١، ص ٤٥٨، وسيشار إليه هكذا: البغدادي: مرصد، وتبعد الحميمة مسافة ٨٠ كم شمال العقبة، غوانمه، يوسف: التقسيمات الإدارية في العصور الإسلامية، الموسوعة الأردنية. الجزء الأول: الأرض والانسان، دار الكرمل للنشر والتوزيع عمان، ١٩٨٩، ص ٢٢٧، وسيشار إليه هكذا: غوانمه: التقسيمات الادارية.

(٢) غنيم، عبد العزيز: دور العباسيين في طلب الخلافة، دار الوفاء، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٣١، شعبان، محمد: الثورة العباسية، ترجمة عبد المجيد القيسي، دار الدراسات الخليجية، د. ت، ص ٢٤٠.

(٣) العشي، يوسف: تاريخ عصر الخلافة العباسية، دار الفكر، دمشق، د. ت، ص ١٨/فروخ، عمر: تاريخ صدر الاسلام والدولة الأموية، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٦، ١٩٨٣، ص ١٧٦.

(٤) حتي، فيليب: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمه كمال اليازجي، دار الثقافة، بيروت ط ٢، ١٩٧٢، ص ١٥٢/ خريسات، محمد: «البلقاء من الفتح الاسلامي حتى القرن ٣هـ»، مجلة دراسات تاريخية، جامعه دمشق، م ٧، عدد ٢١-٢٢، ص ٦١.

(٥) تذكر بكير بن ماهان (ت ١٢٧هـ/ ٧٤٤م) -أحد رجال الدعوة الكبار- بزي عطار وقابل الإمام. مؤلف من القرن ٣هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ١٩٥، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٧٠٩، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ١٤٢، مؤلف مجهول من القرن ٥هـ/ ١١م: تاريخ الخلفاء، مخطوط، قام بنشر النسخة المصورة وكتابة المقدمة بطرس غريازنيويج، عني بالفهارس ميخائيل بيوتروفسكي وبطرس غريازنيويج: نشر دار العلم وإدارة التحرير الرئيسي للآداب الشرقية، موسكو، د. ت، و ٥١، وسيشار إليه : مجهول: تاريخ الخلفاء.

وإضافة لذلك فإن الحميمة قريبة من دمشق مركز الخلافة الأموية، وهذا أتاح للعباسيين مراقبة أوضاع الأمويين عن كثب^(١). فكان أحد أفراد الأسرة العباسية يقول: «كنا بالشراة وكنا نرى ما فيه آل مروان من دنياهم»^(٢). كما أن أبا مسلم^(٣) بعد ذلك حضر مع إبراهيم الإمام^(٤) خطبة للخليفة الأموي يزيد بن الوليد في سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م^(٥) أثناء وجوده في المنطقه، فدفعهم ذلك إلى مضاعفة جهودهم، وقرب الحميمة من دمشق هو نوع من التفرير بالأمويين الذين لم يراقبوا بني العباس لأنهم تحت أنظارهم^(٦).

(١) بيضون، إبراهيم: «الشام والدموة العباسية»، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، بلاد الشام في العصر العباسي (١٣٢-٤٥١هـ / ٧٥٠-١٠٥٩م)، لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الاردنية، ١٩٩٠، ص ١٩، وسيشار لبحوث المؤتمر الأخرى هكذا: مؤتمر تاريخ بلاد الشام الخامس.

(٢) الجهشيارى، محمد بن عبدوس (ت ٣٢١هـ / ٩٤٢م): الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٩٢٨، ص ٢٣٢، وسيشار إليه هكذا: الجهشيارى: الوزراء

والشراة: مدينة بالبلقاء فيها الكهف والرقيم، ياقوت: معجم، ج ١، ص ٤٨٩، البغدادي: مرصد، ج ٢، ص ٧٨٨.

(٣) عبد الرحمن بن مسلم الخراساني، (قتل سنة ١٢٧هـ / ٧٥٤م)
انظر: خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤١٦، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٧٩-٤٨٩، مؤلف من القرن ٣هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ٢٥٣-٢٥٤، وانظر ص ١٢.

(٤) إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله (الإمام)، قتل سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م
انظر السدوسي: حذف من نسب قريش، ص ١١/ خليفة: طبقات، ص ٢٢٤، ابن عساكر: تاريخ مدينه دمشق، مخطوط، م ٢، ص ٥٣٩-٥٤٢، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٧٤م): سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٥، ج ٥، ص ٢٧٩، وسيشار إليه هكذا: الذهبي: سير/ ابن أبي الدم، إبراهيم (ت ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م): الشماريخ في التواريخ، مخطوط، ميكروفيلم في مكتبة الجامعة الاردنية، مركز الوثائق والمخطوطات تحت رقم (٥٤٢)، مصور عن مخطوط في مكتبة بودليان، أكسفورد، مجموعة مارش، و ٥٩ ب، وسيشار إليه هكذا: ابن أبي الدم: الشماريخ.

(٥) مجهول: تاريخ الخلفاء، مخطوط، و ٥٢٥/ القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م): مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار فراج، عالم الكتب، بيروت، د. ت، ج ١، ص ٢٠٤، وسيشار إليه هكذا: القلقشندي: مآثر الإنافة.

(٦) حبيبة، علي: دولة الأمويين، مكتبة الشباب، القاهرة، د. ت، ص ١٠٦، حبيبة: العباسيون في التاريخ. مكتبة الشباب، القاهرة، د. ت، ص ٢٨، شلبي، أحمد: التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٦، ج ٢، ص ٢٢

وأما الكوفة فقد اختيرت لعدة أسباب، منها: أن فيها عدداً كبيراً من الشيعة المعادين لبني أمية^(١). وقد استغل العباسيون كُره أهل الكوفة المؤيدين لآل البيت للأمويين فاستمالوهم في دعوتهم^(٢)، وقد أدرك هذا الأمر أنمة بني العباس فنصح أبو هاشم محمد بن علي بالتوجه نحو الكوفة قائلاً: «عليك بالكوفة فيها شيعتك وأهل مودتك....»^(٣).

والكوفة إضافة لذلك موقعها متوسط بين الحميمة وخراسان، فكانت بذلك حلقة وصل بين الإمام الموجود في الحميمة والدعاة المتفرقين في خراسان^(٤).

ومن أسباب إختيار الكوفة أيضاً قربها من خراسان، وهذا أتاح ووفر سرعة الإتصال بين الدعاة الموجودين في خراسان وكبار الدعاة في الكوفة^(٥).

وجاء إختيار خراسان مركزاً لنشاط الدعاة لتمييزها عن غيرها بعدة صفات ذكرها الإمام محمد بن علي في وصيته للدعاة فقال أن فيها: «العدد الكثير والجلد الظاهر، وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء... وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل...»^(٦).

(١) فان فلوتن: السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات، ترجمة ابراهيم بيضون، دار الحداثة، بيروت، د. ت، ص ١٢٨، حبيبة: العباسيون في التاريخ، ص ٢٨

(٢) عطوان، حسين: الدعوة العباسية «مبادئ واساليب»، دار الجيل، بيروت، د. ت، ص ٢٥٢.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٢، ص ١١٥، ابن طاهر المقدسي، مطهر (ت ٢٥٥هـ/٩٦٦م): البدء والتاريخ، مكتبة المثنى، بغداد، د. ت، ج ٦، ص ٧٩، وسيشار إليه هكذا: المقدسي: البدء والتاريخ.

(٤) شعبان: الثورة العباسية، ص ٢٤.

(٥) بيضون، ابراهيم: الدولة الأموية والمعارضة، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٠، ص ٢٠/سيديو: خلاصة تاريخ العرب، ترجمة محمد عبد الرزاق والسيد الشرقاوي، دار الآثار، بيروت، ط ٢، ١٩٨٠، ص ١٠٥.

(٦) ابن المقفع، عبد الله بن زوربه (ت ١٣٩هـ/٧٦٥م): رسالة في الصحابة، ضمن رسائل البلغاء، تصنيف محمد كرد علي، نشر لجنة التأليف والنشر، القاهرة ط ٤، ١٩٥٤، ص ١١٩، وسيشار إليه هكذا ابن المقفع: رسائل البلغاء، ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ١، ص ٢٠٤، مؤلف من القرن ٢هـ أخبار الدولة العباسية، ابن الفقيه الهمداني، أبو بكر احمد (ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م): مختصر كتاب البلدان، عناية م. ج، دي جويه، مطابع بريل، ليدن، ١٩٦٧، ص ٢١٥، وسيشار إليه هكذا: ابن الفقيه: مختصر البلدان.

والعدد الكثير الموجود في خراسان كان معظمه من العجم الذين تعرضوا للظلم من قبل الأمويين الذين كانوا يأخذون منهم الجزية رغم إسلامهم^(١)، ولا يساؤونهم بالعرب فأدى ذلك إلى حقد هؤلاء على الدولة الأموية، وفي سبيل التخلص منها سارعوا بالإنضمام إلى الدعوة العباسية^(٢).

وحتى العرب في خراسان فإن المقاتلة منهم تدمروا من سياسة الأمويين معهم والتي لم تعطهم حقوقهم^(٣).

ومن الأسباب التي دفعت العباسيين إلى اختيار خراسان هو بعدها عن مركز الخلافة الأموية، فأدى ذلك إلى حرية التحرك وقلة المراقبة^(٤).

وبعد اختيار الأماكن التي تركز بها نشاط الدعوة، فقد جمع الإمام محمد بن علي الدعوة ووضع لهم الأسس التي أمرهم أن يتبعوها، فأمرهم بالإبتعاد عن الدعوة في الشام لأن «أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان، عداوة لنا راسخة وجهلاً متراكماً....»^(٥).

وحدد الإمام للدعاة الأمور التي سيدعون إليها بأن يذكروا الناس بأحقية آل محمد بالأمر، وأن يبينوا لهم ظلم الأمويين، فقال: «ولتكن دعوتكم وما تلقى به

(١) مطوان: الدعوة العباسية «مبادئ وأساليب»، ص ٢١، العش: الدولة الأموية، ص ٣١٨، غنيم: دور العباسيين في طلب الخلافة، ص ٨٨، الدوري، عبد العزيز: العصر العباسي الأول، دار الطليعة للنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٨٨، ص ١٨.

(٢) كاهن، كلود: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ترجمة بدر الدين القاسم، دار الحقيقة للنشر بيروت، ط ٢، ١٩٧٧، ص ٥٠/٥٠٠، زاهية: الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في العصر العباسي الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٢، ص ٦٧، بيضون، إبراهيم: محاضرات في التاريخ السياسي للدولة العربية، مكتب كريديه اخوان، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٠.

(٣) صكبان، جاسم: دراسات في التاريخ العربي، المكتب الوطني، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢١، السامرائي، خليل: تاريخ الدولة العربية في العصر العباسي، دار الكتب، الموصل، ١٩٨٨، ص ٢٢/عمر، فاروق: تاريخ العراق، مكتب النهضة، بغداد، ١٩٨٨، ص ٤٩، عمر فاروق: طبيعة الدعوة العباسية، دار الارشاد للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠، ص ١٥٦، عمر، فاروق: الثورة العباسية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٩، ص ٢٤.

(٤) حمادة، محمد ماهر: الوثائق السياسية والإدارية للعصر العباسي الأول، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٧٩، ص ١٦، كاهن: تاريخ العرب والشعوب، ص ٥٠، مطوان: الدعوة العباسية «مبادئ وأساليب»، ص ١٥.

(٥) مؤلف من القرن ٣هـ أخبار الدولة العباسية، ص ٢٠٦، ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ١، ص ٢٠٤.

العامّة أن تدعوهم للرضا من آل محمد، وتذكر جور بني أمية وأن آل محمد أولى بالأمر منهم»^(١).

وأوصى الإمام الدعاة بأن يكون لون شعارهم هو الأسود فيقول: «وراياتنا سود»^(٢)، ويذكر أبو مسلم قائد الثورة العباسية أن اختيار هذا اللون جاء لأن الرسول -عليه السلام- فتح مكة وعليه عمامة سوداء^(٣)، ويرى فلوتن وشعبان أن إتخاذ هذا اللون كان حداً على شهداء آل البيت الذين قتلوا على يد بني أمية^(٤). وبالإضافة لذلك فإن اختيار هذا اللون كان مخالفة للون شعار الدولة الأموية وهو الأبيض.

وبين الإمام محمد بن علي للدعاة أن يسيروا في دعوتهم بطريقة تختلف عن ما يدعوا إليه آل علي، فقال: «وحذر شيعتنا التحرك في شيء مما تتحرك فيه بنو عمنا من آل أبي طالب.....»^(٥).

وقد أوصاهم الإمام بذلك حتى لا يقع الصدام بينهم وبين آل علي الذين كانوا يدعون أيضاً لآل البيت خاصة وأن آل علي كانوا يقومون بالثورة بين حين وآخر، وفي كل ثورة كانوا يخسرون عدداً من أفرادهم، وهذا أمر لم يرتضيه الإمام لهم، وشدد الإمام على الدعاة بكنم إسم الإمام مهما كلف ذلك من الصعاب^(٦).

(١) مؤلف من القرن ٣هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ٢٠٠، أبو حنيفة الدينوري، أحمد (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م): الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٣٣، وسيشار إليه هكذا: الدينوري: الأخبار الطوال، ابن العبري، غريغوريوس (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م): تاريخ مختصر الدول، دار المسيرة، بيروت، د. ت، ص ١١٧، وسيشار إليه هكذا: ابن العبري: مختصر الدول.

(٢) مؤلف من القرن ٢هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ١٩٩.

(٣) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م): تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت، م ١٠، ص ١٨٧، وسيشار إليه هكذا: البغدادي: تاريخ بغداد، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٠، ص ١٨٧.

(٤) فان فلوتن: السيادة العربية، ص ١٥٥/ شعبان: تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٧، ص ٢٠١.

(٥) مؤلف من القرن ٣هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ٢٠٠.

(٦) مؤلف من القرن ٣هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ٢٠٤.

وبعد أن حددت أسس الدعوة للدعاة، نظمت أمور الدعاة فأختير إثني عشر نقيباً ليتولوا أمور الدعوة^(١) اقتداءً ببني إسرائيل ونقباء الرسول -عليه السلام^(٢) - كما اختير مثلهم من نظراء النقباء، فإذا نقص النقباء كملوا من النظراء، واختير أيضاً سبعون من الدعاة ومثلهم من دعاة الدعاة^(٣). واختار محمد بن علي بكير من ماهان مرشداً للدعاة^(٤) فكانوا يرجعون إليه في الرأي والمشورة ويكون على اتصال بينهم وبين الإمام. وبهذه المبادئ والتنظيمات إنطلق الدعاة إلى خراسان يدعون، وكانوا يتخفون بزي التجار^(٥) حتى لا ينكشف أمرهم. وقد لقي هؤلاء الدعاة في خراسان إضطهاداً كبيراً من قبل الأمويين عندما يعرفونهم فمثل ببعضهم، وقتل كثير، وسجن أكثر من ذلك^(٦).

(١) الدعاة هم: سليمان بن كثير الخزاعي، موسى بن كعب التميمي، مالك بن الهيثم الخزاعي، القاسم بن مجاشع التميمي، عيسى بن أعين الخزاعي، عمرو بن أعين، قحطبه بن شبيب الطائي، عمران بن اسماعيل، شبل بن طهمان، خالد بن ابراهيم الهذلي، طلحة بن زريق. انظر: مؤلف من القرن ٣هـ أخبار الدولة العباسية، ص ٢١٦-٢١٧/البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٣، ص ١١٥-١١٦، ابن حبيب البغدادي، أبو جعفر (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م): المحبر، تصحيح ايلزه ليختن شتيتتر، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، د. ت، ص ٤٦٥، وسيشار إليه هكذا: ابن حبيب: المحبر.

- (٢) مؤلف مجهول: تاريخ الخلفاء، مخطوط، و ٥١٠.
- (٣) مؤلف من القرن ٣هـ أخبار الدولة العباسية، ص ٢١٩-٢٢٣.
- (٤) مؤلف مجهول: تاريخ الخلفاء، مخطوط، و ٥١٠.
- (٥) مؤلف من القرن ٣هـ أخبار الدولة العباسية، ص ١٩٥، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٦١٦، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٣١٢.
- (٦) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٠، ٤٣، ٨٨، ١٠٧-١٠٨، ابن دريد، ابوبكر محمد (ت ٣٢١هـ/ ٩٣٢م): الاشتقاق، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، د. ت، ص ٤٨٠، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٥، ص ٤٠٥، ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م): جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط ٥، ١٩٨٢، ص ٢٢٤، وسيشار إليه هكذا: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، السمعاني، أبو سعيد (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م): الأنساب، نشر محمد أمين دمج، بيروت، لبنان، م ٧، ص ٤٠٥، وسيشار إليه هكذا: السمعاني: الأنساب، السويدي، أبو الفوز: سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، دار احياء العلوم، بيروت، د. ت، ص ٦٨، وسيشار إليه هكذا: السويدي: سبائك الذهب.

ورغم ذلك إلا أن الدعاة كسبوا أعواناً كثيرين في خراسان وكان أكثرهم من اليمانية^(١)، لأن الدولة الأموية في أواخرها وخاصة في خلافة مروان بن محمد مالت للقبائل القيسية وأبعدتهم^(٢). كما ضم الدعاة لدعوتهم عدداً كبيراً من الموالي الذين كانوا غاضبين من سياسة الأمويين فيهم^(٣).

وقد نجحت الدعوة العباسية في أواخر عهد الامام محمد بن علي في تجاوز العقبات التي مرت بها والتي كان أهمها: الإنشقاق الذي قام به أحد كبار الدعاة والملقب بخداش^(٤) بإظهاره دين الخرمية^(٥) سنة ١١٨هـ/٧٣٦م، ثم الثورة التي قامت

(١) مؤلف من القرن ٢هـ أخبار الدولة العباسية، ص ٢٥٠، ٢٠٧، الطبري: تاريخ الرسل، ج٦، ص ٦١٧.

(٢) عطوان: الدعوة العباسية «مبادئ وأساليب»، ص ٨٨، ٢٥٨، ٢٦٣، بيضون: محاضرات في التاريخ السياسي للدولة العربية، ص ١١.

(٣) شعبان: تاريخ صدر الإسلام، ص ٢٠١، الدوري: العصر العباسي الاول، ص ١٨، قدورة: الشعوبية، ص ٦٧، سرور، محمد: الحياة السياسية في الدولة الاسلاميه، دار الفكر العربي القاهرة، ط ٣، ١٩٦٦، ص ١٧٤.

(٤) «خداش» اسمه عمار بن يزيد. أظهر الخرمية في مرو فأحل أشياء لا تحل ورخص للرجال في نساء غيرهم. وأعفاهم من الصوم والصلاة والحج ونقش خاتماً على خاتم الإمام وظل كذلك حتى تم قتله علي يد وإلي خراسان أسد القسري سنة ١١٨هـ/٧٣٦م.

انظر الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص ١٠٧، ابن الأثير، عز الدين علي بن ابي الكرم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٠، ج ٥، ص ٢٢٥، وسيشار إليه هكذا: ابن الأثير: الكامل، الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٧٠٠هـ/ ١٢٠٠م): الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤، ص ٥-٦، وسيشار إليه هكذا: الحميري: الروض المعطار.

(٥) الخرمية: قوم بنواحي أرمينية وأذربيجان في همذان وإصفهان والاهواز وغيرها. كانوا يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر أمرهم صاحبهم مزدك يتناول اللذات والشهوات والمشاركة في الحرم والأهل، وقد نشر خداش أفكارهم بخراسان، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ١٠٩، عطوان: الدعوة العباسية «مبادئ»، ص ١٩٧، ابن كثير، عماد الدين اسماعيل (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م): البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق مجموعة من العلماء دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج ٩، ص ٢٢٧، وسيشار إليه هكذا: ابن كثير: البداية والنهاية.

في الكوفة سنة ١٢١هـ/٧٣٨م بقيادة زيد بن علي^(١)، حيث أمر محمد بن علي دعائه بسب خدائش ونبيذه والابتعاد عنه^(٢). كما أمرهم بالوقوف موقف الحياد من ثورة زيد فلزموا بيوتهم وتجنبوا أعوانه^(٣).

وبالإضافة لذلك فإن الدعاة نجحوا في ضم رجل دعي بأبي مسلم الخراساني إلى الدعوة وكان ذلك قبل وفاة الإمام محمد بن علي بسنة أي في سنة ١٢٤هـ/٧٤١م^(٤). وبغض النظر عن الطريقة التي انضم فيها أبو مسلم للدعوة والتي اختلفت المصادر في عرضها^(٥) فإن إنضمامه أعطى للدعوة والدعاة دفعة كبيرة بجهده وذكائه الذي بذله لإنجاح الدعوة.

(١) زين الشيعة لزيد الخروج على طاعة الأمويين وأنهم سيساعدونه في التخلص منهم، فخرج في الكوفة داعياً إلى كتاب الله وسنة رسوله والدفاع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين وجهاد الظالمين من بني أمية. ولكن أعوانه الذين دفعوه للخروج تخلوا عنه. فقاتل الأمويين مع قلة من الناس فادى ذلك لقتله.

انظر: الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص ١٧٢، المقدسي: البدء والتاريخ، ج٦، ص ٤٩-٥٠، مؤلف مجهول: تاريخ الخلفاء، مخطوط، و ١١٤، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ١١٦. وزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قتل سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م.

انظر: السدوسي: حذف من نسب قريش، ص ١٦، خليفة: طبقات، ص ٦٤٥، خليفة: تاريخ خليفة، ص ٣٥٣، البلاذري: أنساب الأشراف، ج٣، ص ٥٠، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥، ص ٣٩٠.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص ١٤٢.

(٣) مؤلف من القرن ٣ هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ٢٣١.

مؤلف مجهول: تاريخ الخلفاء، مخطوط، و ١١٤، ب.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص ١٩٩/البغدادي: تاريخ بغداد، م ١٠، ص ٢٠٧.

(٥) كان أبو مسلم يخدم سيداً له في سجن الكوفة وفيه عدد من دعاة بني العباس فسمعهم يتذكرون الدعوة فدعوه فاستجاب لهم، وكانوا يرسلونه في رسائل لهم فأمنوا له، ثم أخذه للإمام محمد بن علي في الحميمة فأعجب به وطلب منهم أن يشتروه وأصبح من رجال الدعوة. انظر: مؤلف من القرن ٣ هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ٢٥٣-٢٥٤، الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص ١٩٨-١٩٩، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص ٢١٦.

وذكر الذهبي أن أبا مسلم دخل مع بعض النقباء وكان يخدمهم على إبراهيم الإمام فأعجب به وضمه للدعوة، الذهبي: سير، ج٦، ص ٦٦، بينما ذكر الأزدي في تاريخ الموصل أن إبراهيم الإمام اشتراه من حران وأرسله إلى خراسان/الأزدي: تاريخ الموصل، ص ١٢١.

وكما اختلفت المصادر في ذكر طريقة انضمامه للدعوة، فقد اختلفت في إسمه الحقيقي ومن أين جاء بهذا الإسم^(١)، ورغم هذا الإختلاف فإن الإسم الذي عرف به ليس هو إسمه الحقيقي. وإنما هو اسم أطلق عليه من أجل الحفاظ على سرية الدعوة، وأما ارتباطه بخراسان فلأن الدعوة نشأت فيها وكبرت، فكان ذلك أقرب إلى أصحاب الدعوة.

وبعد انضمام أبي مسلم للدعوة بسنة أي في سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م توفي الإمام محمد بن علي في الحميمة حيث كان قد أوكل أمور الدعوة لابنه إبراهيم^(٢)، فاتصل الأخير بأبي مسلم حيث كثفوا نشاطهم في هذه الفترة مستغلين حالة الفوضى والاضطراب التي عمت الدولة الاموية بعد مقتل الخليفة الوليد بن يزيد (١٢٦هـ/٧٤٣م) والتي أشغلتهم عن مراقبة الدعاة العباسيين.

ولما التقى الإمام بأبي مسلم أسر له أمور الدعوة وأوصاه أن ينزل في أهل اليمن ويقرب ربيعة، ويضم ما استطاع من المضرية مع حذره منهم، وأن يكثّر من إتخاذ الأعاجم^(٣).

وفي رأيي أن هذه الرواية هي أقرب الروايات التي قيلت عن وصية إبراهيم الإمام لأبي مسلم في معاملة أهل خراسان إلى الصحة، وأما ما قيل من روايات بأن

(١) يورد صاحب أخبار الدولة العباسية روايتين عن تسمية أبي مسلم، الأولى أن الإمام محمد بن علي هو الذي سماه بعبد الرحمن وكناه أبا مسلم، والثانية أن الذي سماه هو إبراهيم الإمام، مؤلف من القرن ٢هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ٢٥٤.

ويوافق البغدادي وابن عساكر صاحب أخبار الدولة أن التسمية حدثت في عصر إبراهيم الإمام، ولكنهما يذكران أن التسمية جاءت من أبي مسلم نفسه بناءً على طلب من إبراهيم الإمام، البغدادي: تاريخ بغداد، م ١٠، ص ٢٠٧، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٠، ص ١٨٨.

(٢) ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م): الإمامة والسياسة، تحقيق طه الزيني، دار المعرفة بيروت، ١٩٦٧، ج ٢، ص ١٠٩، وسيشار إليه هكذا: ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٢٢٧، مؤلف مجهول: تاريخ الدولة العباسية، مخطوط، و ٣، غوانمة: الحياة العلمية، ص ٥٥.

(٣) مؤلف من القرن ٢هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ٢٨٥.

الإمام أمر أبا مسلم باتهام المضرية وقتل العرب في خراسان^(١) فهي أقل صحة وذلك لعدة أسباب:

أولها أن سياسة أبي مسلم قامت على جذب أكبر عدد من الناس للدعوة^(٢)، لأن الدعوة في هذه الفترة كانت بحاجة إلى من يؤيدها، وذلك الكلام ينفر العرب ويبعدهم عن الانضمام للدعوة، بل يؤدي أيضاً إلى مقاومتها.

وبالإضافة لذلك فإن كثيراً من العرب ساندوا الدعوة وانضموا إليها. فالنقباء أنفسهم فيهم سبعة من العرب^(٣)، وقوائم أسماء النظراء والدعاة تدل على دور العرب^(٤) فلا يمكن والحالة هذه أن يأمر بقتلهم.

وعلى ذلك فإن أبا مسلم دعا الناس جميعاً إلى دعوته فاستجاب له عدد كبير من «... الأعاجم وكثير من أهل اليمن وربيعة... وأتاه عدة من ذوي البصائر من مضر»^(٥). وهذا ما يؤكد أن الإمام لم يطلب منه قتل العرب، وإنما دعاهم فاستجابوا. ولا يمكن من إمام يشرف على دعوة بمثل تلك القوة أن يتصف بمثل تلك الصفة^(٦).

وفي خراسان تضاعف نشاط أبي مسلم فكثرت أعوانه، وفرق العرب الذين عارضوه عن بعضهم، فكان يرأسل اليماني والمضري^(٧) وأشعل العصبية فيها فأدى ذلك إلى انشغال الناس ببعضهم فكسب عدداً كبيراً من المؤيدين من الموالي والعرب على السواء^(٨).

(١) مؤلف من القرن ٢ هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ٣٩٢، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣٧٠.

(٢) أمين، حسين: «من تاريخ الدعوة العباسية»، مجلة المورخ العربي، عدد ١٠، ١٩٧٩، ص ١٦.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٧، ص ٦٢١.

(٤) بخصوص أسماء الدعاة، انظر: مؤلف من القرن ٢ هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ٢٢١-٢٢٣. عاقل، نبيه: «الدعوة العباسية»، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، عدد ١٣-١٤، ص ٦٠-٦١.

(٥) مؤلف من القرن ٢ هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ٣٨٥.

(٦) أمين: «من تاريخ الدعوة العباسية»، المورخ العربي، عدد ١٠، ص ١٦.

(٧) مؤلف من القرن ٢ هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ٢٤٨، خليفة: تاريخ خليفة، ص ٣٩٠، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣٦٨-٣٦٩، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٣٨١.

(٨) مؤلف من القرن ٢ هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ٢٤٨، خليفة: تاريخ خليفة، ص ٣٩٠، البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوط، ج ٢، و ٢٧٦-٢٧٨.

ولما تولى مروان بن محمد أمور الدولة (١٢٧هـ/٧٤٤م) زادت الاضطرابات في معظم المناطق التابعة للأمويين. فكثر عدد الناقمين على الحكم الأموي الذين انضموا إلى الدعوة العباسية، وقد استغل العباسيون إنشغال الأمويين بإخماد الاضطرابات في الدولة، فأعلن أبو مسلم بأمر من الإمام إظهار الدعوة والثورة على الحكم الأموي^(١).

وفي هذه الاثناء وقع كتاب من إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم في يد مروان بن محمد الذي عرف بأمر الدعوة^(٢)، فبعث إلى عامله على دمشق الوليد بن معاوية^(٣) الطلب من عامل البلقاء^(٤) القبض على الإمام، فقبض عليه وسجنه ثم قتل في سجنه بحران^(٥).

-
- (١) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣٥٢، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ١٠٦.
 - (٢) مؤلف من القرن ٣ هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ٢٩٢، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٢٧٠، المسعودي: التنبيه والأشراف، ص ٣٠٩، مؤلف مجهول: تاريخ الخلفاء، مخطوط، و ٥٧٥.
 - (٣) الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم، قتل سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م.
 - انظر : الكلبي: جمهرة النسب، ص ٣٩، مؤلف من القرن ٣ هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ٣٩٢، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ١٠، الأصفهاني: الأغاني، م ٨٠، ص ١٣١/ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ١٠٨، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٥٨، ص ٢٤١.
 - (٤) البلقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمان وبها الشراه/ ياقوت الحموي. معجم البلدان، ج ١، ص ٤٨٩، الحميري: الروض المعطار، ص ٩٦-٩٧.
 - (٥) مؤلف من القرن ٣ هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ٣٩٢، ٣٩٥-٣٩٧، ابن قتيبة: الامامة والسياسة، ج ٢، ص ١١٦، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٧، ص ٣٤٢، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٣٦-٤٣٧، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ١٢١/ ابن عبدربه: العقد الفريد، ج ٥، ص ٢٠٧، المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق شارل بيلا، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٠، ج ٤، ص ٨٤، وسيشار إليه هكذا: المسعودي: مروج الذهب، الأصفهاني: الأغاني، م ٨٠، ص ١٣١.
 - وحران: قصبة ديار مضر، على طريق الموصل والشام بجانب الرقة والرها، ياقوت: المشترك، ص ١٢٤، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٣٥-٢٣٦، البغدادي: مراصد، ج ١، ص ٣٨٩.

وكان الإمام في المسجد قد أوصى أحد رجال الدعوة وهو يقطين بن موسى^(١) - الذي تخفى بزي التجار واحتج بدين على الإمام فسمح له بالدخول لاستردادته^(٢) - أن يتم أبو مسلم الثورة ولا يتأثر بمصيره، وأن يولوا بعده أبا العباس^(٣) الذي خرج مع أهل بيته وأفراد بني العباس من الحميمة مستخفين بعد مقتل الإمام فنزلوا في دار أعداها لهم أبو سلمة الخلال^(٤).

فلم تؤثر وفاة الإمام على الثورة لأن أبا مسلم وقادته وصلوا زحفهم فسيطروا على خراسان وفارس^(٥)، ثم زحفوا إلى العراق وصلوا فيها العيد مخالفة لبني أمية^(٦)، ثم أعلنت مبايعة أبي العباس في الكوفة فبايعه معظم

- (١) يقطين بن موسى بن يقطين (ت ١٨٦هـ / ٨٠٢ م). انظر: اليعقوبي، أحمد بن واضح (ت ٢٩٢هـ / ٩٠٤ م): البلدان، عناية، م.ج، دي جويه، مطابع بريل، ليدن، ١٩٦٧، ضمن كتاب الأملق النفيسة ص ٢٤٣؛ وسيشار إليه هكذا: اليعقوبي: البلدان، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٧٣، النديم، محمد بن إسحاق (ت ٣٧٧هـ / ٩٨٥ م): الفهرست، مكتبة خياط، بيروت، ص ٢٢٤، وسيشار إليه هكذا: النديم: الفهرست، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٩٥-١٩٦.
- (٢) السمعاني: الانساب، ج ٤، ص ١٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٨٨.
- (٣) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٩٥، العسكري، أبو هلال الحسن (ت ٤٠٠هـ / ١٠٠٩ م): الأوائل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ص ٣٧٧، وسيشار إليه هكذا: العسكري: الأوائل، مؤلف مجهول: تاريخ الخلفاء، مخطوط، ٥٧٦.
- (٤) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٥٨، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٢٨-٤٢٩، المقدسي: البدء والتاريخ، ج ٦، ص ٦٦، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٢، ص ٨٦٦، م ١٨، ص ١٨٢. أبو سلمة حفص الخلال الوزير، قتل سنة ١٢٣هـ / ٧٥١ م.
- انظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٢٤٩ / المسعودي: التنبيه والاشراف، ص ٣٠٩ / العسكري: الأوائل، ص ١٠٠، ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد (ت ٦٥٦هـ / ١٢٣٢ م): شرح نهج البلاغة، تحقيق حسن تميم، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٣، م ٤، ص ٦٧٦، وسيشار إليه هكذا: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، الذهبي: سير، ج ٦، ص ٧-٨ / ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٥٦-٥٨.
- (٥) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٦٤، مؤلف من القرن ٣هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ٣٢٢-٣٤٢، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٠٦.
- (٦) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣٥٧، المقدسي: البدء والتاريخ، ج ٦، ص ٦٣.

الناس^(١). ويوم البيعة خطب أبو العباس وعمه داود بن علي^(٢) في الناس فشكروا الله على إعادة حق الخلافة لهم وانتزاعها من الأمويين، كما تحدثوا عن زوال جور الأمويين وأن العدل سيسود بقدم العباسيين^(٣).

وبعد البيعة واصلت القوات العباسية زحفها في البلاد حتى التقت مع الجيش الأموي في معركة الزاب^(٤) التي شهدت انتصاراً عباسياً فتح الطريق لبني العباس ليواصلوا سيطرتهم على الشام، وملاحقة آخر خليفة أموي في الشام وهو مروان بن محمد حيث تم قتله على أيديهم سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م في بوصير^(٥).

(١) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ٢، ص ٢٥٢، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٣١، ابن ماكولا، أبو نصر علي (ت ٤٧٥ هـ/ ١٠٨٢ م): الإكمال في رفع الأرتياب عن المؤتلف والمختلف بالأسماء والكنى والأنساب، تعليق عبد الرحمن اليماني، نشر محمد أمين نعيم، بيروت ١٩٦٢، م ٦، ص ١٢٦، وسيشار إليه هكذا: ابن ماكولا: الإكمال، ابن العمراني، محمد: الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي، نشر المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٦٠، وسيشار إليه هكذا: ابن العمراني: الأنباء.

(٢) داود بن علي بن عبد الله عباس (ت ١٣٣ هـ/ ٧٥٠ م). انظر: السدوسي: حذف من نسب قريش، ص ١٠-١١، الجاحظ: البيان والتبيين، ج ١، ص ٢٣٢، البسوي، أبو يوسف يعقوب (ت ٢٧٧ هـ/ ٨٩٠ م): المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٨١، م ٣، ص ٣٥٠، وسيشار إليه هكذا: البسوي: المعرفة والتاريخ، البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوط، ج ٢، و ٢٩٣، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٥٩، الذهبي، سير، ج ٥، ص ٤٤٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٥٨.

(٣) بخصوص خطبتيهما انظر: الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ/ ٨٦٨ م): البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي، بيروت، ط ٤، د، ت، ج ١، ص ٢٣٢، وسيشار إليه هكذا: الجاحظ: البيان والتبيين، المبرد، أبو العباس محمد (ت ٢٨٥ هـ/ ٨٩٨ م): الكامل في اللغة والأدب، تعليق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ج ٤، ص ١١١-١١٢، وسيشار إليه هكذا: المبرد: الكامل، ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ٢، ص ٢٥٢، خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٠٩، أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٧٠، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٢٥-٤٢٩، ابن أعمش، أبو محمد الكوفي (ت ٢١٤ هـ/ ٩٢٦ م): كتاب الفتوح، دار الندوة الجديدة، بيروت، ج ٨، ص ١٧٨-١٧٩، وسيشار إليه هكذا: ابن أعمش: الفتوح، ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٥٩.

(٤) الزاب: بين بغداد وواسط زابان الأعلى والأسفل، الزاب الأعلى يقع بين الموصل وأربل وبه حدثت المعركة، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٢٤/ البغدادي: مراصد، ج ٢، ص ٦٥٢.

(٥) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٠٤/ البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوط، ج ٢، و ٢٨٦، السمعاني: الأنساب، ج ٢، ص ٣٣٤.

وبوصير: قرية في الفيوم في مصر، من قرى كورة الأشمونيين/ ياقوت: المشترك، ص ٧٠، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٥٠٩، البغدادي: مراصد، ج ١، ص ٢٣٠، القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الفكر للثقافة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧، ج ٣، ص ٢٦٨، وسيشار إليه هكذا: القلقشندي: صبح الأعشى.

ب- حركات الأجناد ضد مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٥٠م)

(١) تمهيد

شهدت الفترة التي أعقبت حصول مروان بن محمد على الخلافة والتي امتدت من (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٥٠م) حالة من الفوضى والاضطراب في بلاد الشام، سببها الحركات التي قامت ضد مروان بن محمد في معظم أنحاء الشام.

ولم تكن الشام وحدها التي ثارت على مروان ، بل إن الحجاز واليمن وفارس والعراق بشكل عام شهدت جانباً غير قليل من تلك الحركات.

وإذا كان من أسباب لهذه الحركات- التي سنتناولها مفصلاً- فإن ذلك مرتبط بسياسة الخليفة مروان بن محمد التي اتبعها مع القبائل في الأجناد والتي قامت على تقريب فريق دون آخر^(١)، فمال مروان إلى القبائل القيسية، ولم ينظر للقبائل اليمنية فتأثر اليمنية من هذه السياسة وكانوا قاسماً مشتركاً في معظم الحركات ضد مروان.

وحتى المدن التي أيدت مروان أثناء سعيه للخلافة فإن مروان تخلى عنها، وعن الدافع الذي من أجله نال تأييدها ، كما حصل مع تدمير وحمص اللتين نال تأييدهما طمعاً منهما في الانتقام لخليفتهما المفضل الوليد بن يزيد الذي قتل سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٣م على يد ابن عمه يزيد بن الوليد.

وقد اكتشفت القبائل أن القرارات التي اتخذها مروان بن محمد بعفوه عن الثائرين عليه أثناء سعيه للخلافة^(٢)، ثم منحه الأجناد الشامية الحرية في اختيار قادتهم وولاتهم^(٣) إنما كان هدفه منه هو الحصول على تأييدها، خاصة وأن هذه القبائل معروفة بتأييدها لبني أمية^(٤).

(١) عمر، فاروق: العباسيون الأوائل، دار الارشاد، بيروت، ١٩٧٠، ص ١٣، الراوي، ثابت: في تاريخ الدولة العربية، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧٦، ص ٢٢٦.

(٢) فلهوزن، يوليوس: تاريخ الدولة العربية، نقله عن الالمانية محمد عبد الهادي أبو ريده، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٨، ص ٢٦١.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣١٢، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٥، ص ٢٤١.

(٤) صكبان، جاسم: دراسات في التاريخ العربي، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢٢٧.

وإذا كانت سياسة مروان مع القبائل قد حركت الأجناد الشامية لتثور عليه فان الفرق الدينية كالشيعة والخوارج واصلت ثوراتها ضد الأمويين فاعتبرت حكم مروان بن محمد كغيره من بني أمية باطلاً، فكانت ثورات الخوارج في منطقة الجزيرة واليمن والحجاز، وثورات الشيعة في العراق وفارس في هذه الفترة المضطربة.

(٢) منطقة الجزيرة

حركة سليمان بن هشام (١٢٧هـ/ ٧٤٤م)

بدأت هذه الحركة بعد حصول مروان بن محمد على الخلافة وسيطرته على الشام (١٢٧هـ/ ٧٤٤م) عندما خرج مروان من دمشق ليتفقد أوضاع الجزيرة وكان معه سليمان بن هشام أحد أمراء بني أمية^(١)، إلا أن الأخير ترك مروان متعللاً بإصلاح أمر له وذهب إلى الرصافة^(٢) وفيها دعا الناس إلى خلع مروان بن محمد فأطاعه بعض الناس الذين بايعوه بالخلافة لأحقيته بها ولأنه أفضل من مروان بن محمد^(٣).

وفي قنسرين جمع سليمان بن هشام عساكره وأعوانه وكتب لأهل الشام بإطاعته فأتوه من كل المناطق مؤيدين^(٤)، وكان أكثر مؤيديه من اليمانية^(٥) الذين رأوا في مساندتهم لسليمان عقاباً لمروان على إبعاده لهم وتحيزه للقيسية.

(١) سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان، قتل سنة ١٢٣هـ/ ٧٥١م بالحيرة. لما دخل مروان دمشق، نهب سليمان بيت المال مع أهله وجنده وهرب إلى تدمر، لكن بعد سيطرة مروان على الشام طلب سليمان الأمان من مروان فأمته وقربه، البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوط، ج ٢، و ٢٦٥، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣١١-٣١٢.

(٢) الرصافة: منطقة بالشام فيها توفي الخليفة هشام بن عبد الملك. وتقع غرب الرقة، الحميري: الروض المعطار، ص ٢٦٩، البغدادي: مرآة، ج ٢، ص ٦١٨.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوط، ج ٣، و ٢٦٥، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣٢٣-٣٢٤.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣٢٤.

(٥) الراوي: تاريخ الدولة العربية، ص ٢٢٦.

ونتيجة لهذا التأييد فقد اجتمع مع سليمان جيش كبير^(١) أعدده لهزيمة مروان الذي كان أكثر تصميماً على هزيمة سليمان، وفعلوا التقى الطرفان في سنة (١٢٧هـ/٧٤٤م) في خساف^(٢) التي شهدت النصر لجيش مروان الذي قرر قتل كل الأسرى الذين وقعوا بيديه إلا العبيد منهم فكان ما أسر مروان يزيد على الثلاثين ألفاً^(٣). وربما أراد مروان من قتل الأسرى أولاً التخلص منهم فلا يعادون الثورة عليه مرة أخرى، وثانياً أراد إعطاء تحذير لغيرهم بمواجهة نفس المصير إذا فكروا بالخروج عليه.

ورغم النصر الذي حققه مروان في خساف، فإنه لم يستطع القضاء على سليمان بن هشام الذي هرب إلى تدمر وبقي فيها^(٤) حيث قاد في تلك المنطقة ثورة أخرى مع أهل حمص وتدمر ضد مروان بن محمد -ستأتي تفاصيلها في مكان آخر-.

وإذا كان مروان قد قضى على هذه الحركة بفترة قصيرة، فإنه قضى معظم خلافته في محاربة هذه المنطقة، ولكن خصمه الذي أفنى مروان معظم وقته في محاربته في هذه المنطقة كانوا هم الخوارج الذين وكما قلنا كانوا من المعارضين لمروان بن محمد.

حركات الخوارج (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٤٩م)

غلب الفكر الخارجي على كثير من أفراد منطقة الجزيرة^(٥). ولما بدأت مدن الشام في الخروج على مروان استغل الخوارج تلك الإضطرابات وبدأوا بالثورة على الدولة الأموية^(٦).

(١) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣٢٤، ابن عساکر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٧، ص ٦٥١، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٨؛ حوادث (١٢١-١٤٠هـ)، ص ٤٤٦، وسيشار إليه هكذا: الذهبي: تاريخ الإسلام.

(٢) خساف: منطقة برية بين بالس وحلب، بها قرى، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٧٠، البغدادي: مرآة، ج ١، ص ٤٦٦.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣٢٥، مؤلف مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، عناية م.ج، دي جويه، مطابع بريل، ليدن، ١٨٧١، ج ٣، ص ١٥٨، وسيشار إليه هكذا: مجهول: العيون والحدائق.

(٤) مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ج ٣، ص ١٥٩.

(٥) العش: الدولة الأموية، ص ٢٠٢.

(٦) حسن، نبيله: في تاريخ الدولة العربية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٠، ص ٢٧٦.

وكان الضحاك^(١) الخارجي هو أول الذين خرجوا على مروان وقدموا إلى منطقة الجزيرة بعد أن استولى على أكثر العراق^(٢)، ثم دخل الموصل مع جيشه بعد أن فتح له أهلها أبو ابها^(٣).

وقد ازدادت قوة الضحاك بعد التأييد الذي حظي به من أعوان سليمان بن هشام الذين فروا من حمص^(٤)، ومن الأمويين في العراق^(٥) وكذلك من أهل الشام الذين هربوا من بيعة مروان بن محمد بعد أن أعلمهم الضحاك أنه لا يريد حاجة من الدنيا وأنه ما ثار إلا لإقامة حكم الله وقتل مروان^(٦).

لكن هذا الجيش الكبير لم يحقق الانتصار للضحاك الذي هُزم من قبل عبدالله بن مروان بن محمد في ١٢٨هـ/٧٤٥م في كفرتوثا^(٧)، حيث قتل من جيش الضحاك ما يقارب السبعة آلاف رجل^(٨)، وكان الضحاك نفسه أحد هؤلاء

-
- (١) الضحاك بن قيس بن الحصين بن محكم، قتل سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م.
- انظر: الكلبي: جمهرة النسب، ص ٤٩٨، خليفة: تاريخ خليفة؛ ص ٤٧٩، ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م): المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، دار الكتب، مصر ١٩٦٠، ص ٣٦٩، وسيشار إليه هكذا: ابن قتيبة: المعارف/البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوط، ج ٣، ص ٢٧١-٢٧٤، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٢٤٤، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٣٠.
- (٢) المسعودي: التنبيه والأشراف، ص ٢٩٢، المنبجي، أعاب يوس (ت ١٠٠هـ/١٠٠م): المنتخب من تاريخ المنبجي، إنتخبه وحققه عمر عبد السلام التدمري، دار المنصور، طرابلس، ١٩٨٦، ص ١٠٠، وسيشار إليه هكذا: المنبجي: تاريخ المنبجي.
- (٣) مؤلف مجهول: العيون والحداثق، ج ٣، ص ١٥٩.
- (٤) المسعودي: التنبيه والأشراف، ص ٢٩٢/الذهبي: تاريخ الإسلام، حوادث (١٢١-١٤٠هـ)، ص ٣١٣.
- (٥) ابن حمدون، محمد بن الحسن (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م): التذكرة، مخطوط، ميكروفيلم في مكتبة الجامعة الأردنية، مركز الوثائق والمخطوطات، رقم (٦٠٩)، صور عن مخطوطة AHMET، رقم ١٢-٢٩٤٨، ج ١٢، و ٦٦، وسيشار إليه هكذا: ابن حمدون: التذكرة، مخطوط.
- (٦) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٢٧٩.
- (٧) كفرتوثا: من كور نصبين من ديار ربيعة، مدينة حصينة، الحميري: الروض المعطار، ص ٤٩٩، البغدادي: مراصد، ج ٣، ص ١١٩٩.
- (٨) مؤلف مجهول: العيون والحداثق، ج ٣، ص ١٦٠.

القتلى^(١)، وبما أن شخصية الزعيم أو القائد لعبت دوراً في معارك الخوارج، فقد كانوا بعد قتله يجتمعون تحت قيادة رجل آخر^(٢).

وهذا دفع الباقين من الخوارج لمبايعة رجل إسمه الخيبري تمتع بشجاعة كبيرة دفعته للوصول إلى خيمة مروان بن محمد الذي كاد يقتل، إلا أن نهاية الخيبري كانت مثل الضحاك حيث قتل سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م^(٣). وبعد قتل الخيبري ولى الخوارج مكانه رجلاً إسمه شيبان^(٤) كان على درجة من القوة بحيث هزم جيش مروان رغم فارق العدد والعدد^(٥)، فأدى ذلك إلى طلب مروان المدد من ابن هبيرة^(٦) في العراق فأمدّه بعامر بن ضبارة^(٧) فأدى ذلك إلى تراجع شيبان نحو الموصل^(٨)، فقطع ابن ضبارة الطعام والمدد العسكري عن شيبان من العراق، وقطع مروان ذلك أيضاً من

(١) ابن قتيبة: المعارف، ص ٣٦٩، البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوط ج ٢، و ٢٧١-٢٧٤، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٢٤٧.

(٢) عمر: العباسيون الأوائل، ص ٢٦٥.

(٣) ابن قتيبة: المعارف، ص ٣٦٩، البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوط، ج ٢، و ٢٧٣-٢٧٤، المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٨٠، المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، ص ١٠٥.

(٤) شيبان بن عبد العزيز بن سلمة الحروري، قتل سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م.

انظر: ابن قتيبة: المعارف، ص ٣٦٩، خليفة: تاريخ خليفة، ص ٣٨٧، البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوط، ج ٣، و ٢٧٤-٢٧٥، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٢٨٥-٢٨٦، الذهبي: تاريخ الاسلام، حوادث (١٢١-١٤٠هـ)، ص ١٩، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٣٦-٣٧.

(٥) مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ج ٣، ص ١٦٠.

(٦) يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري، قتل سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م.

انظر: خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٠٩، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣٢٧، ٣٧٦، الذهبي: سير، ج ٦، ص ٢٠٨، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٤١، ٥٦.

(٧) عامر بن ضبارة المري، قتل سنة ١٣١هـ/٧٤٨م.

انظر: خليفة: تاريخ خليفة، ص ٣٧٩، الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٦٤، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣٥٠، ٤٠٥، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، ج ٦، ص ٤٥.

(٨) ابن قتيبة: المعارف، ص ٣٦٩.

الشام، فأدى ذلك إلى ضعف قوات شيبان حيث لم يجدوا الطعام لهم ولدوابهم^(١)، وكان هذا الحصار الذي فرض على شيبان ثمرة من ثمار الذكاء والتخطيط الحربي والعسكري الذي كان يتمتع به مروان وقادته والذي أهله لتحقيق الانتصار.

لكن مصير شيبان لم يكن على يد الأمويين وإنما على يد العباسيين الذين اشتعلت ثورتهم في هذه الفترة حيث رفض شيبان البيعة للعباسيين فبعث أبو مسلم الخراساني رجلاً قتله، وكان ذلك في (١٣٠هـ/٧٤٧م)^(٢).

وهكذا استطاع مروان أن يقضى على الحركات في منطقة الجزيرة بعد صراع طويل مع الخوارج الذين حاربوه ما يقارب الخمس سنوات بين (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٥٠م) وكان لحركاتهم أثر على الدولة الأموية التي انشغلت بهم عن متابعة الدعوة العباسية^(٣) التي كسبت عدداً كبيراً من المؤيدين في خراسان من العرب والموالي على السواء^(٤).

(٣) حمص وتدمر (١٢٧هـ/٧٤٤م)

بعد حصول مروان بن محمد على الخلافة وسيطرته على الشام (١٢٧هـ/٧٤٤م)، لم ترض حمص وتدمر عن حكم مروان بن محمد وذلك لسببين: أما الأول فيعود إلى سياسة مروان بن محمد التي أهمل فيها القبائل الكلبية المعروفة بولائها للأمويين خاصة وأنها تشكل أغلبية جيشهم، فكان إهمالها من قبل مروان يعد انتقاصاً من مكانتها في الدولة، لذلك ثارت على مروان في حمص وتدمر، لأنها تشكل معظم سكان هاتين المدينتين.

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوط، ج ٣، و ٢٧٤-٢٧٥، مجهول: العيون والحدائق، ج ٣، ص ١٦٠.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣٨٦.

(٣) حمادي، محمد جاسم: الجزيرة الفراتية والموصل، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٩٧٧، ص ٥٢٥، ٥٢٧.

(٤) عطوان: الدعوة العباسية، "مبادئ وأساليب"، ص ٢٦٣.

والسبب الثاني لثورة المدينتين على مروان، أنهما ساندتا مروان أثناء خروجه من الجزيرة إلى الشام (١٢٦هـ/٧٤٣م) بهدف انتقام مروان لهما من قتلة خليفتهما المقتول الوليد بن يزيد ومبايعة إبنيه. لكن مروان بعد أن سيطر على الشام حقق الخلافة لنفسه، فكان خروج مروان في نظرهم تحقيقاً لمصلحته. وقد أعلن أهل حمص خروجهم على مروان بن محمد بعد أن قضى مروان بن محمد على حركة سليمان بن هشام في الجزيرة فهاجموا على عامله عبدالله بن شجرة السكسكي وقتلوه سنة ١٢٧هـ/٧٤٤^(١).

وكان رد فعل مروان قوياً فصار لهم ونصب المجانيق على المدينة^(٢)، ويذكر الطبري في حوادث سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م أن مروان وضع على المدينة اثنين وثمانين منجنيقاً كانت تضربهم في الليل والنهار وهم يقاومون الحصار ويقاقلونه^(٣).

لكن شدة الحصار أنهكت أهل حمص فطلبوا الأمان من مروان فأمنهم^(٤)، لكنهم عادوا مرة أخرى وأعلنوا الخروج عن طاعته إستجابة لدعوة ثابت بن نعيم الجذامي الذي ثار في هذا الوقت في فلسطين والأردن^(٥).

وقد ساند أهل حمص في خروجهم هذا أهل تدمر الذي قدموا بقيادة الاصبع بن ذؤالة الكلبي وأولاده^(٦). وهذه المساندة لم تكن لتحقيق الانتصار لهم، لأن مروان أحكم الحصار عليهم، فأدى ذلك إلى فتحهم أبواب المدينة لمروان بن محمد فدخلها^(٧).

(١) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٢٢٥، المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، ص ١٠٢، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٤م، تحقيق مطاع الطرابيشي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٦، ص ١٢٣.

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٢٤٠، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٢٢٦.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٢٢٦.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٢٢٦، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٧، ص ٣٦١.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٢١٢.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣١٢، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٦، ص ١٠٧.

(٧) ابن أبي الدم: الشماريخ، مخطوط، و ٥٩ أ.

وكان عقاب مروان لهم شديداً إذ أمر أصحابه أن يخرّبوا كورها ومزارعها^(١)، كما هدم سور المدينة^(٢)، وبالإضافة لذلك فقد صلب من أهلها أكثر من خمسمائة رجل^(٣) كان منهم القائد الكلبي الأصمغ بن ذؤالة وذلك سنة (١٢٧هـ/٧٤٤م)^(٤)، وبعد أن قضى مروان على ثورة أهل حمص سار بنفسه إلى تدمر لأنه كان يدرك قوة القبائل الكلبية فيها^(٥)، لكن أهلها عرفوا بأفعال مروان في حمص لذلك طلبوا الأمان من مروان فأمنهم^(٦).

(٤) فلسطين والأردن (١٢٧-١٢٨هـ/٧٤٤-٧٤٥م)

لما استقر الأمر لمروان بالشام، منح الأجناد حرية إختيار ولاتهم فاختار أهل فلسطين ثابتاً بن نعيم الجذامي والياً عليهم^(٧)، فوافق مروان على اختيارهم رغم أن ثابتاً كان قد خرج عليه سنة (١٢٦هـ/٧٤٣م) أثناء سعيه للحصول على الخلافة^(٨)، والسبب الذي دفع مروان لهذا الأمر هو ضمان ولاء هذا الزعيم وأهل فلسطين له حتى تستقر أموره في الشام.

ولم يقدر ثابت المكانة التي منحها إياه مروان فاستغل خروجه من الشام لمحاربة الخوارج أواخر (١٢٧هـ/٧٤٤م)^(٩) وأعلن خروجه عن طاعته، وراسل أهل

- (١) المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، ص ١٠٣.
- (٢) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٢٧٤، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٣٤٠، ابن الشحنة، أبو الفضل محمد (ت ١٨٩٠هـ/١٤٨٥م): الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، دار الكتاب العربي، ومالم التراث، دمشق ١٩٨٤، ص ٢٨٤، وسيشار إليه هكذا: ابن الشحنة: الدر المنتخب.
- (٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣١٣، ابن الشحنة: الدر المنتخب، ص ٢٧٤.
- (٤) ابن حبيب: المحبر، ص ٢٨٥، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٦، ص ١٠٧.
- (٥) عاقل، نبيه: خلافة بني أمية، دار الفكر، دمشق، ط ٣، ١٩٧٥، ص ٣٥٩.
- (٦) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣١٣، الذهبي: تاريخ الاسلام، حوادث (١٢١-١٤٠هـ)، ص ١٧.
- (٧) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣١٢، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٥، ص ٢٤١.
- (٨) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٣، ص ٥٧٩.
- (٩) قدامة بن جعفر، (ت ٣٢٩هـ/٩٤٠م): الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١، ص ٣٣٤، وسيشار إليه هكذا: قدامة: الخراج.

الشام ودعاهم للخروج معه^(١)، كما راسل أهل مصر ليخلعوا مروان بن محمد فوافقوه^(٢)، كما نال ثابت تأييد القبائل اليمانية لسببين: أولاً لأنه منهم^(٣) وثانياً لمعارضتهم سياسة مروان التي قامت على تقريب القبائل القيسية وإبعادهم.

وقد دعم من موقف ثابت خروج أهل حمص وتدمير على مروان بالإضافة إلى الخوارج في منطقة الجزيرة. فجمع أعوانه في طبرية^(٤) ولم يستطع مقاومة قادة مروان بن محمد الذين بعثهم مروان فهزم بعد تفرق أصحابه عنه وهرب متخفياً إلى فلسطين لكن عامل فلسطين الرماحس بن عبد العزيز الكناني عرف مكانه ودلّ عليه فحمل مع أولاده وجماعة من أعوانه إلى دمشق حيث أمر مروان بتقطيع أيديهم وأرجلهم، ثم صلبوا على أبواب دمشق^(٥).

وبمقتل ثابت انتهت هذه الحركة والتي كانت من أخطر الحركات التي واجهها مروان في الشام، لأن ثابتاً قد أشعل ثورات الشام كلها، فثارت تدمير بناءً على دعوته، وحمص نكثت الأمان مع مروان استجابةً لثابت^(٦)، والغوطة^(٧) أيضاً ثارت استجابة لدعوة ثابت^(٨) وزيادة على ذلك فإنه ألّب أهل مصر على مروان فدعاهم لخلعه فأجابوه^(٩).

- (١) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣١٢.
- (٢) الكندي، أبو عمر يوسف (ت ٣٥٠ هـ/١٩٦١): كتاب الولاة والقضاة، تصحيح رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨، ص ٨٥، وسيشار إليه هكذا: الكندي: الولاة والقضاة.
- (٣) عاقل: خلافة بني أمية، ص ٣٥٣، فلهوزن: تاريخ الدولة العربية، ص ٣٥٩.
- (٤) طبرية: من أعمال الأردن، مطلة على البحيرة المعروفة بإسمها ويطل عليها جبل الغور، ياقوت: معجم، ج ٤، ص ١٧، وتبعد ٢٠ كم إلى جنوب مصب نهر الأردن في البحيرة، شراب، محمد: معجم بلدان فلسطين، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ١٩٨٧، ص ٤٩٨.
- (٥) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٣٧٤، البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوط، ج ٣، و ٢٦٥، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٣١٩، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣١٤، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٢، ص ٥٨٠.
- (٦) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣١٣.
- (٧) الغوطة: الكورة التي فيها دمشق، وهي موضع متصل بدمشق من جهة باب الفراديس، تحيط بها الجبال وكلها أشجار متصلة، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢١٩، الحميري: الروض المعطار، ص ٤٣١.
- (٨) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٨، ص ٢٧٠.
- (٩) الكندي: الولاة والقضاة، ص ٨٥.

استجاب أهل الغوطة لدعوة ثابت الجذامي فخرجوا عن طاعة مروان بن محمد^(١) بقيادة يزيد بن خالد القسري^(٢). وكما فعل ثابت مع أهل مصر فإن أهل الغوطة أيضاً بعثوا إلى أهل مصر يدعونهم لخلع مروان بن محمد^(٣). وقد اتجه أهل الغوطة إلى دمشق فحاصروا عاملها زاملاً بن عمرو السكسكي بعد إعلانهم عزله وتعيين يزيد بن خالد بن عبدالله القسري، لكن أهل دمشق ثبتوا مع زامل حتى قدوم جيش مروان بن محمد فهجم على يزيد وأعدائه وقتلوه، كما أحرقوا سنة (١٢٧هـ/٧٤٤م) قرية المزة اليمانية^(٤).

وبملاحظة إحراق المزة، نجد أن المدن التي كانت تثور على مروان هي تلك التي كان يغلب على سكانها اليمانية، لأن هؤلاء رأوا في ثوراتهم على مروان انتقاماً لسياسته المتعصبة والتي مال فيها للقيسية.

دير أيوب^(٥)

خرج فيها على مروان أحد الأمراء، الأمويين وهو عبد الملك بن عبد العزيز بن الوليد وكان ذلك سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م، وقد كان هدف عبد الملك من الخروج هو

- (١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٨، ص ٢٧٠.
- (٢) الذهبي: تاريخ الاسلام، حوادث (١٢١-١٤٠هـ)، ص ١٧.
- (٣) الكندي: الولاة والقضاء، ص ٨٦.
- (٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٨، ص ٢٧٠، الذهبي: تاريخ الاسلام، حوادث (١٢١-١٤٠هـ)، ص ١٧.
- والمزة: قرية كثيرة الماء وسط بساتين دمشق، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٢٢. وتبعد ٣ كم عن دمشق، ابن المبرد، جمال الدين يوسف (ت ٩٠٩هـ/١٥٠٣م): رسائل دمشقية، تحقيق صلاح الخيمي، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٨، الهامش، ص ٢٥، وسيشار إليه هكذا: ابن المبرد: رسائل دمشقية.
- (٥) دير أيوب: قرية بحوران من نواحي دمشق، سميت نسبة إلى أيوب عليه السلام لأن بها قبره/ ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٩٩، ابن عساكر: تاريخ دمشق، م ٢٨، تحقيق سكيئة الشهابي، ص ٤٢١، البغدادي: مرصد، ج ٢، ص ٢٥٢.

الحصول على الخلافة، لأنه كان مرشحاً لذلك أيام الخليفة يزيد بن الوليد (الناقص)، وكان يزيد قد وعده أن يجعله ولي عهده، لكنه لم يف له بذلك. وهذا الأمر دفع عبد الملك للخروج على مروان بعد توليه الخلافة ومطالبته بها، لكن مروان سقاه سماً فمات، ثم قضى على أعوانه^(١).

وكما أشرنا فإن الحركات ضد مروان لم تقتصر على بلاد الشام فحسب، وإنما شملت معظم المناطق التابعة للدولة الأموية. وكانت أخطر الحركات التي واجهها مروان تلك التي قامت في العراق وفي اليمن والحجاز.

ففي الحجاز خرج على مروان أبو حمزة الخارجي^(٢) في أواخر سنة ١٢٧هـ/٧٤٥م فادعى أنه خرج لأقامة العدل^(٣)، وفي نفس الوقت الذي خرج فيه أبو حمزة خرج عبدالله بن يحيى الملقب «بطالب الحق»^(٤) في اليمن حيث بايع أبو حمزة لطالب الحق - بعد أن رأى كثرة أتباعه - بالخلافة^(٥). لكن مروان بن محمد بعث جنوده فاستطاعوا أن يهزموا قوات طالب الحق وأبي حمزة في معركة قديد^(٦) أواخر سنة (١٣٠هـ/٧٤٧م)^(٧).

- (١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٠، ص ٤٦٧.
- (٢) أبو حمزة المختار الخارجي، قتل سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م.
- انظر: الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٢٩٩، الأصفهاني: الأغاني، م ٢٣، ص ٢٢٧-٢٣٥، المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٢٩٢، الذهبي: تاريخ الإسلام، حوادث (١٢١-١٤٠هـ)، ص ٢٧-٢٩.
- (٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٢٩٥، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٤، ص ٢٠٠.
- (٤) عبدالله بن يحيى الكندي (طالب الحق)، قتل سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م.
- انظر: ابن الكلبي، هشام (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م) : جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن، دار عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢٥٨، وسيشار إليه هكذا: ابن الكلبي: جمهرة النسب، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٠٠، الأصفهاني: الأغاني، م ٢٣، ص ٢٢٤-٢٢٧، ابن عساکر: تاريخ دمشق، م ١٨، ص ٢٣٧، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٣٩.
- (٥) الزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م) : جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمود شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٢٨١هـ، ص ٢٣٤، وسيشار إليه هكذا: الزبير بن بكار: جمهرة نسب قريش، المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٢٩٢، الأصفهاني: الأغاني، م ٢٣، ص ٢٢٣-٢٢٧.
- (٦) قديد: حصن صغير كثير البساتين في الطريق بين مكة والمدينة، ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣١٣، الحميري: الروض المعطار، ص ٤٤٥، البغدادى: مرآصد، ج ٢، ص ١٠٧١.
- (٧) الزبير بن بكار: جمهرة نسب قريش وأخبارها، ص ٢٣٤-٢٣٥، المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٢٩٢، ابن عساکر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٨، ص ٢٤٦.

وقد كانت هذه الحركة من أخطر حركات الخوارج التي واجهها مروان طيلة حكمه لأنها امتدت من الحجاز إلى اليمن. ولأنها استمرت فترة تقارب الأربع سنوات^(١).

وكما ثورة أبي حمزة وطالب الحق، فإن ثورة عبدالله بن معاوية^(٢) في العراق وفارس كانت على درجة كبيرة من القوة. فقد استغل ابن معاوية ضعف عامل مروان على العراق عبدالله بن عمر، وأعد ثورته بتحريض من الشيعة واتخذ الكوفة مركزاً لدعوته الشيعية في (١٢٨هـ/٧٤٥م)^(٣). وفي الكوفة انتشر أمر ابن معاوية فحصل علىبيعة كثير من أهلها كما بايعه عدد من أمراء بني أمية^(٤) وبعض أهل الشام^(٥). وسعيًا من مروان للقضاء على ثورته قبل إمتدادها، فقد وجه له غامر بن ضبارة فطرده من الكوفة^(٦)، فنزل بلاد فارس واستمر في ثورته حيث بويع بمدينة أصفهان^(٧)، لكن بعد سنتين من ثورته أي في سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م تم القضاء على ثورته بمقتله على يد العباسيين^(٨).

- (١) الغلوي، هادي: "الاغتيال السياسي في الاسلام"، مجلة دراسات عربية، م ٢٢، عدد ٤، ص ٧٢.
- (٢) عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر، قتل سنة ١٣١هـ/٧٤٩م.
- انظر: السدوسي: حذف من نسب قريش، ص ١٧-١٨، خليفة: تاريخ خليفة، ص ٣٩٠، مؤلف من القرن ٣ هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ٢٥١، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣٠٢-٣٠٨، الأصفهاني، أبو الفرج (ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م): مقاتل الطالبين، تحقيق السيد أحمد صقر، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٩، ص ١٦٩، وشيشار إليه هكذا: الأصفهاني: مقاتل الطالبين، الذهبي: تاريخ الاسلام، حوادث (١٢١-١٤٠هـ)، ص ١٧.
- (٣) الراوي: تاريخ الدولة العربية، ص ٢٢٧، شعبان: الثورة العباسية، ص ٢٣٧.
- (٤) الأصفهاني: مقاتل الطالبين، ص ١٦٩.
- (٥) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٣٧٥، الأصفهاني: مقاتل الطالبين، ص ١٦٧.
- (٦) السدوسي: حذف من نسب قريش، ص ١٨.
- (٧) السدوسي: حذف من نسب قريش، ص ١٨، الذهبي، شمس الدين (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م): أسماء الذين راموا الخلافة، نشر وتقديم صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط ٢، ١٩٧٨، ص ٨٠، وشيشار إليه هكذا: الذهبي: أسماء.
- (٨) السدوسي: حذف من نسب قريش، ص ١٨، كاهن: تاريخ العرب والشعوب الاسلامية، ص ٤٩.

وخرج على مروان في سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م أبو بكر بن عبد الرحمن الصديق الشاري في السوس^(١)، كما خرج عليه منصور بن جمهور الكلبي في نفس السنة في الجبل^(٢)، وقد استطاعت جيوش مروان أن تقضي على هذه الحركات.

جـ- معركة الزاب (١٣٢هـ/٧٤٩م)

في الوقت الذي كان فيه مروان بن محمد يوزع جهوده وجهود أعوانه وجيوشه لمحاربة الحركات التي قامت ضده في أجناد الشام، والعراق واليمن والحجاز وفارس، كان قرار الأنمة العباسيين إلى دعائهم والقائمين على أمور الدعوة بإظهار الدعوة وإعلانها في خراسان، فجاء هذا القرار متلازماً مع الحالة التي أصبح عليها الأمويون وأعوانهم من الضعف والتفرق والإنقسام.

ولنا أن نستنتج هذه الحالة من الكتاب الذي بعثه نصر بن سيار^(٣) عامل مروان على خراسان إلى مروان نفسه والذي نعت فيه بني أمية بالنيام فقال:

أرى خلل الرماد وميض نار	ويوشك أن يكون لها ضرام
فإن النار بالعودين تذكى	وان الشر نتيجه الكلام
أقول من التعجب ليت شعري	أيقاظ أمية أم نيام

(الوافر)

(١) الزبيري، أبو عبدالله المصعب (٢٣٦هـ/٨٥٠م): نسب قريش، نشر ليفي بروفنسال، دار المعارف مصر، ط ٢، ١٩٥٣، ص ٢٧٩، وسيشار إليه هكذا: الزبيري: نسب قريش.
والسوس: بلدة بجوزستان، وقيل بلده بما وراء النهر، ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٨٠-٢٨١.

(٢) مؤلف من القرن ٣ هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ٢٥١، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣٧٢.

والجبل: البلاد المعروفة بين أصبهان وقزوین وهمذان والدينور إلى الري وما بين ذلك من الكور والجبال، ياقوت: معجم: البلدان، ج ٢، ص ٩٩.

(٣) نصر بن سيار بن رافع بن هلال بن ليث. قتل سنة ١٣٠هـ/٧٤٨م.
انظر ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص ١٤٨، خليفة: تاريخ خليفة، ص ٢٩٦، البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوط، ج ٣ و ٢٧٤-٢٧٥، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٠٣، ابن خلکان: وفيات الأعيان، م ٧، ص ١٠٨، الذهبي: سير، ج ٥، ص ٤٦٤.

وإضافة لذلك فإن رد مروان عليه صور حالة الضعف بشكل أكبر حيث وكل له الأمور وأن ليس عنده ما يقدمه إليه^(١).

وإذا كانت حالة الضعف التي كان عليها مروان سببها الحروب التي خاضها للقضاء على الحركات التي قامت ضده في كافة أنحاء الدولة؛ فإن حالة الضعف التي أصبح عليها أعوانه في خراسان سببها الجهد الذي بذله الدعاة العباسيون وعلى رأسهم أبو مسلم الذين أشعلوا نار العصبية بين عرب خراسان فأدى ذلك إلى إنقسامهم وتفرقهم.

ونتيجة لذلك رفع العباسيون الأعلام السوداء وشعارات الدعوة المتمثلة بالظل وهو لواء العباسيين، والسحاب وهي رايتهم^(٢)، وتم بعدها إعلان الثورة العباسية.

وقد استطاعت الثورة بوقت قصير أن تسيطر على بلاد خراسان رغم المقاومة التي بذلها بعض عرب خراسان وأهل الشام في بعض المناطق كجرجان^(٣) ونهاوند^(٤)، ثم زحفت قوات الثورة باتجاه الشام، فدخلت العراق، وكانت في

(١) ابن قتيبة: الامامة والسياسة، ج ٢، ص ١١٥، ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ١، ص ١٢٨، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٢٤١، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣٦٩، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ١، ص ٦٨، المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٧٩، المقدسي: البدء والتاريخ، ج ٦، ص ٦٤-٦٣، ابن عساکر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٦، ص ٢٨٦، الأربلي، عبد الرحمن بن قنيتو (ت ٧١٧هـ / ١٣١٧م)؛ خلاصة الذهب المسبوك. «مختصر من سير الملوك»، مكتبة المثنى، بغداد، ص ٤٩، وسيشار إليه هكذا: الأربلي؛ خلاصة الذهب، أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)؛ المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ١٩٨٩، ج ١، ص ٢٠٨-٢٠٩، وسيشار إليه هكذا: أبو الفداء: المختصر.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣٥٦، وأما المقصود (بالظل) فكما أن الأرض لا تخلو من الظل فهي كذلك لا تخلو من خليفة عباسي، وأما (السحاب) فإنه يطبق الأرض، والعباسيون سيفعلون ذلك.

انظر: مجهول: العيون والحدائق، ج ٣، ص ١٨٦، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ١١٩.

(٣) مؤلف من القرن ٣ هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ٣٢٨-٣٢٩. وجرجان: مدينة شهيرة بين طبرستان وخراسان، بعضهم عدها للأولى وآخرون للثانية، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١١٩.

(٤) ابن قتيبة: المعارف، ص ٣٧. ونهاوند: مدينة عظيمة في قبلة همذان، وهي أقدم مدينة بمنطقة الجبل، ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣١٣.

واسط^(١) مواجهة كبرى بين أعوان الأمويين وأهل الشام من جهة والقوات العباسية من جهة أخرى استمرت حتى بعد سقوط الدولة الأموية، مما يدل على مقاومة أهل الشام ومؤيدي بني أمية ودفاعهم عن دولتهم.

لكن الحالة التي كان عليها أصحاب الدعوة العباسية لم تكن لتقاوم لذلك زحفوا بقوة نحو الشام فكان لا بد من المواجهة التي وقعت قريباً من نهر الزاب الذي انحرف إليه العباسيون بعدما سمعوا بتحصن مروان بن محمد وجنوده من أهل الشام والجزيرة وأبناء بني أمية في الموصل^(٢).

وقد قاد الجيش العباسي المتوجه لقتال مروان بن محمد أحد العباسيين وهو عبدالله بن علي^(٣)، وكان هدف أبي العباس من تسليمه قيادة الجيش مضاعفة قوة الجيش بالإضافة إلى أنه أراد أن يصبغ الانتصار على الأمويين بصبغة عباسية ويقرنه بأحد أفراد الأسرة العباسية.

وقبل المواجهة طلب مروان المصالحة^(٤) بهدف كسب الوقت لترتيب جنده، لكن عبدالله بن علي أصر على قتاله لارتفاع معنويات جنده^(٥)، وفعلاً حدثت المواجهة بين الجيشين، وأحكمت القوات العباسية الحصار على جيش مروان فأدى ذلك إلى انهزام عدد كبير من أفرادهم. وحاول مروان أن يجمع المنهزمين وطلب من فرقة أن يقاتلوا

(١) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ١٢٥، ابن أعثم: كتاب الفتوح، ج ٨، ص ٢٠٢.
وواسط: مدينة تتوسط البصرة والكوفة، بناها الحجاج، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٤٧-٣٥٢، الحميري: الروض المعطار، ص ٥٩٩.

(٢) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٠٣، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٣٢، الأزدی: تاريخ الموصل، ص ١١٧، ابن حمدون: التذكرة، مخطوط، و ٦٩ ب.

(٣) عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس، قتل سنة ١٤٧هـ / ٧٦٤م.
انظر البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوط، ج ٣، و ٢٧٩، ٢٩١، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٥٠١-٥٠٢، ج ٨، ص ١٠٧، ابن رأس غنمة، أبو الوليد اسماعيل الأشبيلي (ت بعد ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) : مناقل الدرر ومناهب الزهر، مخطوطة جستریتی رقم (٤٢٥٤)، لدى الدكتور محمد عيسى صالحية، مخطوط، و ١١٢ ب، ١١٣ ب، ١١٥ ب، وسيشار إليه هكذا: ابن رأس غنمة: مناقل الدرر، الذهبي: سير، ج ٦، ص ١٦١-١٦٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٠٧.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٣٢، مجهول: العيون والحدائق، ج ٣، ص ٢٠٢.

(٥) المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، ص ١٠٨.

فتعلت كل فرقة بالأخرى^(١)، وحاول مروان إغرائهم بالمال فانشغلوا به^(٢) وتفرق الجيش وحدث الازدحام عند جسر الزاب، فمات عدد نتيجة دوس الأرجل^(٣)، كما قطع الجسر ففرق عدد كبير من أهل الشام عامة والأمويين بشكل خاص^(٤).

وحسبما يذكر الطبري فإن عدد الغرقى كان أكثر من القتلى^(٥)، وقد تم إستخراج عدد من الغرقى بواسطة الملاحين والغواصين بأمر من عبدالله بن علي^(٦).

وهكذا إنتهت المعركة بهزيمة الجند الأموي، وإذا كان من أسباب لهذه الهزيمة، فإن القوة العباسية ومعنويات الجنود الخراسانيين، وحنكة القيادة كانت من أهم الأسباب. وبالإضافة لذلك فإن الجيش الأموي كان متفرقاً ومعنوياته ضعيفة^(٧) حيث انسحب عدد من الجنود قبل المعركة، كما انسحب كثير أثناءها^(٨). ولم يستطع مروان ابن محمد أن يسيطر على جنوده فكانت الهزيمة^(٩).

- (١) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٣٣، ٤٣٥.
- (٢) مجهول: العيون والحدائق، ج ٣، ص ٢٠٣، ابن طباطبا، محمد بن علي (ت ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د. ت، ص ١٤٧، وسيشار إليه هكذا: ابن طباطبا: الفخري في الآداب.
- (٣) المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، ص ١٠٩.
- (٤) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٣٥، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٦، ص ٣٢٨ و ١٤٤، ص ٣٦٨، وم ١٨، ص ١٨٧، الحميري: الروض المعطار، ص ٢٨١.
- (٥) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٣٥.
- (٦) الأزدي: تاريخ الموصل، ص ١٣١.
- وقد كان من ضمن الغرقى الذين أستخرجوا الخليفة الذي سبق مروان في الحكم وهو ابراهيم ابن الوليد.
- انظر: الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٣٥، المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٨٥.
- (٧) علل الأمويون الهجوم على العباسيين بالتهلكة، ابن طباطبا: الفخري في الآداب، ص ١٤٦.
- (٨) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٣٣، القشيري، أبو علي محمد بن سعيد الحراني (ت ٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م): تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين والفقهاء والمحدثين، تحقيق طاهر النعسلي، ج ١، ص ٥٣، وسيشار إليه هكذا: القشيري: تاريخ الرقة.
- (٩) الراوي: تاريخ الدولة العربية، ص ٢٣٤، العبادي، أحمد مختار: في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١، ص ٢٨.

وأما نتائج المعركة فإن الإنتصار العباسي هذا منحهم الفرصة ليواصلوا تقدمهم لدخول بلاد الشام، مستغلين حالة التفرق والفوضى التي سادت مدن الشام بعد الهزيمة.

د- موقف الشام من مروان بن محمد بعد الزاب ومقتله

(١) موقف الشام

انتهت معركة الزاب بانتصار الجيش العباسي وهزيمة الجيش الأموي الذي كان يقوده الخليفة مروان بن محمد، الذي نجا من القتل والغرق في المعركة، وولى هارباً في بلدان الشام.

ولكن ما هو موقف أهل الشام من مروان بن محمد أثناء فراره من العباسيين الذين شرعوا في ملاحقته أثناء دخولهم الشام؟

لقد حدد موقف أهل الشام من مروان عاملان أساسيان: أما الأول فهو هربه من المعركة بعد الهزيمة، والعامل الثاني هو موقف مروان بن محمد من قبائل الشام. وإذا كان العامل الأول قد أملت ظروف المعركة، فإن ذلك لم يكن مقبولاً عند أهل الشام الذين رأوا في هربه مصلحة شخصية بالنجاة وتخلياً عنهم. وأما الثاني فقد ارتبط بالسياسة التي اتبعها مروان مع القبائل^(١) منذ سعيه للخلافة بعد مقتل الوليد بن يزيد (١٢٦هـ/٧٤٣م) وتمثلت في تقريبه القبائل القيسية وابتعاده عن القبائل اليمانية^(٢).

وقد ردت القبائل على سياسة مروان هذه عدة مرات: كان أولها بموقفها منه أثناء حركات الأجناد، والثانية بتخليها عن القتال معه في معركة الزاب (١٣٢هـ/٧٥٠م)، وأخيراً بموقفها منه بعد المعركة أثناء هروبه.

فبعد الهزيمة وقبل أن يدخل مروان الشام - لم يستقبل أهل الموصل مروان بن محمد^(٣) وقطع عماله الجسر عنه وقالوا: «إن أمير المؤمنين لا يفر»^(٤) وهذا ما يؤكد

(١) اليعقوبي، أحمد بن واضح (ت ٢٩٢هـ/٩٠٤م): مشاكلة الناس لزمانهم، تحقيق وليم ملورد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٢، ص ٢١.

(٢) المسعودي: التنبيه والأشراف، ص ٢٠٠، المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٧٠٠.

(٣) المقدسي: البدء والتاريخ، ج ٦، ص ٧١، ابن طباطبا: الفخري في الآداب، ص ١٤٨.

أن فرار الخليفة لم يكن مقبولاً عند هؤلاء الناس. وإضافة لذلك فإن أكثر أهل الموصل من اليمانية المعارضين لمروان. بالإضافة إلى أن الفكر الخارجي يغلب على أهلها. والخوارج لم يكونوا راضين عن حكم مروان، هذا مع إدراك زعماء القبائل للقوة العباسية. وأن سقوط الأمويين بات وشيكاً، فعارضوا مروان وساندوا العباسيين أثناء مرورهم^(١).

وإذا كان من عذر للقبائل اليمانية أن تقف موقف المعادي لمروان، فإنه ليس هناك من عذر للقبائل القيسية -التي قربها- أن تقف الموقف نفسه من مروان بن محمد.

فلم يتبعه بعد الهزيمة منهم إلا عدد قليل، قتل بعد ذلك على أيدي العباسيين بعد دخولهم الشام (١٣٢هـ/٧٤٩م)^(٢)، وإضافة لذلك فإن موقف مدينة حران -التي لم تستقبل مروان^(٣) - كان فيه من الغرابة الشيء الكثير، لأن هذه المدينة ارتبطت باسم مروان، وفيها أعوانه القيسية، كما أنها أعطيت من قبله مكانة خاصة حيث كان قد نقل مركز حكمه وعاصمة ملكه من دمشق إليها.

وكما في الموصل وحران فإن نصيبين وقفت في وجه مروان ولم يقبله فيها أحد^(٤)، وكذلك فعلت بعلبك^(٥)، وأما قنسرين فلم تكتف بعدم استقباله، بل إن أهلها نهبوا أمواله وأموال عسكره^(٦).

-
- (٤) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٣٩، مجهول: العيون والحدائق، ج ٣، ص ٢٠٣.
- (١) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٥٣٩، عمر، فاروق: بحوث في التاريخ العباسي، دار القلم للطباعة، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧٧، ص ١٥٠-١٥١.
- (٢) الأزدي: تاريخ الموصل، ص ١٣٦، الأصفهاني: الأغاني، م ٢٠، ص ٤١٦.
- (٣) ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٤٨، فلهوزن: تاريخ الدولة العربية، ص ٥١٩.
- (٤) ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٥٢.
- (٥) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٣٩، ابن أمثم: الفتوح، ج ٨، ص ١٨٥/ فلهوزن: تاريخ الدولة العربية، ص ٥١٩.
- (٦) ابن أمثم: الفتوح، ج ٨، ص ١٨٥، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ١٣٦، ابن العديم، كمال الدين عمر (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م): زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٥١، ج ١، ص ٥٣، وسيشار إليه هكذا: ابن العديم: زبدة الحلب.

وكما حصل في قنسرين فإن الأمر نفسه حدث مع مروان في حمص، لكن مروان قتل من أهلها عدداً كبيراً^(١). ومن الطبيعي أن يكون هذا الموقف هو موقف حمص خاصة وأن معظم أهلها هم من الكلبية -أشد المعارضين لمروان بن محمد-.

وأما تدمير، فإن مروان هدم سورها أثناء مروره بها^(٢). وربما يرجع ذلك إلى أن مروان قد دخل في صدام مع أهلها -الذين يغلب عليهم الكلبية- نتيجة موقفهم منه وعدم تأييدهم له.

ولم يبق أمام مروان إلا دمشق فاتجه إليها علّه يجد التأييد من أهلها، لكن المدينة إنقسمت بين مؤيد ومعارض^(٣). وفي النهاية كانت الغلبة للصف المعارض حيث ثاروا على مروان وسوّدوا مبايعين للعباسيين^(٤)، فترك مروان المدينة تاركاً مهمة الدفاع عنها للوليد بن معاوية أمام العباسيين. والذي دفع دمشق إلى معارضة مروان هو موقفها من مروان نفسه، فلم تكن راضية عن أعماله والتي حظّ فيها من قدرها كنقله عاصمة ملكه ومركز حكمه منها إلى حران. ولا يعني تخلي دمشق عن مروان تخلياً عن ولائها للأُمويين بدليل موقفها الصلب من الحصار العباسي للمدينة.

(١) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٢٨، ابن أعمش: الفتوح، ج ٨، ص ١٨٥.

(٢) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ١١٠، الحميري، نشوان (ت ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م): ملوك حمير واقبال اليمن، تحقيق السيد إسماعيل، إسماعيل الجرافي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٨٣، وسيشار إليه هكذا: الحميري: ملوك حمير/ البكري، أبو عبيد (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب بيروت، ط ٣، ١٩٨٢، ج ١، ص ٢٠٧، وسيشار إليه هكذا: البكري: معجم ما استعجم، القزويني، زكريا بن محمود (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨١ م): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص ١٧٠، وسيشار إليه هكذا: القزويني: آثار البلاد.

(٣) عمر: طبعة الدعوة العباسية، ص ٢١٢.

(٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٢٤٦، ابن أعمش: الفتوح، ج ٨، ص ١٨٥، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٣٦، المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٩٢.

وفي الأردن أيضاً لقي مروان المقاومة فقاتله المذحجيون^(١) مما دفعه إلى دخول فلسطين فثار عليه فيها الحكم بن ضبعان^(٢)، فقاومه مروان ونهب الأموال من فلسطين^(٣)، ثم خرج منها وهرب إلى مصر.

وهكذا كان مروان لا يدخل مدينة بالشام إلا لقي المعارضة فيها^(٤)، ففقد الأمل في هذه البلاد مما اضطره إلى الهرب إلى مصر.

(٢) مقتل مروان بن محمد (١٣٢هـ/٧٥٠م)

بالرغم من أن أهل مصر -الذين سودوا مبايعين لبني العباس- قد حاولوا منع مروان بن محمد من دخولها، إلا أنه تستر منهم ونجح في دخولها، ثم أخذ يتنقل هارباً بين المدن المصرية. وكان مروان بن محمد كلما دخل مدينة وجد أهلها قد بايعوا العباسيين^(٥).

وقد أوكل عبدالله بن علي مهمة قتل مروان وملاحقته أينما ذهب لأخيه صالح بن علي^(٦) فعثر الأخير على مروان في قرية بوصير^(٧). وقد تولى قتل مروان أحد قادة صالح بن علي وهو عامر بن إسماعيل الذي هجم مع جنوده على مروان

(١) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٩٢.

(٢) الأزدى: تاريخ الموصل، ص ١٣٦.

(٣) Sechick, Robert: Christianity In The Patriarchate of Jerusalem In The Early Abbasid Period, P, 3.

المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، ١٩٩٠.

(٤) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٦٦.

(٥) الكندي: الولاة والقضاة، ص ٩٤-٩٥، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٠، ص ٥٣١.

(٦) صالح بن علي بن عبدالله العباس (ت ١٨٦هـ/٨٠٢م).

انظر: السدوسي: حذف من نسب قريش، ص ١٠، خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٥٧، البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوط، ج ٢، و ٨٤، الذهبي: سير، ج ٧، ص ١٩.

(٧) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٦، ص ٣٨٥، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، م ٢، ص ٦٧٥.

وأعوانه، فطعن مروان برمح في قلبه^(١) أدى إلى مقتله في هذه القرية سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م^(٢).

وبعد قتل مروان قطع رأسه وأخذ للسفاح ففرح مع أبناء البيت العباسي كثيراً بقتل مروان وحمدوا الله على ذلك^(٣).

وقد قتل مع مروان عدد كبير من أعوانه من بني أمية، وقتل كذلك أميره على مصر^(٤)، أما بنات مروان فقد نلن العفو من العباسيين^(٥) مع خادم له كان يعرف مكان شارات الخلافة وهي الخاتم والقضيب والبردة، فأخبرهم بمكانها فتم العفو عنه^(٦).

(١) ابن الوردي، زين الدين عمر (ت ١٣٤٩هـ/ ٧٥٠م)؛ تنمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي) تحقيق أحمد البدرأوي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٠، ج ١، ص ٢٨٨، وسيشار إليه هكذا: ابن الوردي؛ تاريخ ابن الوردي، العامري، يحيى بن أبي بكر اليماني (ت ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م)؛ غربال الزمان في وفيات الأعيان، دار الخير للنشر، دمشق، ١٩٨٥، ص ١٢٥، وسيشار إليه هكذا: العامري؛ غربال الزمان.

(٢) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٠٤، البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوط، ج ٣، و ٢٨٦، الاصطخري، أبو اسحاق (ت ٣٤٠هـ/ ٩٥١م)؛ مسالك الممالك، عناية، م.ج. دي جويه، مطابع بريل، ليدن، ١٩٦٧، ص ٥٣، وسيشار إليه هكذا: الاصطخري؛ مسالك الممالك، ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)؛ صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت، ص ١٤٨، وسيشار إليه هكذا: ابن حوقل؛ صورة الأرض، السمعاني؛ الأنساب، ج ٢، ص ٣٢٤، ج ٩، ص ٣٦٦.

(٣) المسعودي؛ مروج الذهب، ج ٤، ص ١٠١، الأصفهاني؛ الأغاني، م ٤، ص ٣٤٣، مؤلف مجهول من القرن (١٠هـ/ ١٠م)؛ أخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١، ص ٤٩، وسيشار إليه هكذا: مجهول من القرن ٤ هـ: أخبار مجموعة، ابن الوردي؛ تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ٢٨٨، السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)؛ مناهل الصفا في تاريخ الخلفاء، مخطوط، ميكروفيلم في مكتبة الجامعة الأردنية، مركز الوثائق والمخطوطات، رقم (٦٦٤) مصور عن مخطوط في المكتبة الملكية، الرباط، الخزنة العامة تحت رقم (١٢٣٦)، مخطوط، و ١٥٥، وسيشار إليه هكذا: السيوطي؛ مناهل الصفا، السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)؛ تاريخ الخلفاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، ص ٢٠٥.

(٤) ابن ماكولا؛ الإكمال، م ٢، ص ٤٠٦، م ٤، ص ١١٧، العامري؛ غربال الزمان، ص ١٢٦.

(٥) الألبشيهي، شهاب الدين أحمد (٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)؛ المستطرف في كل فن مستظرف، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٥٢، ج ٢، ص ٦٦-٦٧، وسيشار إليه هكذا: الألبشيهي؛ المستظرف.

(٦) الجاحظ؛ البيان والتبيين، ج ٢، ص ٦٩.

وبمقتل مروان بن محمد -آخر الخلفاء الأمويين في الشام- (١٣٢هـ/٧٥٠م) فقد سقطت دولة الأمويين في الشام والتي كانت قد تلقت الضربة الشديدة في معركة الزاب، وبعدها زحف العباسيون إلى بلاد الشام فسيطروا عليها، ليبدأ عهد جديد في تاريخ الدولة الإسلامية تمثل بالخلافة العباسية التي حكمت البلاد أكثر من خمسمائة سنة.

هـ- دراسة لأسباب سقوط الدولة الأموية

مهدت معركة الزاب (١٣٢هـ/ ٧٤٩م) للعباسيين دخول بلاد الشام. وسيطرتهم عليها، وبالتالي إسقاط الدولة الأموية التي استمرت تحكم البلاد فترة بلغت تسعين عاماً.

وفي رأيي أن هذا السقوط جاء نتيجة عاملين: الأول هو الضعف الذي أصاب هذه الدولة في أواخر أيامها -وأعني بذلك آخر سبع سنوات من عمر الدولة-.

وأما الثاني فهو النشاط الكبير الذي بذله الدعاة العباسيون إبتداء من مطلع القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وبجهد مضاعف خلال هذه الفترة مستغلين ضعف الدولة الأموية، فتوجّوا هذا الجهد بإعلان الثورة.

والضعف الذي أصاب الدولة مرده لأسباب عدة، إلا أن أهم هذه الأسباب هو الإنقسام بين أفراد البيت الأموي، ولا أعني بالانقسام ما ذكر من أنه صراع على ولاية العهد^(١)، وإنما ذلك الذي نتج عن مقتل الخليفة الأموي الوليد بن يزيد (١٢٦هـ/ ٧٤٣م)، وما أعقبه من اضطراب وفوضى في الدولة.

فقد كان مقتل الوليد تحدياً لفكرة الشرعية في الحكم، وكان أيضاً أول سابقة في الحكم الأموي إذ لم يسبق أن قتل خليفة قبله^(٢)، ومن قبله ساروا على نظام تولية العهد لأبنائهم ولم يقتلوا.

(١) حبيب: العباسيون في التاريخ، ص ٨، فروخ: تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ص ١٩٩، حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٤، ج ٢، ص ٧، حسن، علي إبراهيم: التاريخ الإسلامي العام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص ٣٢٨/سالم، السيد عبد العزيز: العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية ج ٢، ص ٣٦.

(٢) خماش، نجدت: الشام صدر الإسلام، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، ١٩٨٧، ص ١٨٨.

وعلى الرغم من أن يزيد بن الوليد أعلن أنه ما ثار على الوليد بن يزيد إلا لأنه استهتر بالدين وانتهك ما انتهك من حرمان الله^(١)، فإن هذا لم يكن مقبولاً عند أهل الشام فنارت حمص وقنسرين والأردن وفلسطين^(٢)، وقال أهل حمص انهم مبايعون لولدي الوليد الحكم وعثمان^(٣)، وقرروا قتال يزيد قائلين: «قتلتم خليفتنا ليس بيننا وبينكم إلا السيف»^(٤)، ونتيجة لذلك فقد بدأت الفتن وتغيرت أحوال الدولة^(٥)، وانشغل أهل الشام ببعضهم، فريق يؤيد يزيد، وفريق يؤيد أبناء الوليد، فانحازت اليمانية إلى صف يزيد^(٦).

وزاد في الاضطراب الذي عمّ الشام خروج مروان بن محمد - وكان عاملاً على الجزيرة - ليكون له نصيب من الأمر رغم أنه أعلن أنه خرج مطالباً بدم الوليد بن يزيد^(٧)، وكان مروان يهدف من رفعه هذا الشعار أن ينال تأييد المدن المؤيدة لأبناء الوليد والمعارضة ليزيد وخلافته.

ولم يستقر الأمر بالشام بعد وصول مروان للخلافة، إذ سرعان ما قامت الحركات والانتفاضات ضده، ليس في الشام وحدها بل في معظم المناطق التابعة للدولة الأموية.

-
- (١) المسعودي: التنبيه والأشراف، ص ٢٩٧، الذهبي: تاريخ الإسلام، حوادث (١٢١-١٤٠هـ)، ص ١٤.
 - (٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٢٣٥، الطبري: تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٢٦٢-٢٦٣.
 - (٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٢٦٢، ابن عساکر، تاريخ دمشق، مخطوط، م ٤، ص ٣١٨، م ٨، ص ٥١٧، م ١٠، ص ٣٥٧.
 - (٤) الخولاني، عبد الجبار (ت ٣٦٨هـ / ٩٧٨ م): تاريخ داريا ومن نزلها من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، تحقيق سعيد الأفغاني، دار الفكر، دمشق ١٩٨٤، ص ٧٦-٧٧، وسيشار إليه هكذا: الخولاني: تاريخ داريا.
 - (٥) السيوطي: مناهل الصفا، مخطوط، و ٧.
 - (٦) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٢٦٣-٢٦٤.
 - (٧) البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوط، و ٢٥٤، ٢٥٦، ج ٥، تحقيق جوايتين، ص ١٨٧، الملزوزي، عبد العزيز بن عبد الواحد (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م): نظم السلوك في ذكر الأنبياء والخلفاء والملوك، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٣، ص ٣٢، وسيشار إليه هكذا: الملزوزي: نظم السلوك.

وكل هذه الأحداث التي أعقبت مقتل الوليد، شغلت الأمويين عن متابعة النشاط الكبير للدعاة العباسيين، الذين غرسوا غرساً في خراسان أثمر في هذه الفترة بإعلان الثورة العباسية.

والعصبية القبلية كانت سبباً في الإختلاف بين الأمويين وأهل البلاد، وكانت عاملاً ساهم في الضعف الذي أدى إلى إسقاط الدولة^(١)، فقد أخذ الصراع بين القبائل في هذه الفترة المضطربة بعداً تمثل في المشاركة الفعلية فيما بينها بالتدخل بين أفراد البيت الأموي ولولائهم له، فانقسموا بين الخلفاء تبعاً لتحيز الخليفة إلى جانب دون آخر^(٢)، ونتيجة لسعي كل قبيلة أن يكون سير الخليفة في صفها^(٣).

والبعد الآخر الذي أخذه الصراع بين القبائل هو ما حدث في خراسان المركز الرئيسي لنشاط الدعوة، إذ لم تدرك القبائل الأسلوب الذي اتبعه قائد الدعوة أبو مسلم في التفريق بينها فأدى ذلك إلى الفتن التي حدثت هناك^(٤)، وعدم الإدراك هذا من جانب القبائل ربما تعود أسبابه إلى أن سياسة الخلفاء معهم والتي اتبعت في الشام لم تختلف عن تلك التي قامت في خراسان أو حتى في العراق، والاختلاف هو أن السياسة في هذه البلدان إرتبطت بالولاة الذين كانوا يطبقون وينفذون سياسة الخليفة الذي يعينهم.

(١) الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص٤٢٣-٤٢٥، كاهن: تاريخ العرب والشعوب، ص ٤٥ ، فلوتن: السيادة العربية، ص ١٥٢، رفاعي، أحمد: عصر المأمون، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٢٧، م، ص ٧٨ ، الدباغ، مصطفى: الموجز في تاريخ الدولة العربية، دار الطليعة للنشر بيروت، ١٩٨٠، ص ١٢٧، الميلي، محمد: الدعوة العباسية، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٨٦، ص ٤٧، صكبان، جاسم: تاريخ الدولة العباسية، ص ٨.

(٢) الدينوري: الاخبار الطوال، ص٣٤٨، حسن: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ١٠، الميلي: الدعوة العباسية، ص ٥٦، العبادي: في التاريخ العباسي والاندلسي، ص ١٢٣، سالم، العصر العباسي الأول، ص ٢٨.

(٣) حسن: في تاريخ الدولة العربية، ص ٢٧٧، حبيبه: دولة الأمويين، ص ١١٩.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوط، ج ٣، و ٢٧٦-٢٧٨، عاقل: خلافة بني أمية، ص ٣١٨، الراوي: تاريخ الدولة العربية، ص ٢٢٩، العدوي، ابراهيم: الدولة الأموية، مكتبة الشباب، ١٩٨٨، ص ١٩٢، الخضري، محمد: الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، د، ت، ص ١٨.

فالخليفة هشام بن عبد الملك والذي كان يحاول أن يكون موازياً بين القبائل^(١) - كما كان الخليفة عمر بن عبد العزيز - كان في حقيقة نفسه مبتعداً عن اليمانية، وهو نفسه قال ذلك في رواية يوردها الدينوري صاحب «الأخبار الطوال» حيث يقول: «لا حاجة لي باليمانية...»^(٢) وأكد هذا الأمر تصرفات ولاته، فقام عامله على العراق يوسف بن عمر^(٣) والذي عين بدلاً من خالد القسري^(٤) بإظهار التعصب للقيسية ومعاقبة اليمانية^(٥). ورغم أن هشاماً حاول أن يظهر بمظهر الموازن بين القبائل إلا إن خليفته الوليد لم يكن كذلك، فأظهر ميله للقيسية وشتّم اليمانية^(٦)، فكانت هذه ضربة ثانية وجهت لليمانية الذين أقنعوا يزيد بن الوليد بالخروج على الوليد وبايعوه مستعدين للقتال معه ضد الوليد^(٧) فكانت الواقعة بينهما سنة ١٢٦هـ - ٧٤٣م والتي قتل فيها الوليد وعدد كبير من أتباعه القيسية بالبصرة^(٨).

ومع تولي يزيد الأمر فانه واجه مقاومة من القيسية الذين غضبوا لمقتل الوليد فثاروا عليه وامتنعوا عن بيعته في حمص وفلسطين والأردن، لكنه عاد

(١) حبيب: دولة الأمويين، ص ٩٥، الراوي: تاريخ الدولة العربية، ص ٢١١.

(٢) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٤٠.

(٣) يوسف بن عمر بن قيس الثقفي، قتل سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٤م.

انظر: خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٦٨، ابن خلكان: وفيات الأعيان، م ٧، ص ١٠١-١١١، الذهبي: تاريخ الإسلام، حوادث (١٢١-١٤٠ هـ)، ص ١٦، الذهبي: سير، ج ٥، ص ٤٤٣.

(٤) خالد بن عبد الله بن يزيد القسري، قتل سنة ١٢٦ هـ / ٧٤٣م.

انظر: الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٢٥٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان، م ٢، ص ٢٢٦-٢٢٩، الذهبي: سير، ج ٥، ص ٤٣٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٩-٢٠.

(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٥، ص ١٩٣، المسعودي: التنبيه والأشراف، ص ٢٩٦.

(٦) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٤٨، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٢٣٠.

(٧) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٣٦٣-٣٦٤، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٢٣٧.

(٨) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٤٩.

والبصرة: تبعد ميلين من القليعة في طرف الحجاز، ياقوت معجم، ج ١، ص ٣٥٦، وتقع بين البصرة والإحساء، الحميري: الروض المعطار، ص ٨٤.

وسيطر على هذه المناطق^(١) التي لم تدخل في طاعته إلا خوفاً بدليل تأييدهم المباشر لمروان بن محمد، ليس حباً بمروان وإنما ولاءً لخليفته المقتول الوليد بن يزيد، فكان لاتخاذ مروان «الطلب بدم الوليد» شعاراً له وقع السحر عندهم فساندوه.

ولما تولى مروان حاول أن يرضي القبائل كلها، فترك للأجناد حرية اختيار ولاتهم مهما كانت قبائلهم^(٢)، لكن اليمانية خرجوا عليه؛ لأن مروان نفسه أظهر ميلاً للقيسية لأنهم أيدوه أثناء سعيه للخلافة (١٢٦-١٢٧هـ/٧٤٣-٧٤٤م)^(٣). وللتأييد الذي كان يحظى به منهم وخاصة في منطقة الجزيرة - ذات الاكثرية القيسية - والتي تولاها لفترة طويلة^(٤). ومن أجل ذلك فقد نقل عاصمة ملكه إلى حران^(٥) حيث يتواجد أعوانه القيسية^(٦). وقد جلبت هذه السياسة على مروان المشاكل فثار عليه اليمانية في تدمر وحمص وفلسطين ودمشق والجزيرة.

وفي خراسان فإن سياسة مروان لم تختلف عنها في الشام إذ أظهر عامله نصر بن سيار التعصب للقيسية والإبتعاد عن اليمانية^(٧)، فاستغل أبو مسلم ذلك في التفرقة بين القبائل، وفي جلب أكبر عدد من اليمانية إلى الدعوة^(٨).

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٢٢٥، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٢٦٣، القلقشندي: مآثر الإنافة، ج ١، ص ١٦٠.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣١٢، ابن عساکر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٥، ص ٢٤١.

(٣) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٥٠-٣٥١، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣٠٠، ابن عساکر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٦، ص ٣٨٥، الذهبي: تاريخ الإسلام، حوادث (١٢١-١٤٠هـ)، ص ٥٣٤.

(٤) حبيب: دولة الأمويين، ص ٩٧، أبو حبيب، سعدي: مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢، ص ٣٧.

(٥) ابن أمثم: الفتوح، ج ٨، ص ١٥٢، المسعودي: التنبيه والأشراف، ص ٢٩٧.

(٦) كاهن: تاريخ العرب والشعوب، ص ٥٠، العش: الدولة الأموية، ص ٣١٤، سليمان، حسين: الدولة الإسلامية في العصر العباسي، دار عالم الكتب للنشر، الرياض، ١٩٨٤، ص ٤٦.

(٧) مؤلف من القرن ٣ هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ٣٠٦-٣٠٧، البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوط، ج ٢، و ٢٧٦-٢٧٨، اليعقوبي: البلدان، ص ٣٠٢.

(٨) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٣٩٠، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣٦٨-٣٦٩، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٢٨١.

ونتيجة لذلك فإن الضعف سيطر على الدولة سواءً في الشام أو في خراسان أو غيرها من المناطق، لأن الدولة فقدت عدداً كبيراً من رجالها في هذه الحركات والصراعات التي أيضاً أشغلت الدولة عن مراقبة العباسيين.

والجيش الأموي تأثر بهذه الصراعات ففقد تماسكه وأهدافه^(١)، وانقسم بسبب العصبية القبلية، وبسبب تأييد أفراد البيت الأموي، لأن كل خليفة كان له جماعته وأمواله من الجيش.

فالقبايل الكلبيّة والتي كانت تشكل القوة الأولى في الجيش الأموي^(٢) أساء لها مروان وابتعد عنها^(٣)، فخرجت عليه عدة مرات في حمص وتدمر، فأدى ذلك إلى مقاتلة أهل الشام بعضهم بعضاً. ومما أضعف الجيش أيضاً المعاناة التي عاناها الخلفاء في تثبيت أمورهم فمروان بن محمد فقد جزءاً كبيراً من جيشه، أولاً في طريقه للحصول على الخلافة بعد مقتل الوليد بن يزيد، وثانياً في تثبيت الأمن والإستقرار في الشام بتصديه لحركات الأجناد في الشام والثائرين خارجها. وبذلك فقد تحول الجيش إلى أداة لقمع الثورات الداخلية^(٤)، وهذه الحركات أوهنت الجيش الذي لم يستطع مقاومة الجيوش العباسية في الزاب (١٣٢هـ/٧٤٩م) فكانت الهزيمة التي مهدت لبني العباس دخول الشام.

ومع الانقسام بين أفراد البيت الأموي والعصبية وتراجع الجيش، فإن العداء الذي نصبه الموالي والفرق الدينية للأمويين كان له أثر في الضعف الذي حل في الدولة الأموية.

(١) ابن طباطبا: الفخري، ص ١٤٦، عمر، فاروق: «الجند الأموي والجيش العباسي»، مجلة آفاق عربية، عدد (٢)، ١٩٧٩، ص ٢٨.

(٢) فلهوزن: تاريخ الدولة العربية، ص ٣٥٦، دلو، برهان الدين: مساهمة في إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٥، ص ٨٤.

(٣) العش: الدولة الأموية، ص ٣١٤، ٣٤٢، عاقل: خلافة بني أمية، ص ٣٠٩، عمر: العباسيون الأوائل، ص ١٣١، الراوي: تاريخ الدولة العربية، ص ٢٢٦.

Hawting, G.R: The First Dynasty of Islam "The Umayyad Caliphate", Southern illinois University Press, Carbondale and Edwardsville, P 98.

(٤) مخزوم، محمد: «الشام صدر الاسلام»، مجلة تاريخ العرب والعالم، عدد (٧٠)، ١٩٧٩، ص ٣٩.

والعداء الذي حملته هؤلاء للأمويين مرده إلى الأفكار التي حملها هؤلاء عن الأمويين سواءً من خلال معاملتهم لهم وتعاملهم معهم، أو تلك الأفكار المتعلقة بعقائدهم وتنظيماتهم، أو الأفكار التي بثها في أنفسهم الدعاة العباسيون بخصوص الأمويين.

فالموالي سعوا للتخلص من الأمويين بسبب السياسة التي اتبعها الأمويون معهم والتي فرقوا من خلالها بينهم وبين العرب^(١) سواءً بأبعادهم عن وظائف ومراكز الدولة^(٢) أو الظلم الذي لحق بهم نتيجة الضرائب التي فرضت عليهم، أو الجزية التي كانت تؤخذ منهم رغم إسلامهم^(٣) وهذا منعهم من الإمتزاج مع العرب^(٤).

وإضافة لذلك فإن هؤلاء الموالي سعوا لتحقيق مطامع شخصية لهم، فانضموا بقوة إلى الدعوة العباسية، وساعدوا قادتهم في بث الانقسام بين العرب في خراسان. ولم تكن مساهمتهم في الدعوة العباسية بأي حال من الأحوال سببها أرجاع حقوق آل البيت بقدر ما كانت تهدف إلى التخلص من الحكم الأموي العربي، وتحقيق أحلامهم بالدولة الجديدة.

وإذا كان الموالي قد أظهروا عداوتهم للأمويين في فترة متأخرة من الدولة باشتراكهم في الثورات ضدها سواءً مع الدعاة أو مع الحارث بن سريج^(٥) في ثورته

(١) أبو حبيب: مروان بن محمد وسقوط الدولة، ص ١٢٦، أمين، أحمد: ضحى الاسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٧، ج ١، ص ٢٧، بيضون: الدولة الأموية والمعارضة، ص ٢٥، سرور: الحياة السياسية، ص ١٧٤، العش: الدولة الأموية، ص ٢٨٤.

(٢) الدوري: العصر العباسي، ص ١٠، حسن: التاريخ الإسلامي، ص ٣٢٨، الحصني، محمد: منتخبات التواريخ لدمشق، دار الافاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩، ج ١، ص ١١٥.

(٣) حبيب: العباسيون في التاريخ، ص ١٤، الدوري: العصر العباسي الاول، ص ١٢-١٣، العش: عصر الخلافة العباسية، ص ١٦، دلو: مساهمة في إعادة كتابة التاريخ، ص ٢٣، عمر: «الجند الأموي والجيش العباسي»، مجلة أفق عربية، عدد (٢)، ص ٢٨، مائل، نبيه: «الدعوة العباسية»، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، عدد (١٣-١٤)، ص ٦٢، أمين: «من تاريخ الدعوة العباسية»، مجلة المؤرخ العربي، عدد (١٠)، ص ١١-١٠.

(٤) قدوره: الشعبوية، ص ٥٢، ماجد، عبد المنعم: العصر العباسي الاول، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٤، ص ٢٨.

(٥) الحارث بن سريج التميمي، قتل سنة ١٢٨هـ/ ٧٤٥م.
انظر: خليفة: تاريخ خليفة، ص ٢٨٢، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٢٣٠-٢٣١، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٢٨-٢٩.

التي دعت إلى تحقيق العدل والمساواة ورفع الظلم^(١) فإن الفرق الدينية كالخوارج والشيعة ناصبوا الأمويين العداء منذ فترة مبكرة من تاريخ الدولة، وكثفوا في أواخر الدولة من نشاطهم بعد أن حلَّ الضعف بها.

والدور الذي لعبه الخوارج ضد الأمويين تمثل في ناحيتين: الأولى في الأفكار التي بثها أعوانهم بين الناس بعدم شرعية الحكم الأموي^(٢). وأما الثانية فتمثلت في ثوراتهم التي تلاحقت على الأمويين وخاصة في عصر مروان بن محمد سواء في الحجاز أو اليمن أو العراق والجزيرة. وكان أثر الثورات على الأمويين كبيراً جداً إذ أنها أضعفت جيشهم^(٣)، كما أنها أشغلتهم عن مراقبة العباسيين^(٤).

وكما الخوارج فإن الشيعة اعتبروا الأمويين مغتصبين للحكم، فعادوهم وكانوا يتحينون كل فرصة للثورة، وزاد في موقف الشيعة المعادي للأمويين، معاملة الأمويين للشيعة وخاصة أئمتهم؛ فكان ذلك سبباً في ثوراتهم^(٥). التي رفعوا من خلالها شعارات إرجاع حقوق آل البيت والانتقام لشهداءهم^(٦)، والتخلص من ظلم الأمويين وجورهم، وتحقيق العدل والمساواة، فأعلن زيد بن علي خروجه غضباً لله ورسوله، وعلى هذا خرج من بعده ابنه يحيى^(٧).

(١) الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص ٢٣٠ بيضون: «الشام والدعوة العباسية»، مؤتمر بلاد الشام الخامس، ص ١٠، بيضون، إبراهيم: «ظاهرة الإصلاح السياسي في القرن (٢هـ)»، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد (٢)، ١٩٨٠، ص ٦٩-٧٠.

(٢) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٣٧٩، فروخ: تاريخ صدر الاسلام والدولة الأموية، ص ١٩٩، مصطفى، شاكر: دولة بني العباس، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٣، ج ١، ص ٤١.

(٣) حبيبه: العباسيون في التاريخ، ص ٦-٢٠.

(٤) حمادي: الجزيرة الفراتية والموصل، ص ٥٢٧.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص ٢٢٨، العش: عصر الخلافة العباسية، ص ١٦، العدوي: الدولة الأموية، ص ١٨٧.

(٦) عاقل: خلافة بني أمية، ص ٣١٨، العش: عصر الخلافة العباسية، ص ١٦.

(٧) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٢٣٨، المقدسي: البدء والتاريخ، ج ٦، ص ٤٩-٥٠.

ويحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي، قتل سنة ١٢٥هـ/ ٧٤٢م.

انظر: السدوسي: حذف من نسب قریش، ص ١٦، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٢٢٨، الذهبي: سير، ج ٥، ص ٢٩١، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٦-٧.

وإذا كان الشعار الذي رفعه العباسيون في أول دعوتهم بالدعوة العامة لآل البيت والرضا من آل محمد^(١) قد أوجد ميلاً من جانب الشيعة إليهم. فإن دور الشيعة هذا قد انتهى بالثورة العباسية، لأن العباسيين أصبحوا يدعون لبيعة بني العباس. واستطاعوا بهذا أن يتولوا الأمر وحدهم.

فكان اجتماع هذه الفئات على الأمويين وسعيهم لإسقاط دولتهم مع الضعف الذي أصاب الدولة نتيجة انقسام مؤيديها، أهم العوامل التي أدت إلى إسقاطها على يد العباسيين.

وهذا ما نلمسه من قول بعض بني أمية الذين تحدثوا عن أسباب زوال ملكهم فقالوا : «إختلاف فيما بيننا وإجتماع المختلفين علينا»^(٢).

(١) مؤلف من القرن ٢ هـ : أخبار الدولة العباسية، ص ٢٠٠.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٥، ص ٢٠٤.

الفصل الثاني

دخول المبشرين بلاد الشام

الفصل الثاني

دخول العباسيين بلاد الشام

أ- موقف الشام من دخول العباسيين

ب- حصار العباسيين لدمشق

ج- معاملة العباسيين لأهل الشام

(١) القتل

- حادثة نهر أبي فطرس

- حادثة قلنسوة

- حادثة الحيرة

(٢) النهب والتدمير

د- تحليل للحوادث التي رافقت الدخول العباسي إلى بلاد الشام.

أ- موقف الشام من دخول العباسيين

منح الانتصار العباسي على الأمويين في معركة الزاب (١٣٢هـ / ٧٤٩م) الفرصة للعباسيين لمواصلة التقدم ودخول بلاد الشام، إكمالاً للطريق الذي بدأت به الثورة العباسية بإسقاط الدولة الأموية وإخضاع البلاد الإسلامية تحت الحكم العباسي.

فبعد المعركة وفرار الجيش الأموي والخليفة مروان بن محمد، زحفت القوات العباسية بقيادة عبدالله بن علي - صانع الانتصار العباسي في الزاب - وأخويه صالح بن علي وعبد الصمد^(١) إلى الشام لتحقيق ذلك الهدف.

ولكن ما هو الموقف الذي اتخذته أهل الشام من دخول العباسيين إلى بلادهم؟ لقد ارتبط الموقف الشامي بعدة أمور، أهمها: الهزيمة في الزاب، حيث أدرك أهل الشام حالة التفرق التي لحقت بهم في مواجهة العباسيين في المعركة، وفي الوقت نفسه أدركوا حجم القوة والقدرة العباسية والتي أهلتهم لتحقيق الانتصارات بعد إعلان الثورة. فلم يكن أمام كثير منهم إلا تأييدهم لينالوا عفوهم، خاصة وأنهم فقدوا الأمل - بعد فرار مروان وصراعه معهم - بمقاومتهم.

وإضافة لذلك فإن القبائل الشامية - والتي كانت العصبية العامل الأول في تحديد موقفها^(٢) - تباين موقفها من دخول العباسيين، فقبيلة كلب كان جماعة منها أول من سؤدوا معلنين تأييدهم للعباسيين أمام أبي سلمة الخلال^(٣)، وقد كان موقف هذه القبيلة - التي عرفت بولائها وإخلاصها للأمويين - رداً على سياسة الخليفة

(١) عبد الصمد بن علي بن عبدالله بن عباس (ت ١٨٥هـ / ٨٠١م).

انظر: السدوسي: حذف من نسب قريش، ص ١١، خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٥٧، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٧٢، الذهبي: سير، ج ٩، ص ١٢٠، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٩٢.

(٢) علي، احمد اسماعيل: تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي، دار دمشق للطباعة، دمشق، ١٩٨٤، ص ٢٤.

(٣) مؤلف القرن ٣هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ٣٧٧.

مروان بن محمد معهم والتي قامت على إبعادهم^(١)، كما أن هذا الموقف كان نتيجة طبيعية أملت طبعاً الأمور وتطوراتها، إنتظاراً لما يستجد فيما بعد.

فإخلاص هذه القبيلة للأمويين لم يتغير، والدليل على ذلك أنهم كانوا أول المؤيدين لأبي الورد^(٢) وأبي محمد السفيناني^(٣) اللذين ثارا في حمص وقنسرين في (١٣٢هـ / ٧٥٠م)^(٤) بعد الدخول العباسي لبلاد الشام بوقت قصير، لمجرد أنهما رفعاً في ثورتها شعار إعادة الحكم الأموي.

فبعد الانتصار العباسي في الزاب، دخلت القوات القوات العباسية إلى حرّان مدعومة بالتأييد الذي حصلت عليه من أهل الموصل الذين أعلنوا استعدادهم للمسير معهم وملاحقة الخليفة الهارب مروان بن محمد^(٥)، وفي حرّان التقى عامل مروان عليها عبدالله بن علي مسوداً، وسودّ معه جميع أهل حرّان^(٦)، معلنين مرة أخرى تخليهم عن مروان بن محمد حيث أنهم لم يستقبلوه عند فراره، وقبل ذلك لم يساندوه في معركة الزاب، رغم أنهم قد منحوا مكانة كبيرة من قبله بجعل مدينتهم عاصمة ملكة، وأهلها شيعته وأنصاره.

(١) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣١٣، ٣٢٦، ٣٤٥، عاقل، خلافة بني أمية، ص ٢٤٧
Hawting: The first Dynasty of Islam ... , p97.

(٢) أبو الورد: مجزأة بن زفر بن الحارث الكلابي، قتل سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م
انظر: البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٣، ص ١٦٩، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٤٢-٤٤٤ ،
ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٦، ص ٢٦٢، أبو الفداء، إسماعيل (ت ٧٣٢هـ / ٢٣١م):
اليواقيت والضرب في تاريخ حلب، تحقيق محمد كمال وفالح البكور، دار القلم العربي، حلب،
١٩٨٩، ص ٤٤، وسيشار إليه هكذا: أبو الفداء: اليواقيت والضرب.

(٣) أبو محمد السفيناني، زياد بن عبدالله بن خالد بن يزيد بن معاوية، قتل بعد ١٣٩هـ / ٧٥٦م
انظر: الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٥٨، مجهول: العيون والحداثق، ج ٢، ص ١٣٨ - ١٣٩ ، ابن حزم:
جمهرة أنساب العرب، ص ١١٢ ، ابن حمدون: التذكرة، مخطوط، و ٦٥ ب ، ابن عساكر: تاريخ
دمشق، مخطوط، م ١٦ ، ص ٤٧٧، الذهبي: سير، ج ٦، ص ٧٥.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل ، ج ٧، ص ٤٤٣.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل ، ج ٧، ص ٤٣٩ ، الأزدي: تاريخ الموصل ، ص ١٣٢، ١٥٩.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٣٨، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٢، ص ٣١٢.

ومن حرّان اتجهت القوات العباسية نحو منبج^(١) فأعلنت تأييدها لهم، ثم ارتحلوا إلى قنسرين فوجدوها قد سوّدت مع حلب^(٢) التي بعثت ببيعتها لبني العباس مع أبي أمية التغلبي^(٣)، فولى عبدالله أخاه عبدالصمد قنسرين وحلب، وفي طريق عبد الصمد لتولي تلك المهمة بايعه أبو الورد الكلابي^(٤)، ولم تكن بيعته حباً بهم وتأييداً لهم بقدر ما كانت اتقاءً لغضبهم، لأنه كان من كبار قادة مروان بن محمد ومن أشد المخلصين لبني أمية. وهذا ما أظهره في الثورة التي أعلنها ضد العباسيين في قنسرين سنة (١٣٢هـ / ٧٥٠م)، والتي امتدت إلى حمص وحلب حيث قاتل العباسيين حتى قتل.

ثم نزل العباسيون حمص ونالوا فيها بيعة أهلها، فأقام عبدالله بن علي فيها بضعة أيام^(٥) بهدف الاطمئنان من بيعتهم، لإدراكه أن معظم أهلها هم من القبائل الكلبية شديدة الولاء لبني أمية.

وبعد حمص أخذ عبدالله بن علي بيعة أهل جبل لبنان^(٦)، فقدم له يزيد بن روح اللخمي والي بعلبك الطاعة والتأييد^(٧)، ثم أخذ بيعة أهل عين الجر^(٨) ثم نال تأييد

(١) منبج: بلد رومي قديم ، قريبة من الفرات، جعلها الرشيد مدينة العواصم ، ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج٢، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٢) ابن أئثم: الفتوح، ج٨ ، ص ١٨٦ ، ابن أبي الدم: الشماريخ ، مخطوط ، و ١٦٠.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص ٤٤٠، ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص ٥٣.

(٤) ابن العديم: زبدة الحلب ، ج١ ، ص ٥٣.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل ، ج٧ ، ص ٤٤٠.

(٦) جبل لبنان: جبل مطل على حمص، وهو يتصل بالشام، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ١١١، البغدادي: مراصد، ج ٢، ص ١١١٧.

(٧) ابن أبي الدم: الشماريخ ، مخطوط ، و ١٦٠.

(٨) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٤٠ ، التدمري: عمر عبد السلام: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار الأيمان ، طرابلس، ط ٢، ١٩٨٤، ص ١٦٣.

وعين الجر: موضع معروف بالبقياع بين بعلبك ودمشق ، ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٧٧.

أهل بيروت، وبالرغم من نيته تأييد أهل بيروت إلا أنه لم ينل تأييد علمائها فإمام الأوزاعي^(١) - أجّل وأكثر أهل لبنان علماً وفقهاً، والذي كان أيضاً من أجّل أهل الشام وأكثرهم علماً - لم يعلن تأييده للعباسيين فهرب واختبأ خوفاً من بطشهم في جبيل^(٢)، ويعود ذلك إلى أن الأوزاعي كان ما زال على بيعته للخليفة مروان بن محمد الذي لم يكن في هذا الوقت قد قتل، أو أنه كان معارضاً للعباسيين، وهذا ما أظهره أمام عبدالله نفسه عندما استدعاه إلى دمشق عنده^(٣).

وهكذا " كان عبدالله بن علي لا يدخل مدينة إلا لقيه أهلها برفع الأعلام السوداء"^(٤)، تعبيراً عن تأييدهم لبني العباس أصحاب الرايات السود.

وهذا دفعه إلى الاتجاه نحو مدينة دمشق التي قاومت الحصار العباسي الذي ضربه ابن علي وقادته وعساكره عليها إلى أن دبّت العصبية بين أهلها مما دفعها للإستسلام^(٥) فأقام ابن علي فيها خمسة عشر يوماً نال خلالها تأييد أهل الغوطة^(٦).

-
- (١) عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي (ت ١٥٧هـ / ٧٧٣م).
انظر: خليفة: طبقات خليفة، ص ٨٠٨-٨٠٩، خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٢٨، الذهبي: سير، ج ٧، ص ١٠٧ - ١٢٤، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١، ص ١١٨ - ١٢٢.
- (٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٠٩، التدمري: تاريخ طرابلس، ص ١٩٦٨ وجبيل: بلد في سواحل دمشق، شرقي بيروت، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٠٩.
- (٣) ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن بن محمد (ت ٣٢٧هـ / ٩٣٨م): الجرح والتعديل، دار الامم للطباعة والنشر بيروت، ١٩٥٢، ج ١، ص ٢١١-٢١٢، وسيشار إليه هكذا: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٠، ص ٩٦-٩٧، الذهبي: تاريخ الاسلام، حوادث (١٤١ - ١٦٠هـ)، ص ٤٩٥، ابن زيد الحنبلي، أحمد بن محمد (ت ٨٧٠هـ / ١٤٥٦م): محاسن المسامي في مناقب الامام الاوزاعي، تحقيق عبدالله البارودي، دار الجنان للطباعة والنشر، ١٩٨٥، ص ٣١-٣٠، وسيشار إليه هكذا: ابن زيد الحنبلي: محاسن المسامي.
- (٤) ابن أعمش: الفتوح، ج ٨، ص ١٨٦.
- (٥) ابن أعمش: الفتوح، ج ٨، ص ١٨٦، عمر: طبيعة الدعوة العباسية، ص ٢١٢، كاهن: تاريخ العرب والشعوب، ص ٥٥.
- وانظر: تفاصيل حصار دمشق ص ٥٥-٥٩.
- (٦) ابن أعمش: الفتوح، ج ٨، ص ١٨٦.

وبعد دمشق لم يبق الا فلسطين والأردن، فسار ابن علي بعساكره إلى فلسطين ونزل نهر الكسوة^(١)، فأرسل منها أخاه صالحاً بن علي للملاحقة الخليفة مروان الذي هرب إلى مصر^(٢) وتوجه هو إلى الأردن فأتاه كثير منهم مسوّدين ومعلنين تأييدهم للعباسيين^(٣)، إلا أن عبدالله بن علي لقي في الأردن مقاومة شديدة من أهل البلقاء الذين كانوا على ولائهم للأمويين^(٤)، لكن شدة الحصار العباسي أنهت المقاومة كما أدت إلى خراب في بعض أنحاء المدينة^(٥)، وبعد البلقاء نال عبدالله بن علي تأييد أهل بيسان^(٦).

وهكذا نلاحظ ان عبدالله بن علي قد حصل للعباسيين على بيعة أهل الشام^(٧)، رغم ما ذكر من مقاومة دمشق والבלقاء.

ب- حصار العباسيين لدمشق

سعى العباسيون بكل قوة أثناء دخولهم بلاد الشام للسيطرة على مدينة دمشق وذلك لعدة أسباب، منها أن دمشق هي عاصمة دولة الأمويين ومركز حكمهم، كما أن

(١) الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص ٤٤٠.

والكسوة: قرية هي أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر، ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ٤٦١، وهي جنوب دمشق، تقع على الطريق بين دمشق وعمان، وتبعد عنها مسافة ١٩ كم، ابن المبرد: رسائل دمشقية، هامش، ص ٢٣.

(٢) ابن أعثم: الفتوح، ج٨، ص ١٨٦.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص ٤٤٠.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص ٤٤٠، خريسات: "البلقاء من الفتح الاسلامي الى نهاية القرن ٣هـ"، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، م٧، عدد ٢١-٢٢، ١٩٨٦، ص ٦١.

(٥) الأصفهاني: الأغاني، م٢، ص ٤١٥، خريسات: "البلقاء من الفتح الاسلامي"، ص ٦١.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص ٤٤٠.

وبيسان: مدينة بالأردن بالغور الشامي بين حوران وفلسطين، ياقوت: المشترك، ص ٧٦، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ٥٢٧، الحميري: الروض المعطار، ص ١١٩، وتبعد عن القدس ١٧ كم وعن نابلس ٣٦ كم، شراب: معجم بلدان فلسطين، ص ٢١٧.

(٧) المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، ص ١٠٩.

فيها أمراء بني أمية والأسرة الأموية، وبالإضافة لذلك فإن أهلها عرفوا بإخلاصهم للبيت الأموي منذ قيام الدولة الأموية في الشام، لذلك فإن السيطرة عليها كانت تعني قطع أطول الطرق لإتمام السيطرة على الشام.

ومن جانب آخر فإن دمشق في هذه الفترة قدم إليها الخليفة مروان بن محمد فاراً من العباسيين الذين كانوا يلاحقونه لقتله فأرادوا إتمام هذه المهمة في دمشق، لكن مروان تولى عن المدينة عندما سمع بقدومهم فتركها وولى عليها الوليد بن معاوية^(١) الذي أوكل إليه مهمة الدفاع عنها^(٢).

وكان الوليد على قدر المهمة التي القيت على عاتقه، فأعلن مع أهل المدينة المؤيدين لبني أمية مقاومتهم للعباسيين برفضهم تأييدهم وبيعته^(٣)، وهذا الموقف دفع عبدالله بن علي إلى إعلان الحصار على المدينة، ففرق قاداته على أبوابها وأخذ جنوده يضربونها من كل الجوانب^(٤).

وظل أهل دمشق يقاومون بني العباس، حتى حدث الإختلاف بين القبائل القيسية واليمانية في المدينة^(٥) بسبب شدة الحصار، فكان فريق منهم يرى الثبات في وجه الحصار العباسي، بينما يرى فريق آخر طلب الأمان منهم لعدم جدوى مقاومة الحصار الشديد.

وتطور الإختلاف في الرأي إلى الانقسام بين مؤيد ومعارض للأمويين

(١) الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص٤٢٨.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص٤٢٨-٤٢٩، Kennedy, Hugh: The Early Abbasid Caliphate.

Croom Helm, London, Sydney, 1981, P 48.

(٣) ابن أئثم: الفتوح، ج٨، ص١٨٦.

(٤) ابن أئثم: الفتوح، ج٨، ص١٨٦، الأزدي: تاريخ الموصل، ص١٣٤-١٣٥، مجهول: العيون والحدائق، ج٢، ص٢٠٢.

(٥) المسعودي: مروج الذهب، ج٤، ص٨٦، علي، سيد أمير: مختصر تاريخ العرب، ترجمة عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٦٧، ص١٧٦، الحصني: منتخبات التواريخ لدمشق، ج١، ص١١٩، سليمان: الدولة الإسلامية في العصر العباسي، ص٦٣، عاقل، نبيه: فلسطين من الفتح الإسلامي إلى أواسط القرن ١٤هـ / ١٠م، الموسوعة الفلسطينية، ق٢، الدراسات الخاصة، بيروت، ١٩٩٠، ص٢٧٨.

والعباسيين^(١) فأدى هذا إلى الإقتتال، حيث تلاعنوا في المساجد، وتضاربوا بالأيدي والنعال في المسجد، وأصبحوا في المسجد قسمين: قسم يخطب للعباسيين وبني هاشم، وقسم يخطب لبني أمية^(٢).

وهنا ذكر ابن علي القبائل اليمانية بمساندتها للدعوة في خراسان، كما ذكرها بالمعاملة السيئة التي عاملها إياها مروان بن محمد وأعوانه، فكان لهذا التحريض أثر كبير في الموقف الذي اتخذته القبائل من الخصار، فأعلنت تسويدها وتأييدها للعباسيين، فهجموا على القبائل القيسية وفتحوا الأبواب للجند العباسي فدخلوا المدينة^(٣).

ولأن الأبواب فتحت فقد طلب أهل دمشق الأمان من ابن علي فأمنهم، ولما أراد كتابة الأمان لهم وقع سور المدينة فعدل عن رأيه ونكث وعده لهم، فدخل المدينة مع جنده^(٤) الذين وضعوا السيف في أهل دمشق في المنازل والأسواق^(٥)، فقتلوا فيها عدداً كبيراً من أهل دمشق العرب^(٦)، كما قتل عدد كبير من أمراء وقادة بني أمية^(٧) بالإضافة إلى عدد من اليهود والنصارى في المدينة^(٨).

-
- (١) ابن أعثم: الفتوح ، ج٨، ص ١٨٦.
- (٢) الصابئ، أبو الحسن بن هلال (ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م): الهفوات النادرة، تحقيق صالح الأشتري، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦٧، ص ١٠٧، وسيشار إليه هكذا: الصابئ: الهفوات .
- (٣) الأزدي: تاريخ الموصل، ص ١٢٥، المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، ص ١١١.
- (٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٥، ص ٣٨٩.
- (٥) المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، ص ١١١.
- (٦) المسعودي: مروج الذهب، ج٤، ص ٨٧، الذهبي: تاريخ الاسلام، حوادث (١٢١ - ١٤٠هـ)، ص ٣٣٥.
- (٧) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٠٣، ابن حبيب: المحبر، ص ٤٨٦، البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوط، ج ٣، و ٩٢، أبو زرعة الدمشقي، عبدالرحمن بن عمرو (ت ٢٨١هـ / ٨٩٤م): تاريخ أبي زرعة الدمشقي، تحقيق شكر الله القوجاني، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٠، ج ٢، ص ٦٩٨، وسيشار إليه هكذا: أبو زرعة: تاريخ أبي زرعة، الذهبي، شمس الدين محمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٧٤م) : العبر في خير من غبر، تحقيق أبو هاجر زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥، ج ١، ص ١٢٤، وسيشار إليه هكذا: الذهبي: العبر، ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٨٧م) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٩٨٨، م ٢، ص ١٤٥، وسيشار إليه هكذا: ابن العماد: شذرات.
- (٨) المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، ص ١١٢.

ولم يكتف العباسيون بقتل الناس في الأسواق والمنازل، بل إنهم لم يراعوا حرمة للدين في هذه المدينة، وتصرفوا تصرفات لا تدل على ما أعلنوه من أن هذه الدولة جاءت لأقامة العدل، وإحقاق الحق، ونشر الفضيلة بين الناس والدفاع عن المظلومين والمحرومين.

فيذكر المؤرخ الدمشقي ابن عساكر أن جيوش عبدالله بن علي دخلت جامع دمشق حيث جعل ابن علي من هذا الجامع إصطبلًا لدوابه وجماله^(١)، وورد أن هؤلاء الجنود قتلوا من وجدوا في الجامع من العلماء^(٢)، وأشهر من قتل فيه كانوا يونس بن ميسرة بن حليس المقرئ^(٣)، ومروان بن اسماعيل المخزومي^(٤)، وكذلك سالم بن عجلان بن الأفتطس الحراني مولى محمد بن مروان بن الحكم^(٥).

ولم تقتصر أفعال العباسيين في دمشق على قتل الأمويين وبعض أهل دمشق، بل إن أفعالهم تعدت ذلك إلى الخراب والتدمير في هذه المدينة التي تغيرت معالمها نتيجة ذلك.

فقد هدم عبدالله بن علي سور مدينة دمشق بكامله^(٦)، حتى يحرم أهل المدينة مما يتحصنون به في المستقبل إذا خرجوا عن الطاعة^(٧)، ونتيجة للحصار فقد

-
- (١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م، ١٥، ص ٢٨٩.
 - (٢) ابن سعد: محمد بن سعيد (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م): الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٩٥٨، م، ٧، ص ٤٦٦، وسيشار إليه هكذا: ابن سعد: الطبقات.
 - (٣) ابن سعد: الطبقات، م، ٧، ص ٤٦٦، أبو زرعة: تاريخ أبي زرعة، ج٢، ص ٦٩٧-٦٩٨، ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٢٤٠، الذهبي: العبر، ج١، ص ١٣٦، ابن العماد: شذرات الذهب، م، ٢، ص ١٤٧، الزرو، خليل: الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٤، ص ٣٠، ٦٣.
 - (٤) أبو زرعة: تاريخ أبي زرعة، ج٢، ص ٦٩٨، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م، ١٦، ص ٣٣٦.
 - (٥) ابن سعد: الطبقات، م، ٧، ص ٤٧١، خليفة: الطبقات، م، ٨٠٣، خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٠٥، مجهول: تاريخ الدولة العباسية، مخطوط، و٣، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ١٢٢، الذهبي: العبر، ج١، ص ١٣٥، ابن العماد: شذرات، م، ٢، ص ١٤٦.
 - (٦) البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٢، ص ١٠٤، الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص ٤٣٨، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م، ١٧، ص ٩٠٩.
 - (٧) سوفاجيه، جان: دمشق الشام، تعريب فؤاد البستاني، دار الوارف، دمشق، ١٩٨٩، ص ٧٣.

تعرضت أسواق دمشق للخراب^(١). فكان لهذا أثر كبير على الوضع الاقتصادي في الشام، لأن دمشق بحكم كونها عاصمة الدولة فهي المركز الرئيسي لصناعة وتجارة بلاد الشام في هذه الفترة.

وبعد أن أتم العباسيون السيطرة على دمشق، أرادوا أن يظهرُوا بمظهر الفاتحين وأن يعطوا الشرعية لأعمالهم فيها.

فخطب عبدالله بن علي في أهلها خطبة " ذكر فيها بني أمية وجورهم وأنهم اتخذوا دين الله هزواً ولعباً ويصف ما استحلوا من المحارم والمظالم والمآثم، وما ساروا به في أمة محمد من تعطيل الأحكام وازدراء الحدود والاستئثار بالفيء وارتكاب القبيح وانتقام الله منهم وتسليط سيف الحق عليهم"^(٢)، فأراد عبدالله بخطبته هذه ترغيب أهل البلاد بالعباسيين ونزع حب الأمويين من قلوبهم^(٣)، كما أعلن عبدالله بن علي في الخطبة منح الأمان لجميع أهل دمشق باستثناء خمسة رجال هم الوليد بن معاوية، وصالح بن محمد، ومحمد بن زكريا، وأبان بن عبد العزيز، ويزيد بن معاوية^(٤) ولم أعثر في المصادر التي ذكرت هذا الخبر عن السبب الذي أدى إلى استثناء هؤلاء من الأمان، والمرجح أنه كان لهؤلاء دور في مقاومة الحصار العباسي للمدينة، وفي تحريض الناس على مقاومتهم.

وهكذا سيطر العباسيون على دمشق -عاصمة الدولة الأموية - فأتاح لهم ذلك الأمر إكمال الطريق للسيطرة على الشام فتوجه ابن علي وجنوده إلى فلسطين والأردن للحصول على بيعتها وملاحقة الخليفة مروان بن محمد الذي هرب في هذا الوقت إلى تلك المنطقة.

(١) ابن شداد ، أبو عبدالله الحلبي (ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م): الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق دومينيك سورديل، نشر المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ١٩٥٣، ج١ ق ١، ص ٢٧، وسيشار إليه هكذا: ابن شداد: الأعلام الخطيرة.

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ، ٢م ، ص ٣٥٦.

(٣) كرد علي، محمد: خطط الشام ، د. ن، بيروت، ط ٢، ١٩٦٩، ج١، ص ١٤٥.

(٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢م ، ص ٣٥٦، ابن عساكر: تاريخ دمشق ، مخطوط ، ٢م ، ص ٣٠٣ ، ٨م ، ص ٢٢٨ ، ١٥م ، ص ٢٤١.

ويلاحظ في حصار دمشق الموقف الذي اتخذته أهلها بمقاومة العباسيين، وإن دلّ هذا الموقف علي شيء فإنما يدل على مقدار الولاء الذي يكنه أهل دمشق للأمويين، خاصة وأن دمشق بهذا الموقف خالفت معظم مدن الشام التي سارعت إلى إعلان البيعة والتأييد للعباسيين عندما دخلوا هذه المدن، وحتى في كثير من الأحيان قبل أن يدخلوها.

ويبرز أيضاً في الحصار مقدار الذكاء الذي كان يتمتع به القائد عبدالله بن علي والذي بموجبه دب العصبية بين أهلها القيسية واليمانية، كما استمال فيه القبائل اليمانية إلى جانبه بعد أن ذكّرهم بدورهم في الدعوة العباسية، وتذكيرهم بتحيز مروان بن محمد ضدهم، وهذا الأمر سهل عليه السيطرة على دمشق بعد أن ضعفت المقاومة، وبهذا فإن عبدالله قد شابه قائد الثورة أبا مسلم الذي اتبع الأسلوب نفسه في خراسان ففرق العرب عن بعضهم، فأتاح له ذلك تسيير أمور الدعوة بجهد أقل.

ج - معاملة العباسيين لأهل الشام

كان للمقاومة التي أبداه أهل الشام في حصار العباسيين لدمشق (١٣٢هـ / ٧٤٩م)، أثر كبير في الموقف الذي اتخذته العباسيون من أهل الشام عامة والأمويين فيها بشكل خاص.

فأدركوا أن الأمور لا تستقيم لهم في هذا البلد إلا بالقوة، لذلك فقد تتبع العباسيون أهل هذه البلاد في انحائها يقتلونهم وينهبون أموالهم ويهدمون دورهم وينبشون قبور موتاهم، وكانت قمة أفعال العباسيين هذه هي حوادث القتل التي تعرض لها الأمويون في فلسطين والعراق والموصل.

ولم يستطع أن يفلت من قبضة العباسيين إلا من هرب^(١)، أو من نال عفواً وأماناً من أحد القادة العباسيين.

(١) الاصفهاني: الأغاني ، ١١م ، ص ٢٩٥ ، ابن عساكر: تاريخ دمشق ، مخطوط ، ١٥م ، ص ٣٩٠.

(١) القتل

كان عبدالله بن علي بحكم قيادته للجيش العباسية التي دخلت الشام، ثم بحكم توليه أمورها، أكثر القادة العباسيين الذين ارتبطت أسماؤهم بمعاملة العباسيين لأهل الشام.

وهذه المعاملة - التي بلغت درجة كبيرة من القسوة والظلم من قبل عبدالله وجنده - أخذت الشرعية من أعلى السلطات السياسية الممثلة بالخليفة أبي العباس الذي أرسل لعبدالله بن علي كتاباً شجعه فيه على قتل كل من يجده من بني أمية في الشام^(١).

وإذا كانت حادثتا القتل اللتان نفذهما عبدالله بن علي وجنوده بحق الأمويين في فلسطين هما قمة أعمال ابن علي^(٢)، فإن تصرفاته مع أهل الشام بدأت في حصاره لمدينة دمشق، حيث أوعز إلى جنده من أهل خراسان أن يقتلوا كل من يجده في الشام من أمراء بني أمية^(٣)، فقتل عدد كبير منهم^(٤)، كما قتل عدد آخر من غيرهم في الشام^(٥).

وقد دفع حقد ابن علي على أهل الشام إلى التمثيل في قتلهم، فقد أحرق رجلاً من كلب كان قد مدح صلب زيد بن علي^(٦)، كما أمر بتقطيع يدي ورجلي أبان بن

(١) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج٢، ص ١٣١، ابن أعمش: الفتوح، ج٨، ص ١٩٣.

(٢) نغذت حوادث القتل في نهر أبي فطرس وقلسنوة، انظر تفاصيل الحوادث، ص ٦٣-٦٦.

(٣) مؤلف من القرن ٢هـ: أخبار الدولة العباسية ص ١٤٨، مجهول: أخبار الدول، مخطوط، و ١٠٤.ب.

(٤) مؤلف من القرن ٢هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ١٤٨، البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوط، ج٣، و ٩٢، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ١٠٢.

(٥) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤١، ابن تغري بردي، جمال الدين أبو الحسن (٨٧٤هـ / ١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والترجمة والنشر، القاهرة، ج١، ص ٣٢٢، وسيشار إليه هكذا: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة.

(٦) البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق الحمودي، ج٣، ص ٢٣٢.

معاوية وطيف به على هذه الصورة في كور الشام^(١)، كما دفع عبدالله بن علي عبدة بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية - زوج هشام بن عبد الملك - إلى جنده من أهل خرسان فأخذت إلى الصحراء حافية القدمين ثم قتلت^(٢)، والأسباب التي دفعت عبدالله إلى قتلها ترجع إلى رفضها تزوجه، ثم عدم إخباره بمكان الكنوز الأموية^(٣)، وكذلك الحقد الذي يكنه لأبيها هشام الذي كان قد ضرب أباه عدة مرات في دولة الأمويين^(٤)، وأخيراً أنها قتلت انتقاماً لمقتل امرأة زيد بن علي^(٥).

وكان يساعد ابن علي في إخراج الأمويين له ليقتلهم في الشام، رجل اسمه زبار بن علي العذري^(٦)، مما يلاحظ على أن عبدالله قد أوكل لفريق مهمة ملاحقة الأمويين في الشام.

وبعد حصار دمشق توجه عبدالله بن علي إلى فلسطين حيث أكمل هناك ما بدأه في حصار دمشق بقتل الأمويين في منطقة الشام بحادثتي قلنسوة ونهر أبي فطرس.

-
- (١) البلاذري: أنساب الأشراف ، مخطوط، ج٣، و ٢٩١، مجهول: أخبار مجموعة في فتح الاندلس ، ص٤٩ ، ابن حزم: جمهرة: أنساب العرب ، ص٩٤.
 - (٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، تراجم النساء، ص٢٢٦.
 - (٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٣، ص ٢٠١ ، مجهول: أخبار مجموعة في فتح الاندلس، ص ٤٩ ، ابن عساکر: تاريخ دمشق، تراجم النساء، ص ٢٢٦.
 - (٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ، ٢م، ص٣٥٧.
 - (٥) ابن عساکر: تاريخ دمشق ، تراجم النساء، ص ٢٢٦.
 - (٦) ابن ماكولا: الإكمال ، ٢م، ص ١٧٠ ، السمعاني: الأنساب، ج٥، ص٢١٦، ابن الأثير، عز الدين علي ابن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م): اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠، ج١ ، ص٤٧٣، وسيشار إليه هكذا: ابن الأثير: اللباب

— حادثة نهر أبي فطرس^(١)

أطلق على الحادثة هذا الإسم لأنها وقعت بالقرب من نهر أبي فطرس في فلسطين، وأما زمان الحادثة فكان بعد حصول عبدالله بن علي على بيعة أهل الأردن وفلسطين في (١٣٢هـ / ٧٤٩م) حيث اتجه اليهما بعد سيطرته على مدينة دمشق.

وباستثناء المنبجي الذي أرجع تدبير الحادثة إلى صالح بن علي^(٢)، فإن المصادر التاريخية - التي اطلعت عليها - ذكرت أن عبدالله بن علي هو الذي دبّر الحادثة^(٣)، ويبدو أن المنبجي ذكر ذلك مستدلاً بأن صالح بن علي كان في هذا الوقت في هذه المنطقة حيث لحق بمروان بن محمد ليقّته بعد فراره من العباسيين.

والخبر الذي يذكر أن عبدالله هو مدبر الحادثة هو الأقرب للصواب لعدة أسباب منها: أن الزمان الذي وقعت فيه الحادثة كان فيه صالح بن علي في مصر مشغولاً بملاحقة مروان بن محمد. كما أن ضحايا الحادثة جاءوا من أجل الإعتذار لعبدالله عن تصرفهم معه في حصار دمشق حيث قاوموا الحصار^(٤)، خاصة وأنه قد أعلن منح الأمان لأهل الشام.

وإضافة لذلك فإن إجماع معظم المصادر التي ردت الحادثة إلى عبدالله، وانفراد المنبجي بالخبر الذي أورده يجعل خبرها أقرب إلى الصواب خاصة وأن كثيراً منها يعد مصدراً أولياً معاصراً لتلك الفترة^(٥).

(١) نهر أبي فطرس: موضع قرب الرملة من أرض فلسطين، على بعد ١٢ ميل من الرملة من جهة الشمال ومخرجه من أعين في الجبل المتصل بنابلس ويصب في البحر الملح بين أرسوف ويافا، اليعقوبي: البلدان ، ص٢٢٨، ياقوت: معجم، ج٥ ، ص٢١٥، وهو اليوم نهر العوجا ويعرف بنهر يافا لأنه يصب في البحر شمالها، وتحمل إلى النهر مياه أمطار وسيول نابلس والقدس ويبلغ طوله ٢٥ كم، شراب: معجم بلدان فلسطين ، ص٥٥.

(٢) المنبجي: تاريخ المنبجي ، ص١١٢.

(٣) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ، ج٢، ص١٢١ ، المبرد: الكامل، ج٤ ، ص٨-٩، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ، ج٢، ص٣٥٥ ، مجهول: العيون ، ج٣، ص٢٠٨ ، الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ / ٩٤٦م): أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم من كتاب الأوراق، نشر، ج. هورث، دار المسيرة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩، ص٢٩٨، وسيشار إليه هكذا: الصولي: أشعار أولاد ، ابن أبي الدم: الشماريخ ، مخطوط ، و ٦١ أ.

(٤) المقدسي: البدء والتاريخ ، ج٤ ، ص٧٢.

(٥) ابن قتيبة: الإمامة ، ج٢، ص١٢١، المبرد: الكامل، ج٤، ص٨-٩ ، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ، ج٢، ص٣٥٥ ، المقدسي: البدء والتاريخ، ج٤، ص٧٢.

وأما الأسباب التي دفعت عبدالله إلى تدبير تلك الحادثة فيمكن إرجاعها إلى أسباب ثلاثة هي: أولاً الحقد الذي كان يَكُنّه عبدالله بن علي للأمويين والرغبة في قتلهم، وهذا ما أعلنه بعد قتلهم، حيث ذكر أن قتلهم كان أمنية راودته منذ كان صغيراً^(١)، وأما السبب الثاني فيرجع إلى المقاومة التي أبدتها الأمويون بشكل خاص لجيش عبدالله في دمشق، فكانت هذه الحادثة عقاباً وانتقاماً لموقفهم، ويعود السبب الأخير إلى ما ذكره المؤرخ ابن العديم من أن الأمر بقتل الأمويين قد اتخذ رداً على الثورة التي قام بها أهل حمص وقنسرين بقيادة أبي الورد والسفياني على العباسيين في ١٢٢ هـ / ٧٥٠ م^(٢).

وعلى أية حال، فإنه واستجابة لنداء ابن علي فقد حضر إلى فلسطين أكثر من سبعين رجلاً من بني أمية^(٣)، قدموا إليه وهم يحملون المصاحف^(٤)، تقليداً لما قامت به السيدة عائشة - أم المؤمنين وأعوانها في وقعة الجمل بين الخليفين علي ومعاوية - رضي الله عنهما.

وقد حضر هؤلاء إلى عبدالله أملاً في الحصول على العفو والأمان^(٥)، ورغبة في استرداد أموالهم التي أخذها ابن علي منهم بعد حصار دمشق، خاصة وقد أعلن ردها لهم^(٦).

لكن القائد عبدالله بيت لهم الغدر فأعد جنوده من أهل خراسان وهم يحملون الأعمدة فهجموا على الأمويين وضربوهم حتى الموت، ثم فرشت البسط عليهم

(١) الصولي: أشعار أولاد الخلفاء، ص ٢٩٧ - ٢٩٨، ابن رأس غنمه: مناقل الدرر، مخطوط، و ١١٢ ب

(٢) ابن العديم، كمال الدين عمر (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م): بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دمشق، ١٩٨٨، ص ٣٩٢٩، وسيشار إليه هكذا: ابن العديم: بغية الطلب.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوط، ج ٢، و ٢٩١، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٣٥٥، ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ١٢١، المقدسي: البدء والتاريخ، ج ١، ص ٧٣، ابن رأس غنمة: مناقل الدرر، مخطوط، و ١١٥ ب.

(٤) المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، ص ١١٣.

(٥) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٣٥٥، ابن أبي الدم: الشماخي، مخطوط، و ٦١ أ.

(٦) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ١٢١.

وأحضر الطعام فتناوله عبدالله وأعوانه فوقهم وهو يسمع أنينهم^(١) فمات عدد كبير منهم ومن لم يمت كان عبدالله يقطع يديه وزجليه ويصلبه منكساً^(٢)، وكان يساعد ابن علي في قتلهم من قادته رجل إسمه عمر بن شريح الحضرمي، كافأة ابن علي على فعله بتوليته إمرة دمشق في (١٣٣هـ / ٧٥١م)^(٣).

والمصادر التاريخية التي كتبت عن هذه الحادثة ذكرت عدداً كبيراً من أسماء الأمويين الذين قتلوا في هذه الحادثة^(٤)، والأموي الوحيد الذي نجا من القتل كان حفيداً لعمر بن عبد العزيز اسمه آدم، عفا عنه عبدالله بن علي لأن جده عامل بني هاشم معاملة حسنة^(٥).

— حادثة قتل نسوة^(٦)

كان ضحية هذه الحادثة عدداً من أمراء بني أمية الذين حملوا من مصر إلى هذه المنطقة، فقام عبدالله بن علي وجنوده بقتلهم، ومن هؤلاء الأمراء: عاصم بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان وأولاده عبدالله وأبان مسلمة، وعمر بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان وأولاده أبان وعبد العزيز والأصبغ، وعمر بن أبي بكر^(٧).

- (١) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج٢، ص ١٢٢، ابن رأس غنم: مناقب الدرر، مخطوط، و ١١٣، المبرد: الكامل، ج٤، ص ٨-٩، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٣٥٥، المقدسي: البدء والتاريخ، ج٦، ص ٧٣، مجهول: العيون والحدائق، ج٢، ص ٢٠٨.
- (٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، م ٢، ص ٦٨٧.
- (٣) ابن عساکر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٣، ص ٢٣٥.
- (٤) انظر: ابن الكلبي: جمهرة النسب، ج١، ص ١٠٢، الزبيدي: نسب قريش، ص ١٢٠، البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٣، ص ١٠٢، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ١٣٩، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٨٦ - ٩١، ١٠٣، ١٠٥، ١٦٩، ٤٥٧، ابن عساکر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٢، ص ٥٤٩، م ٦، ص ٢٤، م ٧، ص ٦٠٥، م ١٤، ص ١٣٩، م ٢٠٦، م ١٥٨، م ٦٢٨، م ١٦، ص ٢٤٤.
- (٥) الأصفهاني: الأغاني، م ١٥، ص ٢٩١، ابن عساکر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٢، ص ٦٥٧.
- (٦) قننوسة: حصن قرب الرملة من أرض فلسطين، ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ٣٩٢، وهي قرية تبعد ٤ كم جنوب غرب طولكرم، شراب: معجم بلدان فلسطين، ص ٦١.
- (٧) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص ٣٩٢.

وقد كانت هذه الحادثة - التي ذكرها ياقوت الحموي ولم تذكرها المصادر التاريخية - استكمالاً لحوادث قتل الأمويين في الشام، والتي بدأت في حصار دمشق وبعده، ثم في نهر أبي فطرس.

وبعد أن قتل عبدالله من قتل من بني أمية استدعى الإمام الأوزاعي وسأله عن حكم قتل الأمويين فأجابه الأوزاعي بحرمة قتلهم^(١)، وكان هدف عبدالله بن علي من ذلك إكساب أعماله صفة الشرعية^(٢)، حتى لا ينفي عن العباسيين شعاراتهم التي أعلنوها أمام الناس من أنهم جاءوا لإعادة الحق إلى نصابه وإقامة العدل ورفع الظلم.

ولم تقتصر الأعمال التي قام بها عبدالله بن علي بحق أهل الشام على قتلهم فقط، بل تعدى ذلك إلى قراره بنهب قبور خلفاء بني أمية وقبور أولادهم.

وكان عبدالله بن علي ورجل اسمه عمر بن هانيء الطائي^(٣) ينبشون القبور ويخرجون ما فيها من رفات وعظام وأجسام فيحرقونها ثم يذرون رمادها في الهواء^(٤)، تعبيراً عن الانتقام من هؤلاء الخلفاء، والحق الذي يكنه قادة بني العباس للعائلة الأموية.

والخلفاء الأمويون الذين نبشت قبورهم كانوا معاوية بن أبي سفيان وإبنة يزيد^(٥)، ثم معاوية الثاني ومروان بن الحكم^(٦)، وبعد ذلك نبشت قبور الخليفة عبد

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص ١٢٤، الزرو: الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، ص ١٣٥.

(٢) بدر، أحمد: "فقهاء الشام وعلاقتهم بالخلفاء في العصر العباسي"، المؤتمر الخامس لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، ١٩٩٠، ص ١١.

(٣) المسعودي: مروج الذهب، ج٤، ص ٤٤، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٣، ص ٣٧٤.

(٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٣٥٦، الملوذي: نظم السلوك في ذكر الملوك، ص ٣٤.

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٢، ص ١٠٤، ابن طينطيا: الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٥٢.

(٦) ابن أعمش: الفتوح، ج ٨، ص ١٩٤.

الملك وأولاده: الوليد^(١) ومسلمة^(٢) وسليمان^(٣)، ثم نبش قبر الخليفة هشام بن عبد الملك الذي وجد جسمه صحيحاً فأخرجته عبدالله بن علي^(٤)، وضربه بالسياط^(٥) ثم صلبه بضعة أيام قبل أن يحرق جسمه ويذر رماده في الرياح^(٦)، وقد خص ابن علي هشام بهذا العقاب لحقده عليه لأنه كان قد ضرب أباه عدة مرات ولأنه صلب زيد بن علي (١٢٢هـ / ٧٤٠م)^(٧)، ثم نبشت قبور الخليفتين الوليد بن يزيد ويزيد بن الوليد (الناقص)، وبعض أمراء بني أمية كالوليد بن مسلمة^(٨).

والوحيد من خلفاء بني أمية الذي لم ينبش قبره هو عمر بن عبد العزيز^(٩)، لأنه كان جيداً في معاملة العباسيين ولم يتعرض لهم بأي اساءة.

وبخلاف عبدالله بن علي فإن شقيقه صالح - والذي كان الحاكم الآخر على الشام - قام بقتل عدد كبير من عرب الشام في قرقيسيا^(١٠)، كما أنه قتل عدداً كبيراً من أمراء بني أمية في الشام^(١١).

- (١) البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٢، ص ١٠٤، المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٤٤.
- (٢) ابن أعم: الفتوح، ج ٨، ص ١٩٤.
- (٣) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٤٤، الحميري: الروض المعطار، ص ٢٣١.
- (٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٣٥٧، ابن أبي الدم: الشماريخ، مخطوط، و ٦١ أ.
- (٥) القلقشندي: مآثر الإنافة، ج ١، ص ١٦٨.
- (٦) البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٢، ص ١٠٤، المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٤٤، ابن مسافر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٥، ص ٣٩٠.
- (٧) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٤٤.
- (٨) ابن أعم: الفتوح، ج ٨، ص ١٩٤.
- (٩) البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٢، ص ١٠٤، ابن أعم: الفتوح، ج ٨، ص ١٩٤.
- (١٠) المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، ص ١٢٠.
- (١١) وقرقيسيا: بلد على نهر الخابور، وعندها مصب النهر في الفرات، ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٢٨ - ٣٢٩، البغدادي: مرصد، ج ٣، ص ١٠٨.
- (١٢) الزبيري: نسب قريش، ص ١٦٦، البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوط، ج ٢، و ٨٤، ابن مسافر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٠، ص ٥٦٥.

وقد نسب المنبجي في تاريخه حادثة قتل الأمويين في نهر أبي فطرس لصالح ابن علي^(١)، مما يدل على ما كان يفعله هذا القائد بالشام من القتل بحيث نسب له المنبجي هذه الحادثة.

وقد ارتبط قتل الأمويين وأهل الشام بالخليفة أبي العباس الذي كان المحرك لذلك، فرغم الأمان والعفو الذي بعثه الخليفة إلى أهل الشام^(٢)، إلا أنه شجع عبدالله ابن علي على قتل الأمويين في الشام^(٣)، وبخلاف ذلك فإن أبا العباس قام بقتل الأسرى من الأمويين الذين بعثهم عبدالله إليه من الشام في العراق^(٤)، كما أنه استدعى عدداً من أمراء بني أمية في الشام وقتلهم في الحيرة^(٥).

وكعبدالله بن علي فقد مثل أبو العباس بالأمويين وأعوانهم ففعل ذلك بالخليفة مروان بن محمد^(٦)، ثم بكاتبه عبد الحميد^(٧).

وكما في الشام فإن أبا العباس أمر عماله بملاحقة الأمويين في أماكن عدة، فتعرضوا للقتل في البصرة على يد سليمان بن علي^(٨)، وفي الحجاز والطائف على

- (١) المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، ص ١١٣.
 - (٢) ابن عبدربه: العقد الفريد، ج ٤، ص ١٦.
 - (٣) ابن أمثم: الفتوح، ج ٨، ص ١٩٣.
 - (٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٣٤٦.
 - (٥) انظر تفاصيل الحادثة، ص ٧٠-٧٣.
 - والحيرة: مدينة على بعد ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف، ياقوت: المشترك، ص ١٥٠، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٢٨، الحميري: الروض المعطار، ص ٢٠٧، البغدادي: مراصد، ج ١، ص ٤٤١.
 - (٦) انظر في الفصل الأول: مقتل مروان بن محمد، ص ٣٧ - ٣٨.
 - (٧) عبد الحميد بن يحيى بن سعد الكاتب، قتل سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م انظر: الجهشيارى: الوزراء والكتاب، ص ٧٩، ابن عساكر: تاريخ دمشق، م ٤٠، تحقيق سكيئة الشهابي، ص ٤٨، ابن الدمياطي، أحمد بن أيوب (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م): المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، تحقيق قيصير أبو فرح، دار الكتاب العربي، بيروت، م ١٨، ص ١٥٣، وسيشار إليه هكذا: ابن الدمياطي: المستفاد.
 - (٨) الأصفهاني: الأغاني، م ٤، ص ٣٤٩.
- وسليمان بن علي بن عبدالله بن عباس (ت ١٤٢هـ / ٧٥٩م).
- انظر: السدوسي: حذف من نسب قريش، ص ١٠، خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤١٩، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٥١٤، الذهبي: سير، ج ٦، ص ١٦٣، ابن كثير: البداية، ج ١، ص ٨٠ - ٨١.

يد داود بن علي وأعوانه^(١)، وفي العراق على يد حميد بن قحطبة، وفي المغرب على يد الأشعث^(٢)، وفي إفريقية على يد عبد الرحمن بن حبيب الفهري^(٣).

" وبالرغم من أن أبا العباس قد أطلق على نفسه لقب "السفاح" يوم البيعة بالكوفة (١٣٢هـ / ٧٤٩م) عندما قال: أنه " السفاح المبير"^(٤)، إلا أن بعض المؤرخين علل إطلاق اللقب عليه لكثرة ما قتل، وما أمر به أن يقتل من الناس على يد عماله^(٥)، وخاصة من الأمويين فقال فيه أحد الشعراء:

وكانت أمية في ملكها	تجور وتكبر في عدوانها
فلما رأى الله أن قد طغت	ولم يطق الناس عدوانها
رماها بسفاح آل الرسول	مجد يكفيه أعيانها ^(٦)

(المتقارب)

وكانت حادثة الحيرة هي أبرز حوادث القتل التي دبرت للأمويين من قبل الخليفة أبي العباس.

- حادثة الحيرة

أجمعت المصادر التاريخية - التي اطلعت عليها - على أن مدبر الحادثة هو الخليفة أبو العباس السفاح .

(١) ابن خياط: تاريخ ابن خياط، ص ٤١٠، ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ١٣١، البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوط، ج ٢، و ٩٢، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٢٥٢، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، م ٢، ص ٦٨٧.

(٢) اليعقوبي: مشاكلة الناس لزمانهم، ص ٢٢.

(٣) المسعودي: التنبيه والأشراف، ص ٣٠٢.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٢٦.

(٥) الصابئ، أبو الحسن (ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م): رسوم دار الخلافة، تحقيق ونشر ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤، ص ١٢٩، وسيشار إليه هكذا: الصابئ: رسوم الخلافة، العامري: غربال الزمان، ص ١٣٠.

(٦) مجهول: أخبار الدول، مخطوط، و ١٠٤ ب - ١٠٥ أ.

فرغم أن ابن قتيبة يذكر في "عيون الاخبار" أن المنصور هو الذي قام بفعل تلك الحادثة بأمره قتل الأمويين^(١)، فإن ما قصده ابن قتيبة من ذكر المنصور هو " اللقب" وليس الخليفة أبي جعفر المنصور، لأن لقب "المنصور" أطلق في تاريخ الدولة الإسلامية على أكثر من خليفة، وأن ابن قتيبة ما قصد من ذلك اللقب إلا أبا العباس، ويؤكد هذا الكلام أن ابن قتيبة في كتابه "الإمامة والسياسة" يذكر العلاقة بين أبي العباس وسليمان بن هشام الذي كان مع أولاده أحد ضحايا هذه الحادثة، كما يذكر فيها تحريض الشاعر سديف^(٢).

وعلى أية حال فإن أبا العباس دبر الحادثة بكل دقة فنادى في الشام بمنح الأمان لبني أمية والناس جميعاً ودعاهم اليه في العراق، فعاد الذين فروا اليه^(٣)، طمعاً في التخلص من حياة الخوف والهرب التي لجأوا إليها خوفاً من العباسيين.

وقد اجتمع عند السفاح عدداً ما يقارب الثمانين رجلاً^(٤)، كان فيهم الأمير الأموي سليمان بن هشام - الذي كان قد هرب إلى العباسيين قبل دخولهم الشام فراراً من مروان بن محمد الذي حاربه أكثر من مره - الذي حظي بتقريب الخليفة وتكريمه^(٥)، وبعد إجتماعهم قام الشاعر سديف وأنشد أمام السفاح أبياتاً ذكر فيها ظلم الأمويين لبني هاشم، وكان مما قال سديف:

(١) ابن قتيبة: عيون الاخبار، ج١، ص ٢٠٦ - ٢٠٨.

(٢) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج٢، ص ١٢٣ - ١٢٤.

سديف بن ميمون المكي الشاعر: بدوي أسود، كان مولى لإمراء من خزاعة ثم انضم للعباسيين ولم يفارق السفاح والمنصور، حتى خرج مع محمد النفس الزكية فأخذ يهجو العباسيين فعضروا عليه وقتلوه بعد سنة (١٤٥هـ / ٧٦٢م)، انظر: ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (٢٧٦هـ / ٨٨٩م): الشعر والشعراء تحقيق محمد محمود شاكر، دار المعارف، مصر، د. ت، ج ٢ ص ٧٦١-٧٦٢، ابن المعتز، عبدالله (ت ٢٩٦هـ / ٩٠٨م): طبقات الشعراء، تحقيق عبد السلام فراج، دار المعارف، مصر، ط ٢، د. ت، ص ٢٧ - ٤٢، وسيشار إليه هكذا: ابن المعتز: طبقات الشعراء، الأصفهاني: الأغاني، م ١٦، ص ١٣٥، ابن عساكر، مخطوط، م ٧، ص ٧١ - ٧٢، العامري: غريبال الزمان، ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٣) مجهول من القرن ٤هـ: أخبار مجموعة في فتح الأندلس، ص ٥٠.

(٤) مجهول من القرن ٤هـ: أخبار مجموعة في فتح الأندلس، ص ٥٠.

(٥) ابن أعمش: الفتوح، ج ٨، ص ١٩٦.

لا يغرنك ما ترى من رجسـال
فضع السيف وارفع السوط حتى
إن تحت الضلوع داء دويأ
لا ترى فوق ظهرها أمويأ^(١)
(الخفيف)

ثم قال:

كيف بالعفو عنهم وقديماً
أين زيد واين يحيى بن زيد
والإمام الذي أصيب بحرآن
قتلوا آل أحمد لاعفا الذنب
قتلوكم وهتكوا الحرمات
يا لها من مصيبة وترات
إمام الهدى ورأس الثقفات
لمروان غافر السيئات^(٢)

(الخفيف)

وهذه الابيات ذكّرت أبا العباس بأجداده الذين قتلوا على أيدي الأمويين كما أخبرته أن الخوف هو الذي دفع بني أمية إلى الحضور وليس الولاء، فبعثت روح الإنتقام في نفس أبي العباس.

فقال أبو العباس لحاجبه أن ينادي أمام الأمويين: أين رسول الحسين بن علي؟ وأين زيد بن علي وابنه يحيى؟ وأين إبراهيم الإمام؟ ولم يجب الأمويون بأي كلمة، فقال أبو العباس: إنهم أهلي^(٣)، فأدرك الأمويون أن مصيرهم هو القتل، وفعلاً تم قتلهم بنفس الطريقة التي قتل بها عبدالله بن علي الأمويين بنهر أبي فطرس^(٤).

(١) ابن قتيبة: المعارف، ص ٣٦٥، ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج ٢، ص ٧٦١، المبرد: الكامل، ج ٤، ص ٨، ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٣٨-٤٠، المقدسي: البدء والتاريخ، ج ٢، ص ٩٠، ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٥١.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، م ٤، ص ٢٥٠.

(٣) ابن رأس غنم: مناقب الدرر، مخطوط، و ١١٢ ب، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، م ٢، ص ٦٩٣.

(٤) ابن أعمش: الفتوح، ج ٨، ص ٢٠٠، الأصفهاني: الأغاني، م ٤، ص ٣٤٧-٣٤٨، مجهول: تاريخ الخلفاء والسلطين، مخطوط، ميكروفيلم في مكتبة الجامعة الاردنية، مركز الوثائق والمخطوطات رقم (٥٦٢)، مصور عن مخطوط في مكتبة بودليان، اكسفورد تحت رقم (٢٤٠)، مجموعة مارش، و ١١٨، ابن تغري بردي، أبو الحسن (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م): مورد اللطافة في ذكر من ولي السلطنة والخلافة، مخطوط، ميكروفيلم في مكتبة الجامعة الاردنية، مركز الوثائق والمخطوطات تحت رقم (١٠٠)، مصور عن مخطوط في جامعة برننتسون تحت رقم (٥٩٧) مجموعة جاريت، و ٢٤ - ٢٥، وسيشار إليه هكذا: ابن تغري بردي: مورد اللطافة، مخطوط. وانظر قتل الأمويين في أبي فطرس، ص ٦٣-٦٥.

وقد قتل في هذه الحادثة عدد من أمراء بني أمية^(١) كان أشهرهم الأمير سليمان بن هشام^(٢) وأولاده^(٣)، وبعد قتلهم قال أبو العباس:

بني أمية قد أفنيت جمعكم
يطيب النفس أن النار تجمعكم
منيتم لا أقال الله عثرتكم
ان كان غيظي لفوت منكم
فكيف لي منكم بالاول الماضي
عوضتم من لظاها شر معتاض
بليت غاب إلى الأعداء نهاس
فلقد رضيت منكم بما ربي به راض^(٤)
(البسيط)

وفي النهاية، فإن القصائد التي قيلت في حادثة نهر أبي فطرس وحادثة الحيرة وتشابه بعضها أدى ببعض المؤرخين إلى القول أن لا وجود لحادثتين وإنما الواقع أنها حادثة واحدة^(٥)، والذي دفع هؤلاء المؤرخين إلى هذا القول، ربما كان اللقب الذي أطلق علي مدبري الحادثتين: أبو العباس وعبدالله بن علي، لأن كليهما نعت " بالسفاح"^(٦)، كما أن تقارب عدد القتلى كان من أسباب ذلك القول، إضافة إلى تشابه الطريقة التي تم فيها قتلهم.

ولكن الأصح من ذلك أنه هناك فعلاً وجود لحادثتين، وذلك لعدة أسباب: منها أن الشاعر سديف لم يرد إسمه أبداً في حادثة نهر أبي فطرس، وورد إسمه في حادثة

(١) مجهول من القرن ٤ هـ: أخبار مجموعة في فتح الاندلس، ص ٥١، الصابىء: الهفوات النادرة، ص ١٠٧.

(٢) ابن قتيبة: المعارف، ص ٣٦٥، المبرد: الكامل، ج ١، ص ٨، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٣٦، ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٤٠، ابن رسول، عمر بن يوسف (ت ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م): طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تحقيق. ك. و. ستر ستين، مطبعة الترقى، دمشق، ١٩٤٩، ص ٨٠، وسيشار إليه هكذا: ابن رسول: طرفة الأصحاب، ابن أبي الدم: الشماريخ، مخطوط، و ٦١ ب.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٣، ص ٣٩٩، م ٦، ص ٢٤، م ١٥، ص ٣٩٩.

(٤) ابن طباطبا: الفخري في الآداب، ص ١٥٢.

(٥) عمر: تاريخ العراق، ص ٦٥.

(٦) انظر: ابن قتيبة: الامامة، ج ٢، ص ١٢١، الصابىء: رسوم الخلافة، ص ١٢٩، مجهول: أخبار الدول، مخطوط، و ١٠٤.

الحيرة، كما أن في الحادثتين وجود لمكانين منفصلين كل منهما يقع في ناحية فكما أن نهر أبي فطرس تقع في فلسطين، فإن الحيرة تقع في العراق^(١).

وتشابه طريقة القتل لا تعني بأي حال من الأحوال أنها حادثة واحدة، لأنه في كل فترة من فترات التاريخ والعصور المتلاحقة تظهر طرق أخرى للقتل، وإلا ماذا نفسر طريقة صلب القتلى؟ أو ماذا نفسر طريقة سمل عيون خلفاء بني العباس من قبل الاتراك؟ هل الذين سملت أعينهم هم خليفة واحد؟ وعلى ذلك فلا يمكن تفسير وجود حادثتين بحادثة واحدة لمجرد أن طريقة القتل قد تشابهت.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أهل الموصل قد تعرضوا لحادثة قتل على يد يحيى بن محمد^(٢). كانت أفدح من حوادث نهر أبي فطرس والحيرة وقلنسوة، ليس بسبب أمويتهم، وإنما لأنهم أيدوا الأمويين، وثاروا إنتقاماً لحوادث القتل التي حلت بهم بالشام والعراق^(٣).

(٢) النهب والتدمير

واصل العباسيون أثناء دخولهم بلاد الشام ممارساتهم ضد أهلها، فأخذوا أموالهم ونقلوا ملكية ضياعهم وهدموا دورهم ودمروا مدنها، إستكمالاً لما قاموا به من القتل ونهب القبور والطرود.

(١) عمر: تاريخ العراق، ص ٦٥.

(٢) يحيى بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس (ت ١٣٥هـ / ٧٥٢م). انظر: السدوسي: حذف من نسب قريش، ص ١١، خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤١٩، الازدي: الموصل، ص ١٥٠ - ١٥١، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٢٠، ابن مساك: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٦، ص ١٨٢.

(٣) تفاصيل حادثة قتل أهل الموصل.

انظر: خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤١١، البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٣، ص ٢٨١، الازدي: تاريخ الموصل، ص ١٥٠ - ١٥١، ابن أبي الدم: الشماريخ، مخطوط، و ٣ ب، مجهول: تاريخ الدولة العباسية، مخطوط، و ٣ ب، النويري، شهاب الدين احمد (٧٣٣هـ / ١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٤، ج ٢٢، ص ٥٧ - ٥٨، وسيشار إليه هكذا: النويري: نهاية الأرب.

فأستولى عبدالله بن علي بعد معركة الزاب (١٣٢هـ / ٧٤٩م) على معظم أموال الشام^(١) كما أخذ مالهم من الضياع والدور^(٢)، وتابع ابن علي سياسته تلك بنهب أموال الأمويين الذين قتلهم في نهر أبي فطرس^(٣) وبعد هذا استدعى عبدالله بن علي الإمام الأوزاعي وسأله عن حكم أموال الأمويين التي أخذت منهم، فأجابه بحرمة أخذها سواء كانت حلالاً أم حراماً^(٤)، وهذه الإجابة لم تعجب ابن علي فغضب من الأوزاعي وطرده، لأنه قصد من استدعاء الأوزاعي أن يجد تبريراً لأخذ أموال الأمويين، خاصة وأن الأوزاعي له مكانة كبيرة في نفوس أهل الشام.

وغير عبدالله بن علي فإن أخاه صالحاً بعث أحد قادته إلى فلسطين فنهب أموال العرب وممتلكاتهم ومواشيهم^(٥)، وذلك أثناء ملاحقته لمروان بن محمد وأعوانه الذين هربوا لهذه المنطقة.

واضافة إلى أخذ أموال أهل الشام، فقد أخذت ضياعهم وأرضهم ونقلت إلى أبناء البيت العباسي ومقربيههم وقادتهم^(٦).

ولم يصاحب دخول العباسيين النهب والقتل فقط، بل إن حركة العمران بالشام تأثرت بشكل كبير من ذلك، فعمّ الخراب كثيراً من المناطق، وخاصة تلك التي ارتبطت بالأمويين حقداً عليهم وأملأ في نزع حب تلك الدولة من قلوب الناس.

فهدم عبدالله بن علي - وكما أشرنا في حصار دمشق - سور المدينة^(٧)، وتعرضت أسواقها للخراب^(٨)، كما هدم في حرّان قصراً لمروان بن محمد كان قد أنفق على بنائه مبلغاً كبيراً^(٩).

(١) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج٢، ص ١٢١.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٥، ص ٣٩٠.

(٣) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج٢، ص ١٢٢.

(٤) الذهبي: سير، ج٧، ص ١٢٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١، ص ١١٨.

(٥) المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، ص ١٢٠.

(٦) انظر تفاصيل عن هذا الجانب في فصل "الوضع الاقتصادي"، ص ١٨٠-١٨٢.

(٧) البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٢، ص ١٠٤، الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص ٤٣٨.

(٨) ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج١، ق ١، ص ٣٧.

(٩) البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٢، ص ١١٢، ابن حمدون: التذكرة، مخطوط، و ٧١ ب.

وكما تحدث أبو نخيلة^(١) عن قتلى الأمويين وأهل الشام من أعوان مروان بن محمد^(٢)، فإنه تحدث أيضاً عن الخراب والدمار الذي أصاب بعض مدن الشام، كحمص والموقر وتدمر وغيرها، أثناء دخول العباسيين إلى بلاد الشام فقال:

وأمسست الأنبار داراً تعمّر وخربت من الشام أدور
حمص وباب التبن^(٣) والموقر ودمرت بعد إمتناع تدمر
وواسط لم يبق الا القراقر^(٤) فيها ولا الدير أبان الأخضر^(٥)

(المنسرح)

ومن هذا العرض نلاحظ أن أعمال النهب والتدمير في بلاد الشام قد ارتبطت بأمرين: أولهما أن الأماكن التي تعرضت لتلك الأعمال هي تلك التي قاومت العباسيين أثناء دخولهم الشام، ولم تبائعهم إلا بعد محاصرة العباسيين لأهلها كما حصل مع البلقاء ودمشق، وأما الأمر الثاني فتعلق بارتباط الأمكنة بالأمويين، فأزال العباسيون كثيراً من القصور التي تعود ملكيتها لخلفاء وأمراء وقادة بني أمية، سعياً منهم لإزالة كل ما يربط الأمويين بهذه البلاد.

وأخيراً، فإن الأحداث التي رافقت دخول العباسيين إلى بلاد الشام، وما تبعها

(١) أبو نخيلة بن حزن بن زائدة بن ثميم: كنيته أبا الجعيد، نفاه أبوه لعقوقه فأقام بالشام واتصل بمسلمة بن عبد الملك فقربه لخلفاء بني أمية فأغنوه، ثم ابتعد عنهم إلى بني هاشم وسمى نفسه شاعرهم فمدحهم وهجا بني أمية، ثم قتله على يد موالي عيسى بن موسى لأنه أغرى الخليفة المنصور بخلعه وعقد العهد للمهدي، ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج ٢، ص ٦٠٢، الأصفهاني: الأغاني، م ٢٠، ص ٣٩٠.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٣، ص ١٥٨، الأصفهاني: الأغاني، م ٢٠، ص ٤١٦.

(٣) باب التبن: محلة ببغداد بجانب مقابر قريش التي فيها قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٠٦، قيل عن التبن مسجد دمشق، ياقوت: معجم، ج ٢، ص ٦٩.

(٤) قراقر: موضع من امراض المدينة لال حسين بن علي، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٠٨.

(٥) الأصفهاني: الأغاني، م ٢٠، ص ٤١٥.

ودير أبان: من قرى غوطة دمشق، منسوب لأبان بن عثمان بن حرب الأموي، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٩٥-٤٩٦، البغدادي: مراصد، ج ٢، ص ٥٤٩.

من تصرفات العباسيين مع أهل الشام عامة، والأمويين خاصة، دفعت كثيراً من أهل الشام إلى الهرب من بلادهم، حفاظاً على أرواحهم، وهم وإن فعلوا ذلك من انفسهم فقد كان ذلك بسبب العباسيين الذين يمكن إعتبارهم بهذا المفهوم مبعدين لهؤلاء القوم عن بلادهم. وأما البلاد التي شهدت هجرة أكبر عدد من الأمويين فقد كانت المغرب والحبشة والأندلس.

فقد هرب إلى الأندلس عدد كبير من أمراء بني أمية^(١)، منهم الأمير عبد الرحمن بن معاوية^(٢).

كما هرب عدد آخر من الشام إلى المغرب كان منهم الأمير ان العباس وموسى إبنى الخليفة الوليد بن يزيد^(٣)

وأما الحبشة، فقد كان أبرز من هرب إليها عدد من عائلة مروان بن محمد، منهم أولاده عبدالله وعبيد الله، وأختهما أم مروان^(٤)، وقد رافقهم عدد من أمراء بني أمية منهم عبيد الله بن الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم^(٥)، وكذلك العاص بن الوليد^(٦).

(١) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٩٤، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٠، ص ٤٥٣، ٦٣٨.

(٢) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك (الداخل) (ت ١٧٢هـ / ٧٨٨م).
انظر: ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٣٦٢، الذهبي: سير، ج ٨، ص ٢٥٣، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١، ص ٧٦، العامري: غريبال الزمان، ص ١٢٦.
* بخصوص كيفية هرب عبد الرحمن بن معاوية.
انظر: ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ١٢١ - ١٢٢، مؤلف مجهول من القرن ٤هـ: أخبار مجموعة في فتح الاندلس، ص ٥٣.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٨، ص ٩٩٦.
(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوط، ج ٣، و ٢٩٠، المسعودي: التنبية والأشراف، ص ٣٠١، مجهول: العيون والحدائق، ج ٣، ص ٢٠٥، البغدادي: تاريخ بغداد، م ١٠، ص ١٥٠، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٨، ص ٢٢٢، ٣٨٨، تحقيق سكيئة الشهابي، ص ٤٢٢، العامري: غريبال الزمان، ص ١٢٦، ابن رسول: طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، ص ٨٠ - ٨١.

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٤، ص ٦٤٨.

(٦) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٨، ص ٦٧٠.

د- تحليل للحوادث التي رافقت الدخول العباسي إلى بلاد الشام

أحيط الدخول العباسي إلى بلاد الشام وما تبعه من حوادث قتل ونهب وتدمير ونهب للقبور بدراسات المؤرخين المحدثين من عرب وغربيين، سواء من ناحية الأسباب التي أدت إلى هذه الحوادث أو صحة الأخبار التي نقلت هذه الحوادث. والصورة التي نُقلت فيها هذه الحوادث، فيها كثير من المبالغة والتهويل، على الرغم من امكانية وقوع هذه الحوادث التي ذكرتها معظم المصادر التاريخية. ويرجع السبب في المبالغة إلى أن الأخبار كتبت في العصر العباسي، وقد حرفت هذه الأخبار وزيد فيها من أجل التشفي بالأمويين، وإظهار الانتصار العباسي^(١).

وبالنسبة للحوادث فقد علل بعض المؤرخين العرب قيام العباسيين بها إلى أن الدولة كانت في مرحلة تأسيسها، وأن هذه المرحلة تتطلب إظهار الحزم حتى تحقق الدولة الأمان من خصومها^(٢). وهذا الرأي يبرر للعباسيين قيامهم بالقتل قبل أن تحدث المقاومة، وهذا لم يحدث مع العباسيين، فهم ما قاموا بتلك الحوادث إلا بعد أن واجهوا المقاومة من أهل الشام. وأقرب دليل على ذلك ما حدث أثناء دخول العباسيين إلى دمشق والبقاء حيث حاصرهم العباسيون لأنهم قاوموهم^(٣). وبخلاف المقاومة فإن الثورات التي صاحبت الدخول العباسي إلى بلاد الشام كانت سبباً في الحوادث.

فكان من أسباب حادثة نهر أبي فطرس قيام ثورة ضد العباسيين في حمص وقنسرين^(٤)، وكان سبب حادثة الموصل ثورة أهلها ضد العباسيين تأييداً لبني أمية^(٥).

(١) مطوان، حسين: الدعوة العباسية، تاريخ وتطور، دار الجيل، بيروت، د. ت، ص ٤٩٦.

(٢) شلبي: التاريخ الإسلامي والحضارة، ج٢، ص ١٥٣، طلس، محمد اسعد: تاريخ الامة العربية - تاريخ الدولة العباسية (١٣٢ - ٢٣٢هـ) دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٠، ص ٤٣، مصطفى، مجاهد: أوهام وشبهات حول العصر العباسي الأول، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، م ٥، عدد ٥، ١٩٨٥، ص ١٩٧.

(٣) انظر: موقف الشام من العباسيين، ص ٥١-٥٤.

(٤) ابن العديم: بغية الطلب، ج٩، ص ٣٩٢٩.

(٥) الأزدي: تاريخ الموصل، ص ١٥٠-١٥١.

وبالإضافة لذلك فقد كان للشعراء دور كبير في تحريض بني العباس ضد الأمويين^(١)، خاصة وأن كثيراً من القادة العباسيين كانوا يحقدون على الأمويين، لمعاملتهم إياهم أثناء دولتهم، وغضباً لبعض الأئمة الذين قتلوا بأيدي الأمويين كالحسين بن علي وزيد بن علي وابنه يحيى وإبراهيم بن محمد الإمام^(٢)، وقد استغل الشعراء هذا الحقد فبعثوا روح الانتقام في نفوس العباسيين طوال العصر العباسي الأول، فبرز دور الشعراء هذا في حادثة الحيرة زمن السفاح^(٣)، والمهدي قتل من بني أمية رجالاً بتحريض الشعراء^(٤)، وأما الهادي فقد كان يسمّر ويتغنّى بسماع قتل الأمويين في نهر أبي فطرس، وكذلك قتل داود بن علي لهم في الحجاز والطائف على لسان الشعراء^(٥).

وأما المؤرخون الغربيون فمنهم من رأى أن العامل الاقتصادي كان دافعاً من وراء قتل أهل الشام من قبل العباسيين الذين أرادوا أخذ أموالهم وأراضيهم^(٦)، وفي رأيي أن العامل الاقتصادي الذي ذكره هؤلاء المؤرخون لم يكن هدفاً من أهداف العباسيين بقدر ما كان نتيجة من نتائج دخولهم بلاد الشام. فالعباسيون الذين سيطروا على البلاد بفترة قصيرة كان بإمكانهم أن يأخذوا أموال أهل الشام دون قتلهم.

ومن المؤرخين الغربيين من وقف في موقف الدفاع عن منفذي الحوادث. فأشار فلهوزن إلى أن الجنود الخراسانيين قاموا بأعمال القتل تلقياً لأوامر قادتهم العباسيين^(٧)، وساند فان فلوطن فلهوزن فذكر أن هؤلاء الجنود كانوا موالين للأسرة

(١) حسن: تاريخ الإسلام، ج٢، ص ٨٥.

(٢) حبيبة: العباسيون في التاريخ، ص ٧٢، عطوان: الدمعة العباسية "تاريخ وتطور"، ص ٤١٤.

(٣) انظر: حادثة الحيرة، ص ٧٠-٧٢.

(٤) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ٢٠٨، الاصفهاني: الأغاني، م ١٠، ص ٢٧٣.

(٥) المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص ١٨٨.

(٦) Kennedy : The Early Abbasid Caliphate , p. 49.

(٧) فلهوزن: تاريخ الدولة العربية، ص ٥٢٣.

العباسية، وأنهم رهن إشارتهم يفعلون ما يأمرونهم به^(١)، وقد أراد هؤلاء المؤرخون برأيهم هذا تحميل مسؤولية الحوادث إلى العباسيين وتبرئة الخراسانيين مواصلين النهج الذي اختطوه منذ أن بدأوا بكتابة التاريخ العربي الاسلامي بمهاجمة العرب.

وإذا كانت المصادر التاريخية التي نقلت الحوادث قد أفاضت في ذكر القتل والنهب والتمثيل بالقتلى وصلبهم، ثم تشفي العباسيين بهم بقصد إظهار الانتصار العباسي، مما أعطى صورة قاسية وسلبية عن معاملة العباسيين لأهل الشام، فإنه وإن كان في هذه الاخبار قدر من الصحة كما فيها قدر من المبالغة. فإن المصادر نفسها لم تعط الجانب الآخر الايجابي من المعاملة حقه في الذكر. فذكرت المصادر أخباراً قليلة وحوادث متفرقة عن العفو والأمان الذي كان يمنحه العباسيون لأهل الشام.

وقد ظهرت أبرز صور هذا الجانب في العفو الذي أصدره الخليفة أبو العباس عن شيوخ أهل الشام الذين قدموا إليه في بداية خلافته معتذرين^(٢)، وعن أولئك الذين ظلوا يقاومون العباسيين حتى قتل مروان بن محمد (١٣٢هـ / ٧٥٠م)^(٣)، ثم في العفو الذي أصدره الخليفة المنصور عن أهل الشام الذين ثاروا مع عبدالله بن علي (١٣٧هـ / ٧٥٤م)^(٤)، وأولئك الذين ثاروا سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م مع محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي (النفس الزكية)^(٥).

- (١) فان فلوتن: السادة العربية، ص ١٦٥.
- (٢) العسكري: الأوائل، ص ٩٨-٩٩، الجاجرمي، أبو المعالي (ت أوائل القرن ٧هـ / ١٣م): نكت الوزراء، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود، لجنة إحياء التراث العلمي العربي، بغداد، ١٩٨٤، ص ٢٠، وسيشار إليه هكذا: الجاجرمي: نكت الوزراء.
- (٣) ابن أعثم: الفتوح، ج ٨، ص ١٩٥، الصابي: الهفوات النادرة، ص ٣٧١.
- (٤) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٨٤، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ١٦٧.
- (٥) التنوخي، أبو علي الحسن (ت ٢٨٤هـ / ٩٩٤م): نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧١، ج ٢، ص ١٥٦، وسيشار إليه هكذا: التنوخي: نشوار المحاضرة.

ومحمد بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب. قتل سنة (١٤٥هـ / ٧٦٢م)
انظر: السدوسي: حذف من نسب قریش، ص ١٦، خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٢٣، خليفة: طبقات خليفة، ص ٦٧٣-٢٧٤، ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، ج ١٠، ص ٨٥-٩٢.

والصورة الإيجابية الأخرى عن معاملة العباسيين لأهل الشام ظهرت في الأمان الذي منحه العباسيون لبعض أفراد عائلة مروان بن محمد بعد مقتله^(١)، ولأفراد من الأسرة الأموية^(٢)، وغيرهم من أهل الشام^(٣).

وقد ترتب على الأعمال العباسية في بلاد الشام التي رافقت الدخول العباسي نتائج عدة على كافة الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية والإدارية والسياسية، وهذه النتائج رسمت صورة واضحة عن واقع وأوضاع بلاد الشام في العصر العباسي.

فعلى الصعيد الاجتماعي فإن المكانة الاجتماعية التي حظي بها أهل الشام في الدولة الأموية لم تعد كما هي في العصر العباسي، وذلك لأن العباسيين اعتمدوا على الخراسانيين في تثبيت أمورهم لعلمهم بولاء الشاميين لبني أمية، ولم يتعايش أهل الشام مع هؤلاء الجنود. ولأن أهل الشام حزنوا على ضياع مكانتهم فقد بقي حنينهم للأمويين وتعلقت فئات المجتمع الشامي بالسفلياني الذي سيرجع دولة بني أمية، وفي سبيل ذلك فإن القبائل والتي استمرت نزاعات العصبية بينها في هذا العصر نراها تتحد في بعض الثورات على أمل تحقيق ذلك الهدف.

وعلى الصعيد الاقتصادي فإن خسارة الشاميين الكثير من أموالهم بسبب نهبها من قبل العباسيين أضعف من وضعهم الاقتصادي الذي تأثر بفقدانهم الإمتيازات التي تمتعوا بها في ظل الدولة الأموية فانتقلت أملاكهم للعباسيين، والواقع

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، تراجم النساء، ص ٣٨٨ - ٣٩٢، الحميري: الروض المعطار، ص ١١٨، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هـ / ١٤٠٦م): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر وأيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨١، ص ٢٣٢، وسيشار إليه هكذا: ابن خلدون: العبر.

(٢) الزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م): الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي العاني، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢، ص ٤٧٢، وسيشار إليه لاحقاً هكذا: الزبير بن بكار: الأخبار الموفقيات، ابن عبدربه: العقد الفريد، ج٢، ص ٢٢، الأصفهاني: الأغاني، م ٧، ص ٨٢، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٢، ص ٤٣٦، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر عمر (ت ٨٣٧هـ / ١٤٣٤م): ثمرات الأوراق في المحاضرات، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٥٢، ج٢، ص ٢١٢ - ٢١٣، ضمن كتاب المستطرف، وسيشار إليه هكذا: ابن حجة الحموي: ثمرات الأوراق، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٢، ص ١٧-١٨، الأتليدي، محمد المعروف بدياب: إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، مكتبة محمد علي صبيح، مصر، ت، ص ٣٩، وسيشار إليه هكذا: الأتليدي: إعلام الناس.

(٣) البغدادي: تاريخ بغداد، م ١١، ص ٤٢٩.

السياسي المضطرب الذي تمثل بثورات الشام ضد العباسيين أثر على الأوضاع الاقتصادية في بلاد الشام.

وفي مجال الإدارة فإن الإضطراب والثورات في بلاد الشام والتي رافقت الدخول العباسي، دفعت العباسيين إلى وضع ضوابط إدارية شديدة على هذه المنطقة نفذها قادة أكفاء من أبناء البيت العباسي وكبار قادتهم، ففرضوا سيطرة العباسيين على هذه المنطقة. وقد أدت هذه الضوابط إلى قلة المشاركة الشامية في إدارة الدولة في هذه الفترة المبكرة، لكن الفترات الأخرى أدت إلى تغيير في الوضع الإداري في بلاد الشام، حيث شارك الشاميون في إدارة بلادهم، كما شاركوا في إدارة مؤسسات الدولة العباسية.

وعلى الصعيد السياسي فإن الأحداث السياسية التي رافقت دخول العباسيين إلى بلاد الشام ساهمت في زيادة الحقد الشامي على العباسيين فانطلقوا منذ البداية بثورات متعددة استمرت طوال العصر العباسي الأول في كافة أنحاء الشام. وسعى الشاميون لاستغلال أي فرصة للقضاء على العباسيين فشاركوا في بث الفرقة بين أفراد البيت العباسي. على أمل استغلال ذلك في أضعاف الدولة وبالتالي أسقاطها لإعادة الحكم الأموي، وبذلك كانت المعارضة الشامية التي تمثلت بالثورات هي التي صبغت الوضع السياسي في بلاد الشام طوال هذا العصر.

الفصل الثالث

**الوضع السياسي في بلاد الشام
في العصر العباسي الأول**

الفصل الثالث

الوضع السياسي في بلاد الشام

في العصر العباسي الأول

- تقديم

أ- حركات المعارضة الشامية ضد العباسيين

(١) الحركات الأموية

أ- حركات السفيناني

١- فكرة السفيناني

٢- حركة أبي محمد السفيناني

٣- حركة العباس بن محمد

٤- حركة أبي العميطة

٥- حركة المبرقع اليماني

ب- حركات الأمويين ومؤيديهم

١- حركة أبان بن معاوية

٢- حركتا عثمان بن سراقمة الأزدي

٣- حركة سعيد بن خالد العثماني

(٢) حركات المعارضة القبلية

أ- حركة حبيب بن مرة المري

ب- حركة إسحاق بن مسلم العقيلي

ج- حركة منصور العامري

د- حركة نصر بن شبيب العقيلي

هـ- حركة ابن بيهس

(٣) حركات المدن الشامية

- أ- حركة فلسطين في عهد المهدي
- ب- حركة حمص في عهد الرشيد
- ج- حركة حمص في عهد الأمين
- د- حركة دمشق في عهد الأمين
- هـ- حركة دمشق في عهد المأمون
- و- حركة دمشق في عهد الواثق

(٤) حركات الخوارج

- أ- حركة بريكة الشيباني
- ب- حركة عبد السلام اليشكري
- ج- حركة الوليد بن طريف

(٥) حركات النصاري

- أ- حركة الياس بالبقاع
- ب- حركة بNDAR بالمنيطرة
- ج- حركة النصاري في عهد المهدي
- د- حركة النصاري في عهد الرشيد
- هـ- حركة نصاري حلب وقنسرين

(٦) حركات أخرى

- أ- حركة بسام بن إبراهيم
- ب- حركة أحد أهل فلسطين
- ج- حركة عبد الرحمن بن أبي سمرة
- د- حركة أبي النداء
- ب- موقف العباسيين من العصبية في الشام
- ج- موقف الشام من الصراعات العباسية
- ١- حركة عبدالله بن علي
- ٢- حركة محمد بن عبدالله بن حسن
- ٣- الصراع بين الأمين والمأمون
- ٤- الصراع بين المعتصم وابن المأمون

- تقديم

استطاع العباسيون - الذين استغلوا تدهور أحوال الدولة الأموية - أن يدخلوا بلاد الشام ويسقطوا الخلافة الأموية، إيداناً ببداية عهد جديد في تاريخ الدولة الإسلامية.

ولإدراك العباسيين ولاء أهل الشام لبني أمية، فإنهم ومنذ دخولهم بلادهم اتبعوا سياسة قامت على الشدة والقوة، حتى يثبتوا أمورهم في هذه البلاد لاعتقادهم بعدم ضمان استقرار هذه البلاد دون تلك السياسة، خاصة في ظل المقاومة التي جابهها العباسيون في بعض المناطق.

لكن سياسة العباسيين هذه زادت من معارضة أهل الشام لهم، والمعارضة الشامية للعباسيين في العصر العباسي الأول ظهرت في صورتين:

الأولى في الثورات المتعددة التي قام بها أهل الشام ضد العباسيين طيلة هذا العصر، وفي مختلف أنحاء البلاد.

والثانية في اشتراك أهل الشام في الثورات التي قام بها أفراد من غير أهل الشام، واشتراكهم في الصراعات التي كانت تحدث بين العباسيين أنفسهم، وبالطبع فإن اشتراك أهل الشام فيها كان بدافع مصلحتهم وتحقيق أهدافهم الخاصة.

وأهل الشام الذين اشتركوا في هذه الثورات والصراعات، كانت لهم مكانة كبيرة في الدولة الأموية حققوها من خلال المركز الذي تحقق للشام بصفتها موطن ومنزل الأمويين ومركز دولتهم. وهذه المكانة هي التي أوجدت الولاء والارتباط الشامي لبني أمية، وبمجيء العباسيين - الذين جعلوا مركز دولتهم هي العراق - فقد أهل الشام بعضاً من تلك المكانة لابتعاد العباسيين عنهم، ولأن عنصراً جديداً هم الفرس سيطروا على كثير من أمور الدولة لاعتماد خلفاء بني العباس عليهم.

وسعيّاً من أهل الشام لإرجاع مكانتهم تلك قاموا بالثورات على العباسيين، وعلقوا آمالهم في بعض هذه الثورات على رجل من البيت الأموي سيعيد دولة بني أمية ويخلص أهل الشام من ظلم العباسيين، وأطلق أهل الشام على هذا الرجل إسم "السفياني".

وطوال العصر العباسي الأول فإن المعارضة الشامية للعباسيين - وإن تفاوتت قوتها بين فترة وأخرى - فإنها كانت سمة الوضع السياسي في بلاد الشام في هذا العصر، مع ملاحظة أن هذه المعارضة برزت في فترتين زمنيتين : الأولى بعد الدخول العباسي إلى بلاد الشام، وبشكل أعم في خلافة أبي العباس السفاح. والثانية أثناء الصراع بين الأمين والمأمون والذي انتهى لمصلحة المأمون الذي بذل جهداً كبيراً في سبيل تثبيت أموره وخاصة في بلاد الشام.

أ- حركات المعارضة الشامية ضد العباسيين

(١) الحركات الأموية

(أ) حركات السفيناني

١- فكرة السفيناني

أرجع الزبيري ظهور هذه الفكرة إلى ابتداء من قبل أحد الأمويين وهو خالد ابن يزيد بن معاوية (ت ٨٥هـ/ ٧٠٤م) الذي أبعد عن الخلافة^(١)، وأن الأحاديث التي وضعت بالسفيناني روجت لانتشار هذه الفكرة في بلاد الشام^(٢).

وخلال العصر الأموي فإن هذه الفكرة كانت نقطة صراع بين الفرع السفيناني والفرع المرواني^(٣) حيث اعتبر السفينانيون المروانيين أقل شرعية منهم^(٤)، لذلك كان انتشارها وارتباطها بأبي سفيان.

وبالرغم من ذلك فإن ظهور هذه الفكرة وانتشارها وتأثيرها على الوضع السياسي بدأ أثناء الدخول العباسي لبلاد الشام، رداً على الظلم العباسي لأهل الشام^(٥) ورداً على تشويه صورة الأمويين من قبل بني العباس^(٦).

ولأن أهل الشام كانوا يحبون بني أمية، وكانوا يتمنون رجوع دولتهم فإنهم من أول الدولة ساندوا أبا محمد السفيناني الذي ثار مع أبي الورد، والذي كان رفعه

(١) الزبيري: نسب قريش، ص ١٢٩.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، م ١٧، ص ٢٤١، البغدادي: تاريخ بغداد، م ١، ص ٣٨-٤٠، كرد علي، محمد: الإسلام والحضارة، لجنة التأليف والترجمة، ط ٢، ١٩٦٨، ج ٢، ص ٤٢٤.

(٣) بيضون: الدولة الأموية والمعارضة، ص ٤٣.

(٤) كاهن: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ص ٥٨.

(٥) مصطفى: دولة بني العباس، ص ٢٠٦، جوزي: "السفيناني"، مجلة المقتطف، م ٨٣، ج ١، ١٩٣٣ ص ٤٩.

(٦) جوزي: "حنين العرب لبني أمية"، المقتطف، م ٧٨، ج ١، ١٩٣١، ص ٦٧٣.

لشعار السفيفاني كافياً لإلتفاف أهل الشام حوله، لأنه المخلص بالنسبة لهم^(١) ولأنه المعيد لدولة بني أمية التي أضاعها الفرع المرواني المتمثل بالخليفة مروان بن محمد^(٢).

وعلى الرغم من فشل حركة أبي محمد، إلا أنه جسّد الفكرة في نفوس الشاميين لزمن طويل^(٣)، فبعد أبي محمد السفيفاني ظهرت الفكرة في حركة أبي العميطر الذي ادعى أنه السفيفاني، وبرز في ثورته دور الدعاة والعلماء، الذين وجهوا شعاراته بين الثائرين^(٤).

ولم تمنع الهزيمة التي مني بها أبو العميطر من إبعاد الفكرة في نفوس أهل الشام الذين عادوا وساندوا أبا حرب المبرقع في أواخر العصر العباسي الأول والذي ادعى أنه السفيفاني، بل إن هذه الحركة اتخذت طابعاً دينياً^(٥)، فكان المبرقع يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر^(٦)، والملفت في هذه الحركة أن عدداً كبيراً من مؤيدي السفيفاني كانوا من الفلاحين^(٧) الذين أرادوا التخلص من أوضاعهم الاقتصادية الصعبة، مما يؤكد أثر الناحية الاقتصادية في انتشار الفكرة بين الناس، لحاجة هؤلاء للذي يخلصهم من أوضاعهم^(٨).

(١) بيطار: الحياة السياسية، ص ٧٩، الخوري، منير: تاريخ حمص، نشر مطرانية حمص الارثوذكسية، حمص، ١٩٨٤، ج ٢، ص ١٢٥، غنيم: دور العباسيين في طلب الخلافة، ص ٢٨

(٢) عمر: بحوث في التاريخ العباسي، ص ٢٥٧

(٣) بيضون: "الشام والدعوة العباسية"، مؤتمر بلاد الشام الخامس، ص ٢٨

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، م ٣٩، ص ٣٩٤، بدر، أحمد: "فقهائ الشام في العصر الأول وعلاقتهم بالخلفاء العباسيين"، مؤتمر بلاد الشام الخامس، ص ١٤

(٥) بدر: فقهائ الشام، ص ١٤، حمارنة، صالح: "ثورة الفلاحين"، مجلة أوراق، عدد ٤، ١٩٨١، ص ١٤

(٦) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٩، ص ١١٦، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٩، ص ٢٠

(٧) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٩، ص ١١٦، مجهول: العيون والحدائق، ج ٢، ص ٤٠٨

(٨) جوزي: "السفيفاني"، مجلة المقتطف، م ٨٣، ج ١، ص ٥١

٢- حركة أبي محمد السفيناني وأبي الورد (١٣٢-١٣٣هـ / ٧٥٠-٧٥١م)

استجاب أبو الورد لاستغاثة أولاد مسلمة بن عبد الملك الذين تعرضوا للإعتداء من قبل أحد قادة عبدالله بن علي^(١)، -وقد كان الأمويون يعاملون معاملة سيئة من قبل العباسيين وخاصة الأمراء وأولادهم^(٢)- فهجم على القائد وقتله ومن معه، وخرج ثائراً على بني العباس، فرفع البياض شعاراً له^(٣)، تعبيراً عن معارضة العباسيين.

وساند أبا الورد في خروجه أهل قنسرين جميعهم^(٤)، والقبائل القيسية. لأن أبا الورد قيسي^(٥)، والقيسية كانوا في هذه الفترة يؤيدون كل من يخرج على العباسيين، وبعث أبو الورد يطلب المدد مدن الشام، فأيده أهل حمص، وتدمر، وحلب الذين بايعوا أبا محمد السفيناني، وقالوا أنه السفيناني المنتظر^(٦) الذي سيعيد دولة الأمويين كما جاء على لسانه نفسه^(٧)، وأبو الورد دعا له وكان بمثابة المدبر لأمره^(٨).

-
- (١) البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٣، ص ١٦٩، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٤٣، ابن العديم: زبدة الحلب، ج ١، ص ٥٤، أبو الفداء: اليواقيت والضرب، ص ٤٤-٤٥
- (٢) علي: تاريخ بلاد الشام، ص ١٣٩، سرور: الحياة السياسية في الدولة الإسلامية، ص ١٧٩
- (٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٤٣، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٦، ص ٢٦٢، الذهبي: تاريخ الإسلام، حوادث (١٢١-١٤٠هـ)، ص ٢٤٠
- (٤) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٤٣، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٦، ص ١٦٢، ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٢٢٤، الذهبي: تاريخ الإسلام، حوادث (١٢١-١٤٠هـ)، ص ٢٤٠
- (٥) البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٣، ص ١٦٩-١٧٠، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٦، ص ٢٦٢
- (٦) البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٣، ص ١٧٠، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٤٤، المقدسي: البدء والتاريخ، ج ٦، ص ٧٣، مجهول: أخبار الدول، مخطوط، و ١٠٤ ب
- (٧) البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٣، ص ١٧٠
- (٨) الأزدي: تاريخ الموصل، ص ١٤٠، ابن العديم: زبدة الحلب، ج ١، ص ٥٥، الذهبي: تاريخ الإسلام، حوادث (١٢١-١٤٠هـ)، ص ٢٤٠

وفي الجانب الآخر فإن ردة الفعل العباسية كانت سريعة، فسوى عبدالله بن علي أموره مع حبيب في البلقاء بإعطائه الأمان وتفرغ لمحاربة أبي الورد والسفياني، فخرج من دمشق بعد أن ترك بها أحد قادته وسار لحربهما^(١)، واستطاع ابن علي أن يحسم معركته مع القوات المؤيدة لأبي الورد والسفياني لمصلحته بعد أن نال التأييد من أخيه عبد الصمد وحميد بن قحطبة الذي قدم من الأردن وسانده في قتالهم^(٢) حيث انسحب السفياني من المعركة هارباً^(٣)، بينما ثبت أبو الورد وقتل متأثراً بجراحه^(٤)، وبعد هذا الانتصار دخل عبدالله بن علي قنسرين وأمن أهلها فدخلوا في طاعة العباسيين^(٥).

٣- حركة العباس بن محمد السفياني (١٣٣هـ / ٧٥١م)

خرج العباس بن محمد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان عن طاعة العباسيين في حلب وأعلن أنه السيفاني حيث لبس الحمرة، وقد تصدى لحركته المنصور الذي كان يتولى الجزيرة لأبي العباس فبعث له مقاتلاً العكي من الرقة فقتله^(٦) وغنم غنائم كثيرة من حلب أخذها للمنصور^(٧)، وقد كانت هذه الثورة استجابة لنداء التأييد الذي بعث أبو الورد يطلبه من مدن الشام.

- (١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، م ٤٠، تحقيق سكيئة الشهابي، ص ١٩
- (٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٣، ص ١٧٠، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٤٤، الأزدي: الموصل، ص ١٤٢، ابن العديم: زبدة الحلب، ج ١، ص ٥٥، أبو الغداء: اليواقيت، ص ٤٥
- (٣) ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص ٥١، البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٣، ص ١٧٠، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٤٤، ابن عساکر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٦، ص ٤٧٧، م ١٦، ص ٢٦٢، ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٢٣٥
- (٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٣، ص ١٧٠، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٤٤-٤٤٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٨، ص ٥٢، ابن خلدون: العبر، م ٢، ق ١، ص ٢٧٢
- (٥) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٤٤، ابن عساکر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٦، ص ٢٦٢، ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٤٤٥، أبو الغداء: المختصر، ج ١، ص ٥١٣، أبو الغداء: اليواقيت والضرب، ص ٤٥، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ٢٨٩
- (٦) ابن العديم: زبدة الحلب، ج ١، ص ٥٦، أبو الغداء: اليواقيت والضرب، ص ٤٦
- (٧) أبو الغداء: اليواقيت والضرب، ص ٤٦

وهذا الأمر هو ما دفع بعض المؤرخين إلى الخلط بينه وبين أبي محمد السفيفاني الذي ثار في هذه الفترة في قنسرين وحمص، حيث ادعوا أن أبا محمد قد لبس الحمرة^(١).

٤- حركة أبي العميطر السفيفاني^(٢) (١٩٥-١٩٨هـ / ٨١٠-٨١٣م)

استغل أبو العميطر الفتنة التي حدثت نتيجة الصراع بين الأمين والمأمون^(٣) وادعى الخلافة لنفسه وطلب مبايعة الناس له بذلك^(٤).

فاستجاب له أهل بيته وعشيرته ومقربيه، ثم أخذ البيعة من أهل دمشق عن طريق أعوانه الذين كانوا يدورون في الشوارع والأسواق يدعون الناس إليه^(٥).

وبسبب ذلك أيده قوم كثيرون، فسيطر على صيدا^(٦)، ولقي استجابة في المصيصة^(٧) وملك دمشق بعد أن طرد عاملها^(٨).

-
- (١) الأزدى: تاريخ الموصل، ص ١٤٢، ابن حمدون: التذكرة، مخطوط، و ٨٨ ب، ابن أبي الدم: الشماريخ، مخطوط، و ٢٦١
- (٢) أبو العميطر: علي بن عبدالله بن خالد بن يزيد بن معاوية (ت ١٩٨هـ / ٨١٣م) انظر: الزبيري: نسب قريش، ص ١٣١، ابن حزم: جمهرة انساب، ص ١١٢، ابن الأثير: الكامل، ج ١، ص ١٤٧، الذهبي: سير، ج ٩، ص ٢٨٤ - ٢٨٦، ابن خلدون: العبر، م ٢، ص ٢٩٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ١٥٩
- (٣) سليمان: الدولة الإسلامية، ص ١٠٤، شلبي: التاريخ الإسلامي، ص ٩٦
- (٤) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٤١٥، المقدسي: البدء والتاريخ، ج ٦، ص ١١٠
- (٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٧، ص ٢٤٩، م ١٢، ص ٤٤٨، م ١٥، ص ٨٦٢، ٩١٥، م ١٨، ص ٢٧١
- (٦) ابن الأثير: الكامل، ج ١، ص ١٤٧، ابن خلدون: العبر، م ٢، ص ٥٠٠، حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ١٦٥
- وصيدا: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق، شرق صور، ياقوت: المشترك، ص ٢٨٧، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٣٧، البغدادي: مراصد، ج ٢، ص ٨٥٩
- (٧) المصيصة: قرية من قرى دمشق، قرب بيت لهيا وليست الثغر، ياقوت: المشترك، ص ٣٩٨، ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ١٤٤ - ١٤٥، الحميري: الروض المعطار، ص ٥٥٤
- (٨) الزبيري: نسب قريش، ص ١٣٣، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٤١٥، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط م ١٢، ص ٤٤٧، مجهول: تاريخ الدولة العباسية، مخطوط، و ٤١ ب، الذهبي: دول الإسلام، ج ١، ص ٨٩، الذهبي: العبر، ج ١، ص ٢٤٧، العامري: غربال الزمان، ص ١٨٢

وفي دمشق ارتفع شأن أبي العميطر فقال أنه السفيفاني المنتظر الذي سيعيد ملك الأمويين ويقضي على بني العباس^(١)، وكان هذا الشعار كافياً ليلقى أبا العميطر تأييد قبيلة كلب المواليه للأمويين^(٢)، وكذلك تأييد أهل حمص وقنسرين^(٣) والغوطة وحلب^(٤)، وإضافة لذلك فقد حظي أبو العميطر بمساندة علماء الشام، فوقف إلى جانبه الفقيه الشامي أبو مسهر الدمشقي الذي ولاه قضاء دمشق^(٥)، كما ساندته اليمانية في الشام، بينما لم يحظ بمساندة القيسية الذين خالفوه واستنجدوا بقائد كلابي عارض أبا العميطر ومنعه من انجاح حركته فهزمه عدة مرات وهو ابن بيهس^(٦)، ونتيجة لمرض ابن بيهس فقد أوصى أتباعه ببيعة أحد أفراد الأمويين وهو مسلمة بن يعقوب^(٧) الذي دخل دمشق وقبض على أبي العميطر، وساندته في ذلك القبائل القيسية التي عارضت أبا العميطر^(٨)، ولما شفي ابن بيهس من مرضه عاد واستولى على دمشق ودعا للخليفة المأمون فيها^(٩)، وظل والياً عليها حتى قضي على الثائرين بالشام في سنة ٢١٠هـ / ٨٢٤م، بواسطة عبدالله بن طاهر^(١٠).

- (١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٢، ص ٤٤٥، ٤٤٨، الذهبي: سير، ج ٩، ص ٢٨٦
- (٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ١٤٧
- (٣) الذهبي: العبر، ج ١، ص ٢٥٦، الذهبي: سير، ج ٩، ص ٢٢٧، ابن العماد: شذرات الذهب، م ٢، ص ٤٦٩
- (٤) الذهبي: سير، ج ٩، ص ٢٨٦
- (٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، م ٣٩، ص ٣٩٤، الذهبي: سير، ج ١، ص ٢٣٢ وأبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر الدمشقي (ت ٢١٨هـ / ٨٢٣م) انظر: الذهبي: سير، ج ١، ص ٢٢٨ - ٢٢٨
- (٦) الذهبي: سير، ج ٩، ص ٢٢٧
- (٧) ومحمد بن صالح بن بيهس الكلابي (ت ٢١٠هـ / ٨٢٥م) انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٥، ص ٤٦٨، م ١٦، ص ٤٦١، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ١٤٧، الذهبي: العبر، ج ١، ص ٢٨٢، ابن العماد: شذرات الذهب، م ٢، ص ٤٩
- (٧) مسلمة بن يعقوب بن علي بن محمد بن سعيد بن مسلمة (ت ١٩٧هـ / ٨١٢م) انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٦، ص ٤٦١، م ١٥، ص ٤٧١، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ١٤٧، الذهبي: سير، ج ٩، ص ٢٧٨
- (٨) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٥، ص ٤٦٨ - ٤٦٩
- (٩) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٦، ص ٤٦١، ابن العماد: شذرات، م ٢، ص ٤٦٩
- (١٠) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٢، ص ٤٤٦، م ١٥، ص ٨٢٥ وعبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب (ت ٢٢٠هـ / ٨٤٤م) انظر: الطبري: تاريخ الرسل، ج ٩، ص ١٢١، الذهبي: سير، ج ١، ص ٦٨٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١، ص ٢١٥ - ٢١٦، ابن خلكان: وفيات الأعيان، م ٢، ص ٨٢ - ٨٨

أما أبو العميّطر فقد اختفى مع مسلمة عندما دخل ابن بيهس دمشق وهربا إلى المزة حيث توفي هناك^(١)، وبوفاة أبي العميّطر فقد انتهت حركته التي دعت إلى إعادة حكم الأمويين واسقاط الدولة العباسية، وكان السفيناني هو الرمز الذي التف حوله أهل الشام من أجل تحقيق ذلك الهدف.

وتعد حركة أبي العميّطر من أخطر الحركات التي قامت في الشام ضد العباسيين، لأن أبا العميّطر الذي استولى على دمشق شكل ما يشبه الحكومة حيث أخرج من في السجون^(٢)، وكان له أعوان كثيرون يدورون في شوارع ومدن الشام^(٣). كما أنه عين قضاة للمدن^(٤)، وكان له وزراء^(٥). وقد اصطدمت طموحات أبي العميّطر وأعدائه بعامل العصبية الذي كان سبباً في إفشال كثير من ثورات الشام ضد الأمويين، فوقفت اليمانية في صف أبي العميّطر بينما وقفت القيسية ضده.

ولو استطاع أبو العميّطر وابن بيهس أن يوفقا بين بعضهما وبين مؤيديهما ولو اجتمعا لمواجهة العباسيين^(٦)، لكان لهذه الحركة نتائج أخرى في الشام، خاصة وأن ظروف الدولة المنشغلة بالصراع بين المأمون والأمين وانشغالهم بالصراع، بالإضافة إلى كثرة الحركات التي قامت على الدولة كانت كافية لتحقيق نتيجة في صالح الشاميين.

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٢، ص ١٥٩

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٦، ص ٤٦١ - ٤٦٢

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٧، ص ٢٤٩، م ١٢، ص ٤٤٨، م ١٨، ص ٢٧

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ص ٣٩٤، الذهبي: سير، ج ١٠، ص ٢٣٢

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٥، ص ٤٦٩

(٦) ماجد: العصر العباسي الدول، ص ٣٣٠، حسن: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٦٤،

شلبى: التاريخ الإسلامي، ص ٩٦، عمر: بحوث في التاريخ العباسي، ص ٢٥٧

٥- حركة المبرقع اليماني^(١) (٢٢٦ - ٢٢٧ هـ / ٨٤٠ - ٨٤١ م)

أكثر المعتصم من اتخاذ الأتراك في جيشه فتحكموا بأمور الدولة وكثرت تصرفاتهم ضد الناس، وكانت هذه التصرفات هي سبب حركة المبرقع، حيث ضرب أحد الجنود الأتراك زوجة المبرقع التي اشتكت لزوجها فقتل الجندي وهرب إلى أحد الجبال ولبس برقعاً حتى لا يعرف^(٢)، ولإعطاء حركته صفة مميزة.

وبعد ذلك أخذ المبرقع يدعو الناس إلى إقامة الحق والعدل، فاتبعه أهل البر^(٣)، وعدد كبير من فلاحي القرى في فلسطين، كما استجاب لدعوته أهل دمشق وبعض زعمائها كآبن بيهس الكلابي، وكان هذا بعد أن ادعى المبرقع أمويته وأنه السفيفاني^(٤)، فكانت دعوته هذه كافية لزيادة أعوانه من مناطق الشام لأن السفيفاني كان بمثابة المنقذ والمخلص لهم من ظلم العباسيين.

وكرر على خروج المبرقع بعث المعتصم أحد قادته وهو رجاء الحضاري لقتال المبرقع. فتريث رجاء في قتاله بسبب الأعداد الكبيرة التي كانت مع المبرقع، وانتظر حتى أتى موسم فلاحه الأرض فاستغل إنصراف الفلاحين إلى فلاحه وحرثة أرضهم وهاجم المبرقع - وفي هذا الوقت كان الخليفة هو الواثق الذي خلف المعتصم الذي مات قبل مهاجمة المبرقع - الذي قلّ أعوانه فلم يستطع مقاومة جيوش الواثق فهزم في المعركة^(٥)، وحمل أسيراً إلى سامراء حيث صلب هناك^(٦).

(١) المبرقع " أبو حرب تميم اليماني، قتل سنة ٢٢٧ هـ / ٨٤١ م. انظر: الطبري: تاريخ الرسل، ج١٦، مسكويه، أبو علي أحمد بن يعقوب (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣١ م): تجارب الأمم وتعاقب الهمم وذيله، عناية م. ج. دي جويه، مطابع بريل، ليدن، ١٨٧١، ج٢، ص ٥٢٦ - ٥٢٧، وسيشار إليه هكذا: مسكويه: تجارب الأمم، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، ١٩ م، ص ٣٠-٣١، المقدسي: البدء والتاريخ، ج٢، ص ١١٩، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٢٦٤، الذهبي: سير، ج١، ص ٢٠٢.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل، ج٩، ص ١١٦، مجهول: العيون والحداثق، ج٢، ص ٤٠٨.

(٣) الذهبي: سير، ج١، ص ٢٠٢.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل، ج٩، ص ١١٦، مجهول: العيون والحداثق، ج٢، ص ٤٠٨، مسكويه: تجارب الأمم، ج٢، ص ٥٢٦، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، ١٩ م، ص ٢٠، ابن خلدون: العبر، م ٢٣٢، ص ٥٧٢، ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص ٢٤٩.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص ١١٧، مجهول: العيون والحداثق، ج٢، ص ٤٠٨، مسكويه: تجارب الأمم، ج٢، ص ٥٢٦، الذهبي: سير، ج١، ص ٢٠٢.

(٦) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٤٨٠، الطبري: تاريخ الرسل، ج٩، ص ١١٨، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٢٦٥.

ومن وقائع الثورة نجد أنها ثورة قامت بسبب شخصي^(١)، ولكنها اتخذت طابع رفض أهل الشام وعدم رضاهم عن النفوذ المتزايد للأتراك في الدولة^(٢).

وإضافة لذلك فإن هذه الحركة كانت آخر الحركات التي انتسبت جهراً إلى بني أمية في العصر العباسي الأول^(٣)، وذلك لاتخاذها فكرة السيفاني مما دفع عدد كبير من أهل الشام لتأييدها^(٤)، خاصة وأن هذه الفكرة كانت ما تزال في نفوس الشاميين.

ومما ميّز هذه الحركة أيضاً العدد الكبير من الفلاحين الذين اشتركوا فيها وساندوها، احتجاجاً على أوضاعهم الاقتصادية التي انهكتها الضرائب المفروضة، فاشتركوا أملاً في تحسين أوضاعهم.

ب- حركات الأمويين ومؤيديهم

١- حركة أبان بن معاوية بن هشام (١٣٣هـ / ٧٥١م)

اجتمع أبان مع عدد من الجنود وأعلن خروجه على العباسيين في سميلساط^(٥)، وكان سبب خروجه هو معارضته للعباسيين، ثم غضبه من حوادث القتل التي تعرض لها الأمويون على يد العباسيين.

ولم تنجح ثورة أبان لقلّة من كان معه، حيث أرسل عبدالله بن علي قائده حميد

(١) الدوري: العصر العباسي الأول، ص ١٩٢

(٢) حسن: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٧٨، الخصري: الدولة العباسية، ص ٢٤١، جوده، صادق: مدينة الرملة، دار مزار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦، ص ٥٥، التكريتي، بهجت: "ثورات بلاد الشام"، مجلة المورد، م ٤، عدد ١، ص ١٩، حمارنة، صالح: "مواقع ومدن جنوب الشام"، مؤتمر بلاد الشام الخامس، ص ١٢

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٩، ص ٢٠، كاهن: تاريخ العرب، ص ٥٨

(٤) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٩، ص ١١٦، جوده: مدينة الرملة، ص ٥٥

(٥) ابن حمدون: التذكرة، مخطوط، و ٨٨ ب، ابن العديم: زبدة الطلب، ج ١، ص ٥٦ وسميساط: مدينة على شاطئ الفرات في الغرب، لها قلعة كبيرة، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٥٨، الحميري: الروض، ص ٢٢٢، البغدادي: مرآة، ج ٢، ص ٧٤١

أبن قحطبة فهزيمة وفتح سميساط^(١)، لكن أبان نجح في الهرب مؤقتاً حيث تم القبض عليه عند ملاحقة العباسيين للأمويين، فقتل ومثل بجثته^(٢)

٢- حركتا عثمان الأزدي^(٣) (١٣٢هـ/٧٥٠م، ١٣٧٠هـ/٧٥٤م)

قام عثمان بحركتين تأييداً لبني أمية في الشام ضد العباسيين. الأولى في عصر أبي العباس والثانية في عصر المنصور.

أما الأولى فقد استغل فيها خروج عبدالله بن علي لمحاربة السفيناني وأبي الورد وخرج في دمشق مع أهلها على العباسيين حيث قتلوا قائده عليها عبد الحميد الطائي ونهبوا أموال عبدالله بن علي، وقد ظلت ثورتهم قائمة حتى انتهى ابن علي من ثورة أبي الورد والسفيناني فعاد إلى دمشق، فخاف كثير من أهلها الثائرين فهربوا، ثم طلب أهل دمشق الأمان من ابن علي وأمنهم^(٤)

وقد كانت هذه الحركة امتداداً للحركات المعارضة للعباسيين والتي شملت كثيراً من أنحاء الشام احتجاجاً على حوادث القتل العباسية للأمويين وأملاً في إضعاف العباسيين.

وكان عثمان قد هرب بعد رجوع عبدالله بن علي إلى دمشق، فبقي مختفياً حتى أعلن عبدالله بن علي ثورته على المنصور، فاستغل عثمان الأزدي النزاع الذي حدث نتيجة الثورة داخل البيت العباسي^(٥) فأعلن خروجه عن بيعة المنصور، وقام بسب

(١) ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص ٥٦

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوط، ج٢، و ٢٩١، مجهول: أخبار مجموعة في الأندلس، ص ٤٩، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٩٤

(٣) عثمان بن عبد الأعلى بن سراقه الأزدي، قتل سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م
انظر: الأزدي: تاريخ الموصل، ص ١٦٤، ابن حزم: جمهرة أنساب، ص ٢٨٦، الخولاني: تاريخ داريا، ص ٧٩ - ٨٠، الذهبي: العبر، ج١، ص ١٤٤، الذهبي: سير، ج١، ص ١٦١، ابن العماد: شذرات الذهب، م ٢، ص ١٨٥

(٤) الطبري: تاريخ الطبري، ج٧، ص ٤٤٤، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١١، ص ١٣٠-١٣١، الذهبي: تاريخ الإسلام، حوادث (١٢١-١٤٠هـ)، ص ٣٤٠

(٥) سليمان: الدولة الإسلامية، ص ٨٧

العباسيين على منبر جامع دمشق، وبايع لأحد أحفاد معاوية وهو هاشم بن يزيد^(١)، وقد استجاب أهل دمشق لدعوة ابن سراقه وبايعوا هشاماً، لكن الأمر لم يتم لهما إذ سرعان ما أرسل المنصور عمه صالح بن علي إلى الشام فقتل عثمان وقضى على حركته^(٢).

ورغم أن الحركة انتهت بوقت قصير، إلا أنها أعربت صراحة عن هدفها المتمثل بالسعي لإعادة الحكم الأموي وظهر ذلك من مبايعة عثمان وأهل دمشق لأحد الأمويين، ثم سب العباسيين على جامع دمشق، بالإضافة إلى إستغلال النزاع العباسي.

٣- حركة سعيد بن خالد العثماني (١٩٨- بعد ٢٠٠هـ / ٨١٣ - بعد ٨١٥م)

أدعى سعيد الخلافة ودعا الناس إلى بيعته بعد إنتهاء ثورة أبي العميطر^(٣)، وقد اصطبغت حركته بصفة قبلية حيث تعصب لليمانية وعادى القيسية^(٤)، فقتل عدداً منهم كما أغار على ضياعهم وتحصن في الفدين^(٥)، وفي الحصن حوصر سعيد من

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، حوادث (١٢١-١٤٠)، ص ٢٥٢، اليافعي، مفيف الدين عبدالله (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، تحقيق عبدالله الجبوري، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٨٤، ج١، ص ٢١٢، وسيشار إليه هكذا: اليافعي: مرآة الجنان

وهاشم بن يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية، قتل بعد ١٤٠هـ / ٧٥٧م
انظر: الذهبي: العبر، ج١، ص ٤٤٤، الذهبي: سير، ج٢، ص ١٦٠، العامري: غربال الزمان، ص ٣١، اليافعي: مرآة الجنان، ج١، ص ٢١٢، ابن تغري بردي: النجوم، ج١، ص ٢٣٢، ابن العماد: شذرات الذهب، م ٢، ص ١٨٥

(٢) الذهبي: سير، ج١، ص ١٦١، اليافعي: مرآة الجنان، ج١، ص ٢١٢

(٣) سعيد بن خالد بن محمد بن عمرو بن عثمان بن أبي العاص الأموي

انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٧، ص ٢٢٧، ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ٢٤٠

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٧، ص ٢٢٧، عمر: العباسيون الأوائل، ص ١٤٩، أبو ديه، سعد: العلاقات الإجتماعية في حالة قيس ويمن، مؤتمر بلاد الشام الخامس، ص ١٢

(٥) الفدين: حصن من ارض حوران، ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ٢٤٠، البغدادي: مراصد، ج٢، ص ١٠٢١، وتقع شمال غرب المفرق، عبد القادر: أسماء المواقع، ص ١٤٤

قبل ابن بيهس مما دفعه إلى هدم الحصن، فهرب سعيد إلى عمان وتحصن في حسابان ثم في ماسوح^(١)، وبعث يطلب المدد من بلاد الشام فأيده من كانوا مع أبي العميطر والموالين لبني أمية، فاجتمع معه عدد كبير من الناس، لكن هؤلاء الأعوان تفرقوا عنه نتيجة حصار ابن بيهس فأدى ذلك إلى هزيمته^(٢).

ومن خلال الحركة وعلى الرغم من الصفة القبلية التي اتسمت بها، إلا أنها كانت ذات هدف سياسي فكانت مكملة لثورة أبي العميطر التي رفعت شعار إعادة الحكم الأموي، كما أن إشتراك عدد من المؤيدين لبني أمية فيها كان بدافع تحقيق آمالهم المبنية على عودة السفيناني الذي سيخلصهم من ظلم العباسيين.

(١) حسابان: قرية بها حصن قريبة من عمان ، ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٢٤١، وتقع شمال شرق مادبا ، عبد القادر: أسماء المواقع، ص ٥٩

وماسوح: قرية في عمان ، ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٢٤٠، وتقع شمال شرق مادبا ، عبد القادر: أسماء المواقع، ص ١٦٥

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م٧، ص ٢٢٧ ، ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ٢٤٠

(٢) حركات المعارضة القبلية

١- حركة حبيب المري^(١) (١٣٢هـ / ٧٥٠م)

أعلن حبيب خروجه عن طاعة العباسيين في منطقة البلقاء والبثنية^(٢) وحواران خوفاً على نفسه وقومه^(٣)، لأن العباسيين كانوا يلاحقون القيسيين الذين قاوموهم عند قدومهم، وساند حبيباً في حركته أهل منطقته التي ثار فيها، والقبائل القيسية التي ينتمي إليها^(٤)، انتقاماً من العباسيين الذين قربوا القبائل اليمانية وأبعدوا القبائل القيسية^(٥)، فكانت هذه الحركة فرصة لهذه القبائل أن تستعيد مكانتها في الدولة.

ومن أجل كسب أكبر عدد من المؤيدين فقد رفع حبيب البياض شعاراً له^(٦)، تعبيراً عن مخالفة ومعارضة العباسيين أصحاب الرايات السود، وقد أراد حبيب من هذا كسب أهل الشام الذين عرفوا بولائهم لبني أمية- أصحاب الرايات البيضاء-.

وكانت ردة الفعل العباسية على هذه الحركة سريعة إذ اندفع عبدالله بن علي بجنوده وحاصر حبيباً وأعوانه، ولشدة الحصار فقد طلب أعوان حبيب الأمان من

(١) حبيب بن مرة المري، قتل سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م

انظر: اليعقوبي: تاريخ، م، ص ٣٥٧، ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٣٣٤، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص ٥٢، ابن خلدون: العبر، م٣ق١، ص ٣٧١

(٢) البثنية: من نواحي دمشق وهي حنطة منسوبة الى بلدة معروفة بالشام يقال لها البثنية، ويقال أن البثنية هي الأرض الرملية اللينة، ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص ٢٢٨، الحميري: الروض، ص ٧٩، وهي من كور دمشق، البكري: معجم ما استعجم، ج١، ص ٢٢٦، البغدادي: مراصد، ج١، ص ١٦٣

(٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص ٤٤٦، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م، ص ١٧٩

(٤) الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص ٤٤٦، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م، ص ١٧٩، ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٢٢٤، ابن خلدون: العبر، م٣ق١، ص ٣٧١

(٥) الأزدي: تاريخ الموصل، ص ١٤٤

(٦) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م، ص ٣٥٧، الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص ٤٤٦

عبدالله بن علي فأعطاهم الأمان حتى يتفرغ لمحاربة أبي الورد وأبي محمد السفلياني اللذين خرجا في الوقت نفسه في حمص وقنسرين^(١)، وأما حبيب فقد كان مصيره القتل على يد العباسيين أثناء الحصار^(٢).

وكان يمكن لهذه الحركة أن تحقق نتائج أفضل لو استمرت فترة أطول خاصة وأن القوات العباسية كانت موزعة بين المدن الشامية للقضاء على الحركات التي قامت ضدهم بعد دخولهم الشام.

ب- حركة إسحاق العقيلي^(٣) (١٣٢ - ١٣٣هـ / ٧٥٠ - ٧٥١م)

أظهر أهل الجزيرة الإستياء من الوضع الجديد الذي قام بمجيء العباسيين، وقد كان أهل الجزيرة يشكلون نواة الجيش الأموي في عهد مروان بن محمد^(٤)، وكانوا شديدي الولاء لبني أمية^(٥)، فلما بلغهم خروج أبي الورد وحبيب في الشام بيضوا وأعلنوا الخروج على الدولة العباسية^(٦).

وقد قاد جيوش الجزيرة إسحاق بن مسلم الذي لقي تأييد أعوانه القيسية^(٧)، وتأييد مدن الجزيرة: قرقيسيا والرقعة وسميساط ودارا وماردين^(٨)، حيث بيضت

(١) الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص٤٤٦، الذهبي: تاريخ الإسلام، حوادث (١٢١-١٤٠هـ)، ص٣٤٠

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٥٧

(٣) إسحاق بن مسلم بن ربيعة بن عاصم العقيلي (توفي في أواسط عهد المنصور)
انظر: الكلبي: جمهرة النسب، ص٣٤٢، ابن قتيبة: المعارف، ص٤١٨، ابن عبدربه: العقد
الفريد، ج٢، ص٧، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، ج٢، ص٧٨٣

(٤) العاني: سياسة المنصور أبي جعفر، ص٨٩، شعبان: الدولة العباسية، ص١٦، Kennedy: The
Early Abbasid Caliphate, p 49

(٥) ابن حوقل: صورة الارض، ص٢٠٣

(٦) الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص٤٤٦، ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٣٣٥

(٧) المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، ص١٣

(٨) دارا: بلدة بين نصيبين وماردين في الجزيرة ذات بساتين ومياه / ياقوت: معجم البلدان، ج٢،
ص٤١٨، الحميري: الروض المعطار، ص٢٣

وماردين: قلعة مشهورة على جبل مشرف على نصيبين أمامها، بطرفيه اسواق وخانات /
ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص٣٩، الحميري: الروض المعطار، ص٥١٨

هذه المدن^(١)، وأغلقت أبوابها في وجه أبي جعفر المنصور الذي كان يلاحق إسحاق وأخيه بكار^(٢)، ولقوة أعوان المنصور فقد عاد ونجح في فرض سيطرته على كثير من تلك المدن فأدى ذلك إلى تحصن إسحاق في سميساط^(٣)، وفي سميساط عين إسحاق رجالاً من العرب على مدن الجزيرة: قرقيسيا وكفرتوثا وأمد وتل موزن ورأس عين^(٤)، فرتب بذلك أموره الإدارية معلناً إستقلاله عن العباسيين.

لكن الأمور العسكرية لم تسر في صالح إسحاق لأن أبا جعفر المنصور انطلق لحربه مدعوماً بقوات عبدالله بن علي التي أمرها الخليفة أبو العباس بالتوجه إلى الجزيرة ومحاصرة إسحاق^(٥)، وظل إسحاق يقاوم الحصار ستة أشهر، ولم يستسلم إلا بعد أن عرف بمقتل مروان بن محمد، وقد كان يدعي أن في عنقه بيعة لا يغيرها إلا بموته^(٦)، ولما عرف طلب الأمان فأعطاه أبو جعفر ذلك^(٧)، ثم أخذ أبو جعفر البيعة من مدن الجزيرة جميعها^(٨)، معلناً سيطرة العباسيين على هذه المنطقة.

(١) الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص٤٤٧، ابن كثير: البداية، ج٨، ص٥٣

(٢) بكار بن مسلم بن ربيعة بن ماصم العقيلي

انظر: ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص٢٤٢، ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٣٣٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص٥٣، ابن خلدون: العبر، م٣، ق١، ص٢٧٢

(٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص٤٤٧

(٤) المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، ص١١٥

وأمد: بلد على جبل غربي الفرات مطل عليها، وعليها سور، ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٠١، الحميري: الروض المعطار، ص٢-٤

وتل موزن: بلد قديم من نواحي ربيعة على نهر الخابور، بين رأس عين وسروج، ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٤٥، ياقوت: المشترك وضعاً، ص٨٣

ورأس عين: مدينة كبيرة في الجزيرة بين نصيبين وحران، ذات عيون كثيرة، ياقوت: المشترك، ص١٩٧، ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص١٤، البغدادي: مراصد، ج٢، ص٥٩٣

(٥) الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص٤٤٧، ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٣٣٥

(٦) البلاذري: أنساب الأشراف، ق٣، ص١٥٧، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م٢، ص٣٥٤، الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص٤٤٧

(٧) البلاذري: أنساب الأشراف، ق٣، ص١٥٧، الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص٤٤٧

(٨) المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، ص١١٥

وقد كانت حركة إسحاق من أخطر الحركات التي واجهتها الدولة العباسية في بدايتها واتضح ذلك من تأييد معظم مدن الجزيرة للحركة، ثم من استمرار الحركة فترة تقارب السنة (١٣٢-١٣٣هـ/٧٥٠م)، بالإضافة إلى كونها حركة أعلنت بتبويض أهلها تأييدها لإعادة الحكم الأموي ومعارضة العباسيين.

جـ- حركة منصور العامري^(١) (١٣٧هـ/٧٥٤م)

عارض منصور العباسيين منذ قدومهم إلى الشام حيث امتنع عن بيعتهم^(٢) مثله مثل كثير من القيسية الذين ناصبوا العباسيين العداء، فدفع هذا الأمر المنصور - وكان وقتها والياً على الجزيرة - إلى محاصرة منصور في الرها، لكن منصور هرب واختفى^(٣).

وعاد منصور ليظهر مرة أخرى في ثورة عبدالله بن علي (١٣٧هـ/٧٥٤م) متولياً لشرطته ومعارضاً خلافة المنصور، وبعد هزيمة ابن علي اختفى منصور مرة أخرى وقيل أنه حصل على الأمان من المنصور^(٤).

ولا يوجد ما يشير إلى ذلك بدليل أن المنصور بعد رجوعه من بيت المقدس قبض عليه بالركة وقتله^(٥) متهماً إياه بغش الإسلام، حيث تواطىء مع الروم فأرسل لهم كتباً عن المسلمين وأحوالهم^(٦).

(١) منصور بن جعونة بن الحارث العامري، قتل سنة ١٤١هـ/٧٥٨م

انظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢م، ص ٢٧، الطبري: تاريخ الطبري، ج٧، ص ٥٠٤، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، ٤م، ص ٢، ابن حمدون: التذكرة، مخطوط، و ٩٠، ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص ٢٦٥، ياقوت: المشترك وضعاً، ص ١٣٧

(٢) ابن تغري بردي: النجوم، ج١، ص ٢٤٢

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٩٦، الحميري: الروض المعطار، ص ٢٠٢، ياقوت: المشترك، ص ١٣٧ و الرها: مدينة متصلة بحران من أرض الجزيرة بين الموصل والشام، ذات عيون وأنهار، وأرضها جبلية، الحميري: الروض المعطار، ص ٢٧٢، البغدادي: مراصد، ج٢، ٦٤٤

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٩٦، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، ٤م، ص ٣

(٥) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢م، ص ٢٧، الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص ٥٠٤، قدامة: الخراج، ص ٣٢١

(٦) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٩٦، قدامة: الخراج، ص ٣٢١

وقد ظهرت معارضة منصور للعباسيين من كلماته التي قالها للخليفة المنصور عندما زار الشام والتي قرن العباسيين فيها بالطاعون عندما طلب المنصور من أهل الشام أن يحمّدوا الله على رفع الطاعون عنهم^(١)، مما يدل على أن معارضة منصور للعباسيين نجمت عن التصرفات التي رافقت دخول العباسيين إلى بلاد الشام.

د- حركة نصر بن شبث^(٢) (١٩٨-٢٠٦هـ/٨١٣-٨٢١م)

لقيت السياسة التي اتبعها المأمون والتي قامت على تقريب الفرس وإبعاد العرب غضب العرب في كل مكان لضياح هيبته^(٣)، ولما قتل الأمين وكان محبوباً من العرب قام نصر بثورته على المأمون انتقاماً لمقتله^(٤)، لأنه كان يحبه وكان قد بايعه^(٥).

وقد ساند نصراً الذي ينتسب إلى قيس^(٦)، القبائل القيسية التي غضبت لإبعاد الإمتيازات عنها من قبل المأمون^(٧)، كما أيدته الأعراب والزواquil وأهل الطمع الذين

(١) ابن حمدون: التذكرة، مخطوط، و ١٩٠، الحميري: الروض المعطار، ص ٢٧٠

(٢) نصر بن سيار بن شبث العقيلي (ت ٢١٠هـ/٨٢٤م)

انظر: ابن طيفور، أحمد بن طاهر (ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م): كتاب بغداد، نشر عزت العطار، ١٩٤٩، ص ٧٩، وسيشار إليه هكذا: ابن طيفور: كتاب بغداد، ابن اعثم: الفتوح، ج ٨، ص ٣١٢-٣١٤، ابن الاثير: الكامل، ج ٥، ص ١٧١، ابن خلدون: العبر، م ٢، ص ٥١٣، عمر، فاروق: "ثورة نصر بن شبث العقيلي"، مجلة العرب، آذار، ١٩٧٢، ص ٦٠٨، عاقل: "فلسطين من الفتح العربي الى اواسط القرن ٤هـ/١٠م"، ص ٢٧٩

(٣) الدوري: العصر العباسي، ص ١٦٩، Kennedy: The Early Abbasid, p 168، حمادي، محمد: "ثورة نصر بن شبث"، المؤرخ العربي، عدد ١٨، ١٩٨١، ص ٢٧١، عاقل، نبیه: "بعض أحداث الدولة العباسية"، دراسات تاريخية، عدد ٤، ص ٧٩

(٤) حسن: تاريخ الدولة العباسية، ص ٢٠٥، الكروي: نظام الوزراء في العصر العباسي، ص ١٦١

(٥) ابن اعثم: الفتوح، ج ٨، ص ٣١٢

(٦) ابن اعثم: الفتوح، ج ٨، ص ٣١٢، ٣١٤

(٧) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٦٥٢، علي، حسن: دراسات في التاريخ العباسي، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٩، ص ١١٣، السامرائي: تاريخ الدولة الإسلامية، ص ٦٩، Kennedy, Hugh: The Prophet And The Age of The Caliphates, Longman, London and New York 1986, p 155

كانوا يرمون لتحقيق مصالحهم الخاصة^(١)، من أجل الحصول على وضع اقتصادي أفضل من الذي يعيشون، ومن أجل استغلال الحركة للنهب والسلب، ولأن أعوان نصر ازدادوا فقد عرض عليه البيعة لأحد أبناء علي فرفض، كما رفض البيعة لأحد أفراد بني أمية، وأعلن تأييده للعباسيين، وأنه ما جاربهم إلا لأنهم يقدمون العجم على العرب^(٢)، ومما يؤكد تأييد نصر بن شبيب للعباسيين الرواية التي انفرد المرزباني بذكرها بأن نصرأ أراد بيعة يعقوب بن صالح بن علي- من أفراد البيت العباسي- الذي اتفق مع نصر وبعض رؤساء الجزيرة والشام على مبايعته بالخلافة لكن يعقوب مات قبل أن ينال البيعة^(٣).

وما ذكره الإصفهاني عن اتصال ابن طباطبأ العلوي الذي ثار في تلك الفترة بنصر وعدم موافقة أهل الجزيرة التي ينتمي إليها نصر على ذلك الإتصال^(٤)، لا يعد دليلاً على تشجيع نصر، فقد يكون اتفاقه نابع من تحقيق مصلحتهما بإبقاء الأوضاع مضطربة.

-
- (١) ابن أعثم: الفتوح، ج٨، ص ٣١٣، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ١٧١
 - (٢) الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٣٣٤، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ١٧٦، ابن خلدون: العبر، م ٢ ق ٢، ص ٥١٣
 - (٣) المرزباني، محمد بن عمران (ت ٢٨٤هـ/٩٩٣م): معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار فراخ، دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٠، ص ٤٩٨، وسيشار إليه هكذا: المرزباني: معجم الشعراء.
 - (٤) الاصفهاني: مقاتل الطالبين، ص ٥١٩ - ٥٢٠، عمر: بحوث في التاريخ، ص ١١٤

وعلى أي حال فإن أمر نصر قوي وهزم الجيوش التي بعثها المأمون لقتاله وأشهرها جيوش طاهر بن الحسين^(١)، وهذا الأمر دفع المأمون إلى إرسال عبدالله بن طاهر لحربه وولاه الشام والجزيرة ومصر وديار ربيعة^(٢)، وقد تعرض نصر لحصار شديد من قوات عبدالله بن طاهر وهو متحصن في حصون الجزيرة : حنّاك وكيسوم وكفر عزون^(٣)، فخاف نصر على مدينته كيسوم من الخراب فطلب الأمان من ابن طاهر، فأعطي نصر الأمان رغم حصاره فترة زادت عن الخمس سنوات لكن المأمون اشترط فيه حضور نصر بنفسه إليه، وكان نصر قد رفض ذلك ثم قبل تحت إصرار المأمون على شرطه^(٤)، فأحضر نصر مع الذين ثاروا في الشام إلى بغداد^(٥)، وبانتهاء هذه الحركة فقد سيطر ابن طاهر على الشام التي فتنها نصر بحركته^(٦) وحفظ الأمن فيها، وتم الأمر للمأمون خاصة وأن ابن طاهر أخرب حصون الشام والجزيرة^(٧)، حتى يمنع أي ثائر من التحصن فيها بعد ذلك^(٨).

(١) ابن قتيبة: المعارف، ص ٢٩، ٢٨٧، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٤٥٥، ابن أعمش: الفتوح، ج ٨، ص ٣١٤، مجهول: العيون، ج ٢، ص ٢٤٤، ابن العديم: زبدة الحلب، ج ١، ص ٦٥، ابن الشحنة: الدر المنتخب، ص ٢٢٦

وطاهر بن الحسين بن مصعب بن ماهان (ت ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م)

انظر: الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٥٩٢، خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٧٢، ابن حمدون: التذكرة، مخطوط، و ١٠٠، مسكويه: تجارب الأمم، ج ١، ص ٤١٩، الذهبي: سير، ج ١، ص ١٠٩، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١، ص ١٧١-١٧٢، أبو الفداء: اليواقيت والضرب، ص ٥٤، العامري: غربال الزمان، ص ١٩٦

(٢) الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٣٥٩، ابن طيفور: كتاب بغداد، ص ٢٥، البغدادي: تاريخ بغداد، م ٩، ص ٤٨٢، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٤٠٦، مسكويه: تجارب الأمم، ج ١، ص ٤٥٢

(٣) حنّاك: حصن قوي بمعرة النعمان، خربّه ابن طاهر، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٠٩ وكيسوم: قرية من أعمال سميساط فيها حصن كبير على قلعة بها سوق، ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٩٧

وكفر عزون: موضع قرب سروج من بلاد الجزيرة، ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٧، البغدادي: مراصد، ج ٣، ص ١١٧

(٤) ابن طيفور: كتاب بغداد، ص ٧٧-٧٩، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٥٩٨ - ٦٠٠

، ابن أعمش: الفتوح، ج ٨، ص ٣١٥، مسكويه: تجارب الأمم، ج ١، ص ٤٥٤ - ٤٥٥

وبالنظر إلى هذه الحركة، فرغم أنها لم توجه ضد الحكم العباسي لأن قائدها أعلن هواه مع العباسيين، إلا أنها وجهت نحو جانب من سياسة المأمون - والتي أهمل فيها العرب وقرب فيها العجم-.

فكانت الحركة أول رد فعل قبلي لمساندة العرب^(١)، كما أنها أرادت جلب الاهتمام للقبائل الشامية وأهميتها في الدولة^(٢)، ودعوة الاهتمام بالعرب كانت نقطة هامة امتدت طوال عصر المأمون، وهذا ما نلمسه من السؤال الذي وجهه أحد العرب من أهل الشام إلى المأمون وطلب فيه الإهتمام بالعرب كما يهتم بالعجم^(٣).

هـ- حركة ابن بيهس (٢٢٦ - ٢٢٧ هـ / ٨٤٠ - ٨٤١ م)

تزعّم محمد بن بيهس الحركة التي قام بها القيسية في دمشق ضد والي العباسي أبي المغيث الرافقي فهجموا عليه ونهبوا أملاك الدولة العباسية في دمشق رداً على صلب أبي المغيث عدداً من رجالات القيسية^(٤)، وقد حظي القيسيون بمساندة القبائل اليمانية^(٥)، فحاصروا أبا المغيث حصاراً شديداً، وأثناء الحصار مات المعتصم وخلفه الواثق الذي أرسل رجاء الحضاري - أحد قواده - للقضاء على حركتهم، فرفضوا طاعة العباسيين إلا إن يعزل أبا المغيث عن دمشق^(٦)، وهذا الأمر دفع رجاء لقتالهم فقتل عدداً من رجال وأطفال ونساء دمشق، وهذا أدى إلى إنتفاض

(٥) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م٢، ص٤٥٦، الأصفهاني، حمزة بن الحسين (ت ٣٦٠ هـ/٩٧٠ م): تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص١٦٨، وسيشار إليه هكذا: الأصفهاني: تاريخ سني ملوك

(٦) الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض، ص١٦٨، الكرديزي، أبو سعيد عبد الحي (ت أواسط القرن ٥هـ/١١ م): زين الاخبار، تعريب محمد بن تاويت، مطبعة محمد الخامس، فاس، ١٩٧٢، ص٥، وسيشار إليه هكذا: الكرديزي: زين الاخبار

(٧) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص٦٠٦، الأزدي: تاريخ الموصل، ص٣٦٦، ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٣٠٩، ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص٦٦، ابن الشحنة: الدر المنتخب، ص٢٢٦

(٨) ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٣٠٩

(١) حمادي: ثورة نصر بن شبث، مجلة المؤرخ العربي، عدد ١٨، ص٢٧١

(٢) عمر: تاريخ العراق، ص١١٩، عمر: "ثورة نصر بن شبث العقيلي"، ص٦٠٧

الناس من جميع النواحي فقتلوا عدداً من رجال العباسيين الذين مع رجاء، لكن القوات العباسية سيطرت على الوضع بعد ذلك^(١) وأسرت ابن بيهس في مكيدة دبرت له^(٢).

وقد كانت هذه الحركة من أكبر الحركات التي قامت بها القبائل الشامية ضد الدولة العباسية، ومن الأدلة على ذلك أن أمير دمشق عجز عن مقاومتها، مما اضطره للإستنجاد بالسلطة العباسية^(٣) لأن أهل دمشق إنتفضوا وساندوا القيسية فيها.

وكان العباسيون حريصون على الحفاظ على الاستقرار في دمشق بشكل خاص، والشام عامة، لأن هذا الجزء يشكل الخطر الأول الداخلي على السلطة العباسية، خاصة وأن الفترة التي وقعت فيها الحركة كانت تدور فيها حركة المبرقع السفيفاني في فلسطين.

ومن الملاحظات على هذه الحركة أنها وقعت في نفس الوقت الذي قامت فيه حركة المبرقع، مما يدل على أنه كان هناك نوع من التنسيق بين الحركتين، خاصة إذا علمنا أن ابن بيهس الذي قاد الحركة في دمشق قد دعا المبرقع، وكان من مؤيديه.

(٣) حركات المدن الشامية

١- حركة فلسطين في عهد المهدي (١٦٩هـ/٧٨٥م)

أساء عامل فلسطين في عهد المهدي إلى أهلها وشدد عليهم، فخرجوا عن طاعة العباسيين وثاروا عليه، ولحرص المهدي على تحقيق الأمن والعدل فقد زار بيت

(٢) ابن طيفور: كتاب بغداد، ص ١٤٤-١٤٥، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٦٥٢

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٩، ص ١٨٤، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٦٧، أبو الفداء: المختصر، ج ٢، ص ٣٥، الذهبي: سير، ج ١٠، ص ٥٧٤، الذهبي: العبر، ج ١، ص ٣١٢، ابن العماد: شذرات الذهب، م ٣، ص ١٢١

(٥) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٩، ص ١٦، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٩، ص ١٨٤

(٦) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٦، ص ٢٢٩-٢٣٠، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٦٧، أبو الفداء: المختصر، ج ٢، ص ٥٣، الذهبي: سير، ج ١٠، ص ٥٧٤

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٦، ص ٢٣٠

المقدس بنفسه ليشرّف على تحقيق الأمن والاستقرار فيها، حيث عزل عاملها^(١).

ب- حركة حمص في عهد الرشيد (١٩٠هـ / ٨٠٥م)

أعلن أهل حمص خروجهم عن طاعة العباسيين، فدفع هذا الأمر الرشيد سنة (١٩٠هـ / ٨٠٥م) للخروج اليهم بنفسه، ولما وصل منبج خاف أهل حمص فبعثوا يطلبون الأمان منه فعفا عنهم وأمنهم^(٢).

وقد كانت هذه الحركة - والتي انفرد المؤرخ اليعقوبي من المصادر التي اطلعت عليها بالاشارة اليها - محاولة من المحاولات التي قامت بها المدن الشامية للخروج على العباسيين بقصد توجيه أنظارهم إلى الشام، ولا نستبعد أن تكون قامت بسبب ظلم عمال الدولة لأهل الشام، أو أنها كانت اشارة إلى معارضة الشام للعباسيين خاصة وأن مدينة حمص عرفت بولائها وتأييدها لبني أمية.

ج- حركة حمص في عهد الأمين (١٩٤هـ / ٨٠٩م)

استغل أهل حمص الإضطراب الذي وقع نتيجة الصراع بين الأمين والمأمون وخرجوا على عامل الأمين إسحاق بن سليمان الذي كان شديداً عليهم^(٣)، وهذا الأمر دفعه للهرب، فولى الأمين بدلاً منه عبدالله بن سعيد الحرشي الذي هاجم المدينة فجأة وقتل عدداً من أهلها كما أحرقها بالنار، وهذا أدى إلى طلبهم الأمان فأمنهم الحرشي^(٤)، لكن أهل حمص عادوا وثاروا عليه لاتباعه نفس سياسة إسحاق فعاقبهم

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م٢، ص٤٨، الطبري: تاريخ الرسل، ج٩، ص١١٨، ابن عساکر: تاريخ دمشق، مخطوط، م٦، ص٢٣٠، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٢٦٧

(٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج٩، ص١١٨، ابن عساکر: تاريخ دمشق، مخطوط، م٦، ص٢٣٠، التكريتي: "ثورات بلاد الشام"، مجلة المورد، عدد ١، ص١٩

(١) الكندي: الولاة والقضاة، ص١٢٩، جوده: مدينة الرملة، ص٥٣

واسم العامل هو ابراهيم بن صالح بن علي بن عبدالله (ت ١٧٦هـ / ٧٩٢م)

انظر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٣٦، الذهبي: سير، ج٨، ص٢٧٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص١٧٥، ابن مذهب: العقد الفريد، ج٤، ص٥٠، الدوري: العصر العباسي الأول، ص ٨٦

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م٢، ص٤٢٨

بقتل عدد منهم^(١).

ورغم أن الحرشي استطاع أن يضبط الأمور في حمص إلا أن الأمين عزله وولى إبراهيم بن العباس^(٢)، لإدراك الأمين بعدم نجاح سياسة الحرشي مع أهل حمص الذين لم يكونوا راضين عنه، فكان عزله من أجل تهدئة الأمور في المدينة، خاصة وأن الأمين كان بحاجة لهذا الهدوء كحاجته إلى تأييد هذه المدينة له في صراعه مع المأمون.

وحركة أهل حمص هذه تؤكد حقيقة الطبع الذي غلب على أهل حمص الذين عرفوا بتعدد عصيانهم وخروجهم طوال العصر العباسي.

د- حركة دمشق في عهد الأمين (١٩٤ هـ / ٨٠٩ م)

أوعز الأمين إلى عامله على دمشق منصور بن المهدي بأخذ قلعة بلّور كان قد أعجب بها من جامع دمشق، فأخذها ولما تفقدها إمام الجامع ترك الصلاة وصاح بالناس بذلك فقالوا: " لا صلاة بعد القلعة"^(٣).

ونتيجة للدور الذي لعبه فقهاء الشام في بث الحماس بين أهل الشام في دمشق^(٤)، فقد استجابوا وخرجوا عن طاعة العباسيين، فأدى ذلك إلى هرب عامل دمشق منصور بن المهدي فولى الأمين مكانة أحمد بن سعيد الحرشي^(٥) ثم سليمان بن أبي جعفر، لأن الحرشي لم يستطع أن يحد من خروج أهل دمشق الذين نهبوا كل ما كان مع سليمان وأخرجوه من المدينة^(٦).

(٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ٢٨٨، ماجد: العصر العباسي الأول، ص ٢٢٩، الخوري: تاريخ حمص، ص ١٢٤.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ٢٨٨، مجهول: تاريخ الدولة العباسية، مخطوط، و ٤١ أ، أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص ١٩.

(١) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ٢٨٨، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ١٢٨، أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص ١٩، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١، ص ٢٢٤.

(٢) ابن خلدون: العبر، م ٢، ق ٢، ص ٤٩٢.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٧، ص ٢٣٦، الذهبي: سير، ج ١١، ص ٤٥٠.

وعبثاً حاول سليمان المقاومة لتشجيع الأمين له، لأن أهل دمشق هجموا عليه وقتلوه^(١).

وبقيت القلة في بغداد حتى استولى المأمون على الأمور، فرد القلة إلى موضعها في جامع دمشق^(٢)، وقد أراد المأمون من هذا أن يكره أهل دمشق بالأمين^(٣)، وأن يكسب رضا أهل الشام عنه، خاصة وأن بلاد الشام في هذه الفترة كانت في صف الأمين، كما أن حركات العصيان ضد المأمون كثرت فيها.

هـ- حركة دمشق في عهد المأمون

خرج أهل دمشق على بعض الولاة العباسيين، وهجموا عليهم إلا أن الولاة استطاعوا الهرب مع أعوانهم، فدفع هذا الأمر المأمون إلى إرسال جيوش كثيرة أصلحت البلد وقضت على حركة العصيان فيها، وأخذ الذين قاموا بالحركة حيث تم ضربهم ومعاقتهم على فعلهم^(٤).

وقد تحدث عن خروج أهل دمشق هذا رجل من دمشق حمل إلى المأمون، ومن المحتمل أن خروج أهل دمشق هذا قد تم أثناء فترة الصراع بين الأمين والمأمون، حيث حمل عبدالله بن طاهر الذين خرجوا في الشام إلى بغداد بعد أن قضى على عصيانهم.

و- حركة دمشق في عهد الواثق (٢٣٠هـ / ٨٤٤م)

أعلن أهل دمشق خروجهم عن طاعة العباسيين بعد أن ثاروا على عاملها عبد الرحمن القرشي الذي أظهر العصبية فيها، فغضبوا من تصرفاته، ونتيجة لذلك قام الوالي بعزل عبد الرحمن عن ولاية دمشق إستجابة لرغبة أهل دمشق، وولى عليها مالك بن طوق^(٥).

(٤) بدر: "فقهاء الشام وعلاقتهم بالخلفاء العباسيين في العصر العباسي"، مؤتمر تاريخ بلاد الشام الخامس، ص ١٢

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٧، ص ٢٣٥ - ٢٣٦

(٦) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٤٠٩، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٧، ص ٢٣٦

(١) ابن عدي: العقد الفريد، ج ١، ص ٢٦٦

(٤) حركات الخوارج

لم تنقطع حركات الخوارج في بلاد الشام طوال العصر العباسي الأول وكانت معظم هذه الحركات قد قامت في منطقة الجزيرة التي يغلب على أهلها الفكر الخارجي، وشهد عهد الرشيد العدد الأكبر من حركات الخوارج، وهذه الحركات بعضها عبر عن رأي الخوارج المعارض للعباسيين، ومنها ما كان ذا هدف اقتصادي يتعلق بالذهب والسلب وتحقيق مصالح معينة، وسأعرض لأشهر حركات الخوارج مع ذكر الحركات الأخرى الأقل أهمية بإختصار.

١- حركة بريكة الشيباني^(١) (١٣٣هـ / ٧٥٢م)

أعلن بريكة - زعيم خوارج ديار ربيعة - خروجه على العباسيين في منطقة الجزيرة، واستطاع أن يهزم عدداً من قوات العباسيين في رأس عين، وقد انضم لبريكة أحد امراء بني أمية وهو محمد بن سعيد بن أبي الحكم بن العاص^(٢)، تعبيراً عن تحديه للسلطة العباسية.

ونتيجة لذلك لاحقة العباسيون فانتقل من كفر توثا إلى دارا حيث تحصن فيها، ولم يستطع بريكة أن يقاوم جيوش العباسيين التي وصلت إلى دارا وهزمت قواته وقتلته^(٣).

وقد كانت حركة بريكة استجابة للحركات التي قامت في الشام بعد الدخول العباسي إلى الشام تعبيراً عن معارضة العباسيين، فثار بريكة بناءً على طلب من إسحاق العقيلي الذي ثار في هذه الفترة في نفس المنطقة^(٤).

(٢) الذهبي: سير، ج١١، ص ٤٥٠

(٣) كردعلي: خطط الشام، ج١، ص ١٦٣

(٤) الألبشيهي: المستطرف، ص ٢٤٠ - ٢٤١

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، م ٤٠، تحقيق سكيئة الشهابي، ص ٢٤٣

(١) بريكة الشيباني، قتل سنة ١٣٣هـ / ٧٥١م

انظر: الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص ٤٤٧، ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٢٣٥، ابن كثير: البداية، ج١، ص ٥٢، ابن خلدون، العبر، م ٢، ص ٣٧٢

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٣، ص ١٥١

ب- حركة عبد السلام البشكري^(١) (١٦٢-١٦٣هـ / ٧٧٨-٧٧٩م)

أعلن عبد السلام خروجه على العباسيين في منطقة الجزيرة، فمر على نصيبين ورأس عين، وأمد^(٢)، وفي كل مكان كان يكسب مؤيدين له فازدادت قوته، فأدى ذلك به إلى هزيمة عدد من القادة الذين بعث بهم المهدي لملاقاته، وامتدت حركة عبد السلام من الجزيرة إلى مدن الشام قنسرين^(٣) وحلب التي قتل بها على يد القوات العباسية^(٤).

وقد مثلت حركة عبد السلام رأي الخوارج بالعباسيين عامة والخليفة المهدي خاصة^(٥)، وظهر ذلك في الرسائل المتبادلة بين عبد السلام والمهدي والتي أورد الأزدي جانباً منها بينما ذكر ابن خياط النص الكامل للرسائل^(٦).

فالخارجي ذكر المهدي بأنه عليه الإهتمام بأمر المسلمين وأن لا ينشغل عنهم بالصيد والجواري، وأخبره أنه خرج عن طاعته في إحقاق الحق وتطبيق الحدود وإقامة العدل^(٧)، وأما المهدي فقد عدّ الخارجي محارباً للخليفة وخارجاً عن طاعته^(٨)، والشعارات التي طرحها من قبل الخارجي كانت سمة مميزة لثورات الخوارج ليس فقط ضد العباسيين وإنما أيضاً ضد الأمويين من قبل.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٢، ص ١٥١، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٤٧، ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٢٣٥

(٤) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٤٧، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٥٣

(١) عبد السلام بن هاشم البشكري الخارجي، قتل سنة ١٦٣هـ / ٧٧٩م
انظر: خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٤٣-٤٤٥، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ١٤٢، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٢٤٢، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٦١

(٢) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٤٣

(٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ١٤٢، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٢٤٢، ابن العديم: زبدة الحلب، ج ١، ص ٦٠، أبو الفداء: اليواقيت، ص ٥٠

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٤٣، عمر: تاريخ العراق، ص ٨٣

(٥) حماده: الوثائق السياسية والإدارية للعصر العباسي الأول، ص ٤٤

(٦) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٤٣-٤٤٥، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٢٣٨

جـ- حركة الوليد بن طريف^(١) (١٧٨-١٨٠هـ / ٧٩٤-٧٩٦م)

كانت حركة الوليد بن طريف من أكبر وأخطر الحركات الخارجية التي واجهتها الدولة العباسية، وجاءت خطورة هذه الحركة من العدد الكبير الذي ساند الحركة، ثم من النفوذ الذي أصبح عليه قائد الحركة والذي حوّل له السيطرة على مناطق كثيرة في الجزيرة

والذي دفع الوليد للخروج على العباسيين كان سياسة الحكومة التي فرضت ضرائب كثيرة على أهل الجزيرة^(٢)، مما أدى إلى ظلم كبير وقع على هؤلاء الأهل، فأتخذ الوليد رفع هذا الظلم شعاراً في حركته وكان يقول:

أنا الوليد بن طريف الشاري جوركم أخرجني من داري^(٣)

(الرجز)

ولأن معظم أهل الجزيرة تضرروا من تلك السياسة فقد اندفعوا لتأييد الوليد الذي سيطر على دارا ونهبها^(٤)، وفعل الأمر نفسه في أمد وبلد وأرزن وخلاط^(٥)

(٧) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٤٤-٤٤٥

(٨) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٤٤-٤٤٢

(١) الوليد بن طريف بن عامر بن عمرو الشاري، قتل سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م

انظر: ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص ٥٧٣، خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٥١، الذهبي: سير، ج ٨، ص ٢٣١-٢٣٢، الأبيشي: المستطرف، ص ٢٢٥، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٢٨٣، القلقشندي: أحمد (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م): نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، الشركة العربية للنشر، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٢٧٢، وسيشار إليه هكذا: القلقشندي: نهاية الأرب، العامري: غربال الزمان، ص ١٦١

(٢) عمر، فاروق: الخليفة المجاهد هارون الرشيد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩، ص ٤٥، الزواهرة: " طرق التجارة والحج في بلاد الشام"، مؤتمر تاريخ بلاد الشام الخامس، ص ٢١، Kennedy: The prophet and The Age of Caliphate, p142

(٣) الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٢٨٠، الأصفهاني: الأغاني، م ١٢، ص ٩٥

(٤) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٥١، الذهبي: سير، ج ٨، ص ٢٣٢

وقتل عدداً كبيراً من أهل نصيبين وحلوان^(١)، وخشية من ازدياد نفوذ الوليد فقد بعث الرشيد يزيد بن يزيد^(٢) لقتاله وأعطاه سيفه، فلم يستطع يزيد القضاء عليه بسرعة^(٣)، لأن الوليد كان ذا قوة كبيرة، لكثرة ما اجتمع لديه من الرجال والأموال، وقد أدى التأخير في هزيمة يزيد للوليد إلى اتهام يزيد أنه متواطئ مع الوليد للقرابة التي بينهم^(٤)، فبعث الرشيد إلى يزيد يستعجله قتل الوليد فكثف يزيد هجومه عليه حتى قتله وفرّق أصحابه^(٥)، وبعد مقتله حاولت أخته الفارعة أن تنتقم لمقتل أخيها فحملت الراية وحاولت أن تجمع الثائرين، لكن محاولاتها ضاعت هباءً، فتم القضاء على الحركة نهائياً^(٦).

وكما أشرنا فقد كانت هذه الحركة من أخطر حركات الخوارج في هذا العصر ضد

- (٥) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٥٢، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٢٨١
وبلد: مدينة على نهر دجلة قريبة من نصيبين، ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٨١
وأرزن: مدينة شهيرة قرب خلاط من نواحي أرمينية بها قلعة حصينة ، ياقوت: معجم
البلدان، ج ١، ص ١٥٠
وخلاط: مدينة مشهورة ذات خيرات وهي قسبة أرمينيا الوسطى ، ياقوت: معجم البلدان،
ج ٢، ص ٢٨٠ - ٢٨١ ، الحميري: الروض المعطار، ص ٢٢٠
- (١) مجهول: العيون والحدائق، ج ٢، ص ٢٩٦
وحلوان: بلد في العراق آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد، كبيرة ، ياقوت: معجم
البلدان، ج ٢، ص ٢٩١
- (٢) يزيد بن يزيد بن زائدة الشيباني (ت ١٨٥هـ/ ٨٠١م)
انظر: ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص ١١١هـ-١٢٥، خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٥٧ ، الطبري: تاريخ
الرسول، ج ٨، ص ٢٧٣ ، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٩٧ ، العامري: غربال الزمان، ص ١٦١ ، ١٧٠ ،
الذهبي: سير، ج ٩، ص ٧١-٧٣
- (٣) ابن العماد: شذرات الذهب، م ٢، ص ٢٨٤
- (٤) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٩٧ ، العامري: غربال الزمان، ص ١٦١ ، ابن العماد: شذرات، م ٢،
ص ٢٤٩ ، الذهبي: سير، ج ٩، ص ٧١
- (٥) العسكري: الأوائل، ص ١٨٤
- (٦) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٩٧ ، الذهبي: سير، ج ٩، ص ٧٣ ، ابن خلدون: العبر، م ٢، ص ٣٦١

الدولة العباسية، إذ بدأت من الجزيرة واتسع مداها لتهدد عاصمة الدولة بغداد^(١)، وبعد القضاء على الحركة ذهب هارون الرشيد إلى العمرة شكراً لله تعالى على القضاء على الحركة^(٢)، مما يدل على القوة التي تمتعت بها والنفوذ الذي تحقق للوليد والذي أهله لمنع الإيرادات من الوصول للدولة من منطقة الجزيرة كاملة^(٣).

وبخلاف هذه الحركة فإن عهد الرشيد شهد أكبر قدر من حركات الخوارج ضد العباسيين، فخرج عليهم في سنة (١٧١هـ / ٧٨٧م) الصحح الشيباني وتغلب على ديار ربيعة وروابط الموصل^(٤)، وفي الوقت الذي خرج فيه الصحح خرج أيضاً الفضل الراداني في نصيبين فنهب كثيراً من المدن^(٥)، كما خرج أيضاً خراشة الشيباني في (١٧٩هـ / ٧٩٥م)، فنهب وعاث في أرض الجزيرة^(٦)، وبعد حركة الوليد ابن طريف خرج أبو عمرو الخارجي في (١٨٤هـ / ٨٠٠م) في شهر زور، وكانت حركته ضعيفة بحيث تم القضاء عليها بوقت قصير^(٧).

-
- (١) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٥٢، العاني: سياسة المنصور أبي جعفر، ص ٢٥٢
- (٢) مجهول: تاريخ الدولة العباسية، مخطوط، و ٢١ أ، ابن حمدون: التذكرة، مخطوط، و ٦٦ أ، مجهول: العيون والحداثق، ج ٢، ص ٢٩٧
- (٣) الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٢٨٢، Kennedy : The Prophet and The Age of Caliphates, p,142
- (٤) الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٢٦٧، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٨٤
- وروابط الموصل: سميت الموصل بذلك لأنها ربطت بين الجزيرة والعراق وقيل دجلة والفرات، وقد أوجد لها مروان بن محمد ديواناً وجسراً، ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٢٣- ٢٢٤
- (٥) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٣٥، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٨٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٦٢
- (٦) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٦٦
- (٧) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٧٢، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ١٠٩

ولم يمنع سكن الرشيد في الرقة سنة ١٨٩هـ/ ٨٠٥م، لردع الخوارج من توقف حركاتهم ضد الدولة العباسية^(١)، إذ خرج سيف بن بكر الخارجي في عين البقر^(٢)، لكن مبعوث الرشيد محمد بن يزيد قتله وأخمد حركته سنة ١٩٠هـ/ ٨٠٦م^(٣).

وفي عهد المأمون استمرت حركات الخوارج ضد العباسيين حيث استغلوا انشغال الدولة بالقضاء على حركة نصر بن شبث العقيلي، وانشغال المأمون بترتيب أوضاعه بعد أن حسم الصراع بينه وبين الأمين لمصلحته.

فخرج في سنة ٢٠٢هـ/ ٨١٥م مهدي بن علوان الشاري، وأعلن نفسه أميراً للمؤمنين، لكن المأمون قضى على حركته في عكبرا^(٤)، وخرج في السنة نفسها رباح ابن أبي رمثة في ديار ربيعة^(٥)، كما خرج أيضاً بعض الخوارج في الرقة، ورفعوا البياض شعاراً لهم تعبيراً عن معارضتهم للعباسيين أصحاب الرايات السود، وقد قضى على حركتهم بعد أن حاصرتهم قوات المأمون وأنهت انتفاضهم^(٦)، وفي سنة ٢١٤هـ/ ٨٢٩م خرج على المأمون بلال الغساني الشاري، فقام المأمون بقتله في السنة نفسها^(٧)، وفي سنة ٢١٧هـ/ ٨٣٢م قتل المأمون بالرقة ابن اخت الداري الذي خرج على المأمون^(٨).

- (١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١، ص ١٨٤
- (٢) عين البقر: موضع قرب عكا، يزار للإستشفاء، الأزدي: الموصل، ص ٣٠٩، ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ١٧٦
- (٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ٣٢٢، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٣٠٩
- (٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٤٥١، اليعقوبي: مشاكلة الناس لزمانهم، ص ٢٨ - ٢٩، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٣٥ - ٣٥١
- (٥) وعكبرا: قرية قريبة من بغداد، ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ١٤٢، الحميري: الروض، ص ٤٠٢، وتقع في الجنوب من صفد على بعد ٤ كم، شراب: معجم بلدان فلسطين، ص ٥٤١
- (٦) اليعقوبي: مشاكلة الناس لزمانهم، ص ٢٩
- (٧) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م): البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق عبد السلام هارون، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢، ص ٥١٤ - ٥١٥، وسيشار إليه هكذا: الجاحظ: البرصان
- (٨) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٤٦٤، الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ٦٢٢، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٣٩٥، ابن كثير: البداية، ج١، ص ٢٨١
- (٩) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ٦٣١

وفي عهد الواثق خرج محمد بن عبدالله الخارجي في ديار ربيعة سنة ٢٣١هـ / ٨٤٥م، فخرج إليه أحد قادة الموصل فقضى على حركته وأسر^(١).

(٥) - حركات النصاري

أ- حركة الياس (١٣٥هـ / ٧٥٣م)

قاد هذه الحركة رجل من نصارى لبنان في أواخر عصر السفاح. حيث هاجم القرى ونهبها، مما دفع والي الشام عبدالله بن علي إلى طلب مصالحته فرفض الياس طلبه، فهاجمه عبدالله وقتله في البقاع^(٢).

وقد كانت هذه الحركة إمتداداً للحركات التي قامت في هذه الفترة في معظم أنحاء الشام احتجاجاً على سياسة العباسيين التي اتبعوها في هذه المنطقة، والتي عانى منها النصاري والمسلمون.

ب- حركة بندار (١٤٢هـ / ٧٥٩م)

أعلن بندار خروجه عن طاعة العباسيين في المنيطرة^(٣)، احتجاجاً على سياسة العباسيين في لبنان والتي صادروا فيها أملاكهم وأرضهم وفرضوا عليهم ضرائب كثيرة^(٤)، وقد أيد بندار في حركته نصارى لبنان^(٥)، حيث رفضوا دفع الخراج للدولة

(١) الطبري: تاريخ الرسل، ج٩، ص ١٤٠، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٢٧٤

(٢) كرد علي: خطط الشام، ج١، ص ١٥١، الخازن: الحضارة اللبنانية في الدولة العباسية، ص ٢٧ والبقاع: أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق فيها قرى كثيرة ومياه غزيرة، ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص ٤٧، وهو السهل الممتد بين سلسلتي جبال لبنان الشرقية والغربية، فيه العديد من المدن، ابن المبرد: رسائل دمشق، ص ٢٢ (الهامش).

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٦٦، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٦، ص ٣١١ والمنيطرة: حصن بالشام قريب من طرابلس، ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص ٢١٧، وتقع بين بعلبك وجبيل، التدمري: تاريخ طرابلس، ص ١٧٧

(٤) حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ١٦٧، حتي: مختصر تاريخ لبنان، ترجمة فؤاد جرجس نصار، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨، ص ١٢٤

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٦٦، كرد علي: الإسلام والحضارة، ص ٢٠٠

العباسية وقرروا قتل عامل خراج بعلبك^(١)، فكمن لهم الجند العباسي وهزمهم في كمين أعدوه لهم، فدفعهم هذا للهرب إلى حصن المنيطرة حيث تحصنوا فيه^(٢).

لكن العباسيين استطاعوا أن يسيطروا على الوضع ويهزموا أصحاب بندار فانتقموا منهم، حيث شرد صالح بن علي أهل القرى المجاورة رغم أن الكثير منهم لم يشاركوا مع بندار، وهذا دفع الإمام الأوزاعي إلى الإحتجاج وبيان عدم جواز معاقبة الذين لم يشتركوا في الحركة^(٣).

وهذه الحركة دفعت الخليفة المنصور للإستعانة بالأمراء التنوخيين^(٤) -الذين شجعهم للسكن في لبنان - ليصدوا غارات الروم بالإضافة إلى دورهم في الحفاظ على أمن المنطقة^(٥)، وكان التنوخيون عند حسن ظن المنصور فلم تقم بعد حركة المنيطرة أي حركة ضد الدولة طوال عصر المنصور في لبنان.

ج- حركة النصارى في عهد المهدي (١٦٣هـ / ٧٧٩م)

استغل نصارى لبنان خروج الخليفة المهدي مع الأمراء التنوخيين إلى القدس

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٦٦، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٦، ص ٣١١، نصرالله: تاريخ بعلبك، ص ١٠٩.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٦٦، حتي: مختصر تاريخ لبنان، ص ١٢٤، حسن: تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي، ص ٨٢، السوداء، يوسف: تاريخ لبنان، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٦٦، يحيى، لطفي عبد الوهاب: "مصدران بيزنطيان عن تاريخ الشام"، مؤتمر بلاد الشام الخامس، ص ٤.

(٣) ابن سلام، أبو عبيد (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م): كتاب الأموال، تحقيق محمد هراس، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر، د. ت، ص ١٩٩ - ١٠٠، وسيشار إليه هكذا: ابن سلام: الأموال، البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٦٧، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٦، ص ٣١١ - ٣١٢، بدر: "فقهاء الشام في العصر العباسي"، ص ١٢.

(٤) الأمراء التنوخيون: قدمت أول دفعة منهم من معرة النعمان للبلدان الحاذية لبيروت بأمر من أبي جعفر وكانوا بزعامة الأميران المنذر وأرسلان فقابلهم المنصور وأعطاهم إقطاعات بلبنان، الشدياق، طنوس: أخبار الأعيان في جبل لبنان، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٠، ج ٢، ص ٤٩٥، حمزة، نديم: التنوخيون ودورهم في جبل لبنان، دار النهار، بيروت، ١٩٨٤، ص ٣٥، نصرالله: تاريخ بعلبك، ص ١٠٨.

(٥) الخازن: الحضارة اللبنانية زمن الدولة العباسية، ص ١٦٦.

واعتمدوا على القوافل التجارية والمسافرين بين طرابلس وبيروت، وبين بيروت وصيدا^(١)، مما يوحي لدينا أن هدف هذه الحركة كان تحقيق مصالح اقتصادية بنهب القوافل والمسافرين، ولم يكن لها أي مغزى سياسي.

وقد انتهت هذه الحركة برجوع الأمراء التنوخيين الذين حاصروا الثائرين وقتلوا منهم عدداً كبيراً عند ساحل بيروت الشمالي، وعند نهر الموت الذي سمي بهذا الإسم لكثرة من قتل فيه^(٢).

د- حركة النصاري في عهد الرشيد (١٧٤هـ / ٧٩٠م)

خرج نصاري لبنان على الأمير مسعود التنوخي الذي كان يحفظ الأمن للعباسيين في هذه المنطقة وهاجموه في قرية سن الفيل^(٣)، لكن مسعوداً هزمهم وقتل عدداً منهم وأحرق قراهم^(٤).

هـ- حركة نصاري حلب وقنسرين (٢٠٤هـ / ٨١٩م)

كان يعيش في حاضر حلب^(٥) عدد من النصاري في عهد الأمين فأرادوا إخراج أهل حلب منه، فاستنجد أهل بقبائل العرب الذين طردوا النصاري إلى قنسرين، وفي قنسرين تذكر هؤلاء النصاري لإكرام أهلها لهم وطمعوا في الاستيلاء على المدينة فأدى ذلك إلى إخراجهم منها وتفرقهم في البلاد المجاورة^(٦)، وكان (بنا) أحد

(١) الشدياق: أخبار الأعيان، ج٢، ص٤٩٦، التدمري: تاريخ طرابلس، ص١٨٧

(٢) الشدياق: أخبار الأعيان، ج٢، ص٤٩٦

ونهر الموت: مكان شمال بيروت، بينها وبين جبيل، التدمري: تاريخ طرابلس، ص١٨٢

(٣) سن الفيل: موضع قرب بيروت، الشدياق: أخبار الأعيان، ج٢، ص٤٩٦، وتبعد عن بيروت ٥ كم، التدمري: تاريخ طرابلس، ص١٨٢

(٤) الشدياق: أخبار الأعيان، ج٢، ص٤٩٦، حمزة: التنوخيون ودورهم في لبنان، ص٥٧، نقلاً عن السجل الأرسلائي، إثبات عام ٢١٠هـ / ش. أرسلان، ص٢٢٥-٢٢٦

(٥) حاضر حلب: محلة كبيرة في حلب تجمع أصناف من العرب من تنوخ وغيرهم، ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٢٠٦، ياقوت: المشترك، ص١١٨

(٦) قدامة: الخراج، ص٢٠٢، البلاذري: فتوح البلدان، ص١٥٠ - ١٥١،

ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٢٠٦، البغدادي: مراصد، ج١، ص٢٧١ - ٢٧٢

نصارى حلب الذين أخرجوا منها وسكن جبل لبنان وفيها تعرض لمضايقة والي حلب في عهد المأمون، فخرج (بنا) عن طاعتهم وهاجم العباسيين وقتل بعض جنودهم، ونتيجة للملاحقة العباسيين له فقد هرب إلى جنوب لبنان مع عشيرته^(١).

(٦) - حركات أخرى

أ- حركة بسام بن إبراهيم (١٣٢هـ / ٧٥٠م)

كان بسام أحد قادة عبدالله بن علي في حرب أبي محمد السفيناني وأبي الورد، وبعد عودته خرج عنه بسام وأعلن عصيانه ومعارضته له في تدمر، ولم تؤيد تدمر بسام في خروجه لعدم ثقتها به وخاصة بعد أن قتل عدداً من أهلها وبعث برؤوسهم إلى ابن علي ليؤهمه أنه على طاعته^(٢)، وقد تفرق جنود بسام عنه فصار إلى قرقيسيا حيث قتل فيها مع بعض أعوانه على يد مبعوث العباسيين خازم بن خزيمة^(٣).

ب- حركة أحد أهل فلسطين

قام هذا الرجل بحركته معارضاً للعباسيين، فخرج على عاملها عبد الوهاب بن إبراهيم فبعث المنصور يطلب هذا الرجل فأحضر عنده وتكلم كلاماً فيه ذم للمنصور الذي لم يسمعه فسأل المنصور حاجبه الربيع عن ما قال الرجل فادعى أنه يطلب العفو، فعفا المنصور عنه^(٤)، ولم تحدد المصادر اسم هذا الرجل أو زمان خروجه.

(١) الشدياق: أخبار الأعيان، ج٢، ص٤٩٧، حمزة: التنوخيون ودورهم، ص٣٦-٣٧، نقلاً عن السجل الأرسلائي، مخطوط، اثبات عام ١٩٠، ش. أرسلان، ذيل روض الشقيق، ص٢٤١

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ق٢، ص١٧١

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ق٢، ص١٧١، ابن كثير: البداية، ج١، ص٥٦

(٤) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص٩٧، الصابي: الهفوات النادرة، ص٩٥، القلعي، أبو عبدالله محمد (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م): تهذيب الرئاسة وترتيب السياسة، تحقيق إبراهيم يوسف ومصطفى مجو، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٥، ص٢٢١، وسيشار إليه هكذا: القلعي: تهذيب الرئاسة.

وكان خروج هذا الرجل ناتجاً عن سوء معاملة عامل فلسطين لأهل البلاد فعارضه الرجل لذلك^(١).

جـ- حركة أحد أبناء عبد الرحمن بن سمرة القرشي

أراد هذا الرجل الخروج بالشام على المهدي، لكن عامل دمشق قبض عليه وحمله للمهدي الذي أكرمه لأنه رآه صاحب فضل، لكن المهدي عاد وغضب عليه لأنه قال كلاماً مدح فيه بني أمية، ودم فيه العباسيين^(٢)، ولم تحدد المصادر زمان ومكان الحركة بالتحديد.

د- حركة أبي النداء (١٩٠هـ / ٨٠٥م)

خرج أبو النداء مع بعض قطاع الطرق في أيلة^(٣) وأغاروا على بعض قرى الشام، ورفضوا أداء الخراج للعباسيين^(٤)، ولما بلغ أمرهم للرشيد وجه يحيى بن معاذ - الذي عين نائباً على الشام^(٥) - لحربه حيث اجتمع في أيلة مع المدد الذي بعثه نائب مصر على حرب أبي النداء فهزمه في المعركة^(٦)، وحمل أسيراً إلى الرشيد في الرقة وقتله فيها^(٧).

(١) جودة: مدينة الرملة، ص ٥١ هـ ٥٢، Schick: "Christianity In The Patriarchate of Jerusalem In The Early Abbasid Period", p 8

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص ٢٠٨، الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ١٨٠، النويري: نهاية الأرب، ج٨، ص ١٨١

(٣) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام، ياقوت: المشترك، ص ٢١، ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص ٢٩٢، البغدادي: مراصد، ج١، ص ١٢٨، وهي تقع بالقرب من معان شمال الأردن، عبد القادر: أسماء المواقع، ص ١٠

(٤) الكندي: الولاة والقضاة، ص ١٤٢-١٤٤، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٢، ص ١٣٥، Schick: "Christianity In The Patriarchate of Jerusalem In The Early Abbasid Period", p 11

(٥) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ٤٢٣، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ١٢٧، أبو خليل، شوقي: هارون الرشيد، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٩٨١، ص ٧٧

(٦) الكندي: الولاة والقضاة، ص ١٤٤، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٢، ص ١٣٥

(٧) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ٣٢٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٢، ص ١٣٥

ولم يكن لهذه الحركة أي مغزى سياسي، وإنما كانت حركة تلاقت فيها المصالح الاقتصادية فكان أفرادها من قطاع الطرق الذين نهبوا القرى ورفضوا أداء الخراج.

ب- موقف العباسيين من العصبية في الشام

شكل الصراع بين القبائل القيسية واليمانية نقطة بارزة في الوضع السياسي لبلاد الشام طيلة العصر الأموي. وفي العصر العباسي استمر الصراع بين الفريقين، فما أن تهدأ العصبية بينهما حتى تعاود الظهور مرة أخرى بعد فترة.

والعباسيون أنفسهم تعاملوا مع هذا الصراع تبعاً لظروفهم ومصالحاتهم الخاصة، فكانوا يتدخلون لئلا يندلع هذا النزاع، وأحياناً أخرى كانوا هم الذي يقومون بإيقاف هذا النزاع.

وإذا كانت العصبية من عوامل الضعف الذي حلّ بالدولة الأموية التي عجزت عن مقاومة العباسيين، فإن هذه العصبية قد أجهزت على آخر أمل بمقاومة أهل الشام للعباسيين في دمشق، عندما نجح القائد العباسي عبدالله بن علي في إذكاء هذه الروح أثناء حصارها، عندما أغرى اليمانية واستمالهم إلى جانبه فعارضوا القيسية وفتحوا أبواب دمشق للعباسيين^(١).

وظل الصراع بين الفريقين بعد ذلك سمة مميزة في الواقع السياسي داخل بلاد الشام طوال العصر العباسي الأول، وكان عصر الخليفة هارون الرشيد هو العصر الأكثر الذي شهد جولات من الصراع بين الفريقين.

فقد ثارت العصبية بين الحيين في سنة ١٧٦هـ / ٧٩٢م، وتذكر المصادر التاريخية سببين لهذا الصراع : الأول جاء نتيجة قتل القيسية أحد رجالات اليمانية الذين ضربوا رجلاً قيسياً لأنه سرق بطيخة من حقل رجل يمانى^(٢).

(١) ابن أعثم: الفتوح، ج٨، ص ١٨٦، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ١٣٥، الصابي: الهفوات، ص ١٠٧.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٨، ص ٧٩٦، أبو الفداء: المختصر، ج ٢، ص ١٢.

وأما السبب الآخر فهو ما ذكر أن أبا الهيثام^(١) الرأس الأول في الفتنة خرج انتقاماً لمقتل أخ له على يد عامل الرشيد على سجستان، وأيده في خروجه القيسية^(٢).

والسبب الأول هو الأقرب للصواب، لأن فيه بياناً للعلاقة بين الحيين مما أدى للفتنة، وأما الحادثة الأخرى فليس فيها أي ذكر لعلاقة القبائل اليمانية بالحادثة، لأن الحادثة تخص الرجل المعني بالفتنة وهو أبو الهيثام، وتخص أعوانه القيسية وحدهم.

والمهم أن النزاع حدث بين الحيين، وازدادت حدته بعد الدور الذي قام به أبو الهيثام الذي خرج عن طاعة الدولة، واستولى على دمشق وأخرج من في سجونها^(٣)، وفي هذه الأحيان كان يتولى دمشق عبد الصمد بن علي، الذي لم تغلج محاولاته في الإصلاح بينهم^(٤)، مما أدى إلى عزله وتولية الرشيد دمشق لإبراهيم بن صالح بن علي^(٥)، ومن بعده لإبنه إسحاق، فساهما في إشعال العصبية بميلهما لليمانية

-
- (١) أبو الهيثام: عامر بن عمار بن خريم الناعم بن الحارث (ت ١٨٢هـ / ٧٩٨م) انظر: ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص ٤١٨، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٤١، ابن حزم: جمهرة أنساب، ص ٢٥٢، ابن عساکر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٨، ص ٧٩٦ - ٨٠٩، ابن كثير: البداية، ج ١٠، ص ١٧٣ - ١٧٤
- (٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٨، ص ٧٩٥، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٩١، ابن خلدون: العبر، م ٢، ق ١، ص ١٦٧
- اسم أخي أبي الهيثام هو عثمان بن عمار بن الحارث قتل سنة ١٧٦هـ / ٧٩٢م
- انظر: ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص ٤١٨، ابن بكار: الأخبار الموفقيات، ص ٢٨١
- = سجستان: ناحية كبيرة في فارس، وولاية واسعة أرضها رمال، ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٩٠
- (٣) ابن عساکر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٨، ص ٨٠٤، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٩٢
- (٤) أبو الفداء: المختصر، ج ٢، ص ١٢، ابن كثير: البداية، ج ١٠، ص ١٦٨
- (٥) ابن عساکر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٢، ص ٤٤٧، م ١٠، ص ٣٢٨، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ٢٠٦

وتشديدهما على القيسية، حتى أن إسحاق ضرب جماعة منهم وحلق لحاهم^(١)، مما أدى إلى كبر الفتنة واشتداد تأثيرها، وهذا الأمر أدى بالرشيد إلى السعي بجدية للقضاء على الفتنة، فولي الشام لموسى بن يحيى البرمكي^(٢) فقبض موسى على رؤوس الفتنة وحملهم إلى الرشيد، وأصلح موسى بين الناس وانتهت الفتنة باستسلام أبي الهيثام^(٣).

وفي سنة ١٨٠هـ / ٧٩٢م ثارت الفتنة مرة أخرى بين الحيين في دمشق، ولأن الرشيد عرف تأثير فتنة أبي الهيثام على الدولة، وخشية من تكرار ذلك عزم بنفسه على الخروج لاحتواء الفتنة، لكن جعفر بن يحيى البرمكي خرج مكانه^(٤) وولاه الرشيد الأردن وفلسطين ودمشق وحمص^(٥) (أي معظم أجناد الشام)، فأتى جعفر الشام ومعه الأشراف والمال والعساكر^(٦) وأصلح بين الناس، ولم يبق أي سلاح في الشام^(٧).

وبعد سبع سنين عادت الفتنة وثار مرة أخرى في دمشق نفسها، وقد قتل فيها نحو خمسمائة رجل من القيسية^(٨)، مما يدل على قوة وكبر حجم هذه الفتنة مما أدى إلى مقتل هذا العدد الكبير من جانب واحد.

ونتيجة لذلك بعث الرشيد أحد قادته وهو محمد بن منصور بن زياد مع بعض أهل الشام ليصلح بين الناس، ويدفع دية المقتولين ويعزل حاكم دمشق محمد بن

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، ٨م، ص ٧٩٧، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٩٢

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، ٨م، ص ٤١٧، ابن العديم: زبدة الطلب، ج ١، ص ٦٢

(٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٥١

(٤) تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٦٢، الجهشيارى: الوزراء والكتاب، ص ٢٠٨

(٥) الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٢٨٩

(٦) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٦٢، الجهشيارى: الوزراء والكتاب، ص ٢٠٨

(٧) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٦٢ - ٢٦٣، الذهبي: سير، ج ٩، ص ٦١، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٧٥

(٨) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، ٨م، ص ٧٥

شعيب^(١)، مما يوحي أن لهذا الأخير يداً في هذه الفتنة، أو أنه عجز عن مقاومة هذه الفتنة وإشاعة الإستقرار في البلد.

فأصلح محمد بين الناس ورحل إلى بغداد ومعه عشرون رجلاً من وجوه الحيين^(٢)، وقد أصبح إحضار الوجوه من الحيين بعد ذلك نظاماً اتبع للتوفيق بين الطرفين^(٣).

وهكذا نلاحظ أن هذه الفتنة لم يكن لها هدف سياسي، ولم تكن تسعى لإعادة الحكم الأموي^(٤)، رغم أن مكان حدوثها هو الشام، وكل ما في الأمر أنها صراعات بين طرفين، فقامت فتنة أبي الهيثم لأسباب شخصية^(٥).

وهذه الصراعات كانت سياسة الولاة هي العامل الأول في اشتدادها وتقويتها^(٦)، والأمثلة في عهد الرشيد تدل على ذلك، كما أن خروج أهل دمشق عن طاعة الدولة في عهد الواثق بسبب تعصب واليهم عبد الرحمن القرشي لأحد الحيين، أبرز دليل على ذلك^(٧).

وإذا كانت الدولة قد أشعلت نار العصبية لبث دعوتها ودخولها الشام، ورغم أن العصبية تضعف أهل الشام عن تهديد العباسيين، فإن الخلفاء لم يكونوا يريدون إضعاف العرب، فالرشيد أرادهم أقوىاء حتى يواجه بهم البرامكة^(٨)، ومعظم الخلفاء

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، ٨م، ص ٧٥

(٢) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٠٢، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، ٨م، ص ٧٥، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ١٢٠

(٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٥١، كرد علي: الإسلام والحضارة، ج ٢، ص ٢١١ - ٢١٢

(٤) سليمان: الدولة الإسلامية، ص ٩٩، علي: تاريخ بلاد الشام، ص ٢٦

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، ٨م، ص ٧٩٦، علي: تاريخ بلاد الشام، ص ١٢٨

(٦) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، ٨م، ص ٧٩٧، عمر: الخليفة المجاهد هارون الرشيد، ص ٥٤

(٧) ابن عساكر: تاريخ دمشق، م. ٤٠، تحقيق سكيئة الشهابي، ص ٢٤٢

(٨) عمر: تاريخ العراق، ص ١٠٢، الدوري: العصر العباسي الأول، ص ١١٢ - ١١٣، ماجد: العصر العباسي الأول، ص ٤٨

كانوا يريدون استقرار الدولة حتى تتفرغ لمواجهة عدوها الخارجي وهو الروم، وحتى تبقى الأوضاع داخل البلاد آمنة.

جـ- موقف الشام من الصراعات العباسية

برز الموقف الشامي المعارض للعباسيين في العصر العباسي الأول في جانبين : تمثل الأول بالحركات العديدة التي قام بها أهل الشام في معظم المدن الشامية ضد العباسيين، وأما الجانب الثاني فهو مشاركة أهل الشام في الصراعات والإضطرابات التي قامت ضد العباسيين، وبين العباسيين أنفسهم، والتي لم يكن مصدرها أهل الشام.

وكان هدف أهل الشام من هذه المشاركة هو استغلال أي فرصة أو محاولة تؤدي إلى إضعافهم على أمل إسقاطها لاستعادة مجد الشام الذي كان تحقق في ظل دولة الأمويين^(١)، والذي فقد بعضه بقدوم العباسيين الذين وجهوا أنظارهم نحو العراق.

ومن أبرز الصراعات التي اشترك فيها أهل الشام كانت حركة عبد الله بن علي العباسي ومحمد بن عبد الله بن حسن (النفوس الزكية) ضد المنصور، والصراع الذي حدث بعد وفاة الرشيد بين الأمين والمأمون، ثم الصراع بين المعتصم والعباس بن المأمون^(٢).

١- حركة عبد الله بن علي (١٣٧ - ١٣٨ هـ / ٧٥٤ - ٧٥٥ م)

بعد وفاة الخليفة أبي العباس السفاح رفض ابن علي البيعة لأبي جعفر المنصور - وكان قد خرج مع جنود الشام وخراسان لغزو الروم معسكراً في دابق -^(٣) وادعى

(١) علي: دراسات في التاريخ العباسي، ص ١٢ ، حمادي: الجزيرة والموصل، ص ٦٤٩، عمر: العباسيون، ص ٨٧ ، العاني: سياسة المنصور أبي جعفر، ص ١١٨

(٢) العباس بن المأمون (ت ٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م).

انظر: ابن حزم: جمهرة أنساب، ص ٢٤ ، ابن العديم: زبدة الحلب، ج ١، ص ٦٨ ، ابن العمرائي: الأنباء، ص ١٠٤ ، ابن كثير: البداية، ج ١، ص ٣٠١ - ٣٠٢

(٣) البسوي: المعرفة والتاريخ، م ١ ص ١١٨ ، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٤٧

ودابق: قرية قرب حلب، كان ينزل بها الأمويون إذا غزوا الصائفة ، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤١٦ ، البغدادي: مراصد، ج ٢، ص ٥٠٣

أن الخلافة بعد السفاح من حقه حيث عهد له بها أيام خرج لقتال الخليفة مروان بن محمد في الزاب ، وقد شهد له بذلك العهد عدد من القادة والأمراء الذين بايعوه بالخلافة^(١).

ولقي ابن علي في خروجه تأييد أهل الشام الذين دعوا له على منابر الشام^(٢)، كما أيدته عدد من بقايا أصحاب مروان^(٣)، والجنود الخراسانية الذين كانوا معه^(٤)، فاجتمع معه كثير من المؤيدين^(٥).

وكان رد المنصور سريعاً إذ أرسل قائده أبا مسلم لحرب ابن علي وولاه الشام^(٦)، بعد أن فشلت محاولة قتله من قبل مبعوث المنصور^(٧).

وأما ابن علي فقد نظم أموره فجعل أخاه عبد الصمد ولياً لعهد^(٨)، ومنصور ابن جعونه صاحباً لشرطته^(٩)، ثم سار في مدن الشام فسيطر على حرّان بعد حصار شديد ثم تابع سيره فاستولى على معظم الشام^(١٠)، ثم أقدم على مغامرة كبيرة بقتل جنود خراسان الذين كانوا معه^(١١) بعد أن رأى منهم ميلاً مع أبي مسلم الخراساني^(١٢).

-
- (١) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص٤٧٤، الأزدي: تاريخ الموصل، ص١٦٢
 - (٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م٢، ص٣٦٥، ابن أعثم: الفتوح، ج٨، ص٢١٥، المقدسي: البدء والتاريخ، ج٦، ص٧٧، الذهبي: تاريخ الإسلام، حوادث (١٤١-١٦٠هـ)، ص١٩٦
 - (٣) ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص٥٥
 - (٤) الدينوري: الأخبار الطوال، ص٢٧٨، الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص٤٧٥، الأزدي: تاريخ الموصل، ص١٧٨، ابن حمدون: التذكرة، مخطوط، و ١٨٩
 - (٥) الثعالبي: تحفة الوزراء، ص١٠٧
 - (٦) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٣٤، المقدسي: البدء والتاريخ، ج٦، ص٧٧
 - (٧) الأزدي: تاريخ الموصل، ص١٦٤
 - (٨) البلاذري: أنساب الأشراف، ق٣، ص١٠١، البغدادي: تاريخ بغداد، م١١، ص٢٨
 - (٩) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م١٧، ص٢١٤
 - (١٠) خليفة: تاريخ خليفة، ص٤٤٣، الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص٤٧٠.
 - (١١) البسوي: المعرفة والتاريخ، م١، ص١١٨، ابن قتيبة: الإمامة، ج٢، ص١٣٤، البلاذري: أنساب الأشراف، ق٣، ص١٠٩، ابن خلدون: العبر، م٣، ص٢٨٥
 - (١٢) الدينوري: الأخبار الطوال، ص٣٧٩

وبعد قتلهم ذهب ابن علي إلى نصيبين وحسن نفسه فيها بعد سماعه بهزيمة أخيه عبد الصمد أمام قوات أبي مسلم بالموصل^(١)، وهذا الأمر أعاق تقدم أبي مسلم فعمد إلى حيلة أبعد من خلالها الجيش الشامي عن نصيبين، فأعلن أن الخليفة ولاء الشام وأنه ذاهب لتوليها وأنه لا يريد القتال، فخاف جند الشام على بلادهم وأطفالهم ونسائهم وقرروا الانسحاب من الجيش والرجوع إلى بلادهم للمحافظة عليها رغم محاولات ابن علي إقناعهم أن أبا مسلم لا يريد الشام وأن هدفه قتالهم^(٢).

ونتيجة لذلك نجح أبو مسلم في دخول نصيبين بعد أن حاصرها أربعة أشهر فاستسلمت المدينة لقوات أبي مسلم^(٣)، وهرب ابن علي في الليل متخفياً إلى البصرة حيث اختبأ عند أخيه سليمان بن علي^(٤).

وبعد هزيمة ابن علي حاولت بعض العناصر المؤيدة لابن علي أن تدافع فالتقت مع قوات صالح بن علي الذي قدم من مصر لمسانده أبي مسلم، فهزمت في الواقعة القوات المؤيدة لعبدالله في اللجون^(٥).

ورغم أن الفشل كان نتيجة الحركة، فإنها كانت من أخطر الحركات التي واجهت الدولة العباسية، لأنها أتت من قبل رجل كان له دور كبير في قيام الدولة العباسية وهو عبدالله بن علي - أحد أفراد البيت العباسي - فمثلت من هذا الجانب انقساماً كبيراً داخل الأسرة العباسية^(٦)، والسبب الآخر في خطورة الحركة جاء من المكان الذي حدثت فيه وهو الشام، وأفرادها وهم أهل الشام.

(١) الجهشيري: الوزراء والكتاب، ص ١٠٣، الذهبي: تاريخ الإسلام، حوادث (١٢١-١٤٠)، ص ٣٥٤، ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٢٤٩

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٢، ص ١٠٧، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٧٦-٤٧٧، المقدسي: البدء والتاريخ، ج ٦، ص ٧٧-٧٨، مجهول: العيون والحدائق، ج ٣، ص ٢١٨

(٣) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ١٣٩، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ٢٩١.

(٤) البسوي: المعرفة والتاريخ، م ١، ص ١١٩، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٣٦٦، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٧٨، الصولي: أشعار أولاد الخلفاء، ص ٢٩٨.

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٨، ص ٢٧٤ - ٢٧٥
و اللجون: بلد بالأردن وقريب من طبرية، ياقوت: المشترك، ص ٣٧٩، ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٣٥، وتقع شمال غرب جنين، عبد القادر: أسماء المواقع، ص ١٦٤

(٦) عمر: العباسيون الأوائل، ص ٨٧

كما أن الشام لم يكن قد مر وقت طويل لتنسجم مع الدولة الجديدة، كما أن ولاءها للامويين لم يكن قد انتزع لذلك هبوا في هذه الثورة لمساندة ابن علي ليس حباً في شخصه، لأن سياسته في أول الدولة معهم لم تكن في صالحهم.

والأمر الذي دفعهم لتأييده كان تحقيق مصالحهم الخاصة، وهي زيادة الإنقسام بين أفراد البيت العباسي مما يؤدي إلى ضعف الدولة وبالتالي سهولة القضاء عليها^(١)، وكان هذا الهدف هو ما سعوا لتحقيقه منذ قيام الدولة سواء عن طريقهم من خلال حركاتهم، أو عن طريق غيرهم كهذه الحركة.

وإذا كان أبو مسلم قد أدرك ولاء أهل الشام لبلادهم بحيث خول له هذا الأمر القيام بحيله لإبعادهم، فإن عبدالله وبحكم صلته الوثيقة بهم كان عليه أن يدرك خطورة الإعتماد عليهم، وهذا ما حصل في نصيبين حيث هب أهل الشام للدفاع عن بلادهم وأموالهم وذراريهم بعد إعلان أبي مسلم زحفه للشام فتراجعوا، لأن حب الشام كان في قلوبهم^(٢).

٢- حركة محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي (١٤٥هـ / ٧٦٢م)

اعتبر آل علي أن بني العباس انتزعوا الأمر منهم لمصلحتهم بعد إعلان ثورتهم، فانتظروا يتحينون الفرصة لتحقيق تلك الأطماع، وكان محمد بن عبدالله (قتل سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م) الأكثر حماساً لذلك، فأعلن خروجه على المنصور بالمدينة المنورة مع أخيه إبراهيم^(٣).

(١) الدوري: العصر العباسي الأول، ص ٥٧، علي: دراسات في التاريخ العباسي، ص ٧، العاني: سياسة المنصور أبي جعفر، ص ١١٧ - ١١٨، صكبان: تاريخ الدولة العباسية، ص ٤٨، عمر: العباسيون الأوائل، ص ٢٩، بيضون: الشام والدعوة العباسية، مؤتمر بلاد الشام الخامس، ص ٢٨

(٢) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٧٦-٤٧٧، عمر: طبيعة الدعوة العباسية، ص ٢٣٩، عمر: العباسيون الأوائل، ص ١٢٩، عمر: "ثورة نصر بن شبث العقيلي"، ص ٦٠٣

(٣) ابن عساکر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٦، ص ٢١٠ - ٢١٢، سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب، ص ٢٠٥

وابراهيم بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي، قتل سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م

انظر: السدوسي: حذف من نسب قريش، ص ١٢، ١٦، الزبيري: نسب قريش، ص ٥٢، ٢٢٧، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٥٣٢، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٤١، ٨٢

وخشية من تزايد نفوذ محمد وامتداد هذه الحركة إلى الشام - التي كانت تؤيد أي حركة ضد العباسيين^(١) - فقد عزل المنصور واليه على المدينة محمد بن خالد القسري، وعين بدلاً منه أحد رجالات الشام من قيس وهو رياح المري^(٢).

والأسباب التي دفعت المنصور إلى تولية رياح هو معرفته بعداء رياح للعلويين، فلن يدخر جهداً في محاربة محمد، وإضافة لذلك فإن رياح حتى هذه اللحظة لم يكن معروفاً وأنه من خلال هذا المركز سيسعى إلى تحقيق مجد شخصي له^(٣)، كذلك هدف المنصور من توليته مواجهة محمد القسري الذي كان أحد سادات اليمن والذي عجز عن مقاومة محمد^(٤)، والسبب الثاني غير صحيح لأن رياح كان معروفاً فهو كان قبل هذا أميراً على دمشق من قبل صالح بن علي^(٥).

وعلى أي حال فإن رياحاً أدرك خطورة أمر محمد، فأخبر المنصور أن أهل الشام سيستجيبون لمحمد إذا دعاهم رغم ميلهم لبني أمية^(٦)، ما دام أن حركته موجهة ضد العباسيين.

وأما محمد نفسه فقد كان متردداً بشأن وقوف أهل الشام معه في حركته إذا أرسل دعائهم إليهم، لكنه عاد وغير رأيه بناءً على طلب محمد بن خالد منه إرسال دعائهم^(٧)، مما يؤكد وقوف محمد بن خالد القسري مع محمد بن عبدالله وأن المنصور عين رياح حتى يواجهه.

(١) ماجد: العصر العباسي، ص ٨٣

(٢) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٥٢٢، ابن حمدون: التذكرة، مخطوط، و ٩٠ ب

(٣) عمر: تاريخ العراق، ص ٧٠

(٤) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٥٢٢

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٦، ص ٣١٠

(٦) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٥٤٢، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٧

(٧) البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق المحمدي، ج ٣، ص ٩٥

فبعث محمد بن عبدالله أخاه موسى ليدعوه في الشام، فوصل دومة الجندل^(١) ثم ذهب منها إلى البصرة، لأنه وكما يذكر ابن عساكر لم يلق في دمشق أي استجابة^(٢).

ويورد الطبري الأسباب التي دعت أهل الشام إلى عدم الاستجابة لمحمد بن عبدالله في ما جاء على لسان موسى - مبعوث محمد إلى الشام - الذي أخبره قائلاً: "إني أخبرك أنني لقيت الشام وأهله، فكان أحسنهم قولاً الذي قال: والله لقد مللنا البلاء وضيقنا به ذرعاً حتى ما فينا لهذا الأمر موضع ولا لنا به حاجة"^(٣) وهكذا لم يتمكن العمال الذين بعثهم محمد بن عبدالله إلى الشام من تكوين قاعدة وأعوان له^(٤).

ولا يعنى عدم وقوف أهل الشام مع محمد أنهم كانوا ضده، فأهل الشام كانوا يودون أن يزداد الصراع في الدولة فيؤدي ذلك إلى إضعافها، وكل ما في الأمر أنهم لم يريدوا أن يزجوا بأنفسهم في مغامرة نتائجها غير معروفة، خاصة وأن المنصور كان يسيطر على أمور الدولة، وتجربتهم مع عبدالله بن علي أبلغ دليل على ذلك.

وإذا كان من رأي أن أهل الشام لم يقفوا مع محمد لأنه من آل علي الأعداء للأمويين، فإن هذا في هذا الوضع كان غير حاصل. لأن أهل الشام وقفوا قبل ذلك مع عبدالله بن علي وهو من البيت العباسي، حيث أن العباسيين كانوا وراء إسقاط الدولة الأموية في الشام.

٣- الصراع بين الأمين والمأمون (١٩٤ - ١٩٨هـ / ٨٠٩ - ٨١٣م)

يبرز الدور الشامي في الصراع بين الأمين والمأمون بعد سنة ١٩٤هـ / ٨٠٩م، عندما خلع الأمين من الحكم وبويع المأمون الذي كان يقوم بأمره القائد طاهر بن الحسين الذي ثبت مركز المأمون بهزيمته لعدد كبير من قادة الأمين^(٥).

(١) دومة الجندل: من عمل دمشق بين الشام والمدينة، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٧، ص ٢٨٢ - ٢٨٣، وهي حصن قرب جبله، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٨٧.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٧، ص ٢٨٢ - ٢٨٣.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٥٧٢.

(٤) الياقعي: مرآة الجنان، ج ١، ص ٣١٩.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٤٢٤، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ١٥١.

وقد ارتبط الموقف الشامي في هذا الصراع بأحد أبناء البيت العباسي وهو عبد الملك بن صالح الذي أعاد له الأمين مكانته التي فقدتها في خلافة هارون الرشيد^(١)، فعرض عبد الملك على الأمين أن يبعث به إلى الشام ليجمع أتباعاً يناصرونه منهم، كما قال عبد الملك " لهم خبرة في الحرب ويتمتعون بالصبر وهم مطيعون له"، فاستجاب الأمين لطلبة وولاه الشام والجزيرة^(٢)، كما أمده بالمال والرجال^(٣).

وكان أهل الشام عند حسن ظن عبد الملك الذي بعث يطلبهم لتأييد الأمين، فلم يبق أحد ممن يرجى ويذكر بأسه وغناؤه إلا وبسط له في أمره وأمنيته فقدموا عليه رئيساً بعد رئيس وجماعة بعد جماعة^(٤)، أي أيده أصحاب المال والجاه والرؤساء والأفراد من أهل الشام.

وأثناء اجتماع الجيوش وقعت فتنة بسبب دابة أخذت لأحد جنود خراسان ووجدت عند أهل الشام فاقتتل الفريقان، ووقف عبد الملك إلى جانب جنود الشام^(٥).

وهنا خرج أهل حمص عن الطاعة ورفضوا القتال تحت راية العباسيين السوداء وقال أحدهم: " الموت أهون من الذل"، وزاد في الاضطراب ما فعله أحد رجالات كلب الذي قام في أهل الشام وذكرهم بأفعال العباسيين فيهم ودعاهم للرجوع والمحافظة على بلادهم^(٦).

وقد أدت هذه الأمور إلى الإنقسام، فانسحب عدد كبير من أهل الشام إلى

(١) عبد الملك بن صالح بن علي بن عبدالله (ت ١٩٦هـ / ٨١١م) كان في حبس الرشيد فأخرجه الأمين وولاه الجزيرة وقنسرين والعواصم والثغور وأعاد أمواله، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢م، ص ٢٢٤، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ١١٧، الأزدى: تاريخ الموصل، ص ٢٠٦، النديم: الفهرست، ص ١١٩، الجهشياري: الوزراء، ص ٢٦٣ - ٢٦٤، ابن مساك: تاريخ دمشق، مخطوط، ١٠م، ص ٤٦٣ - ٤٦٤، مجهول: تاريخ الدولة العباسية، مخطوط، و ٣٤ ب، ابن النجار، أبو عبدالله محمد (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م): ذيل تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت، م ١٥، ص ٧، الذهبي: سير، ج٩، ص ٢٢٢، وسيشار إليه هكذا: ابن النجار: ذيل تاريخ بغداد

(٢) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ٤٢٥

(٣) ابن خلدون: العبر، م ٢ق ٢، ص ٥٠٢

(٤) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ٤٢٥

(٥) ابن خلدون: العبر، م ٢ق ٢، ص ٥٠٢

(٦) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ٤٢٦ - ٤٢٧، ابن كثير: البداية، ج ١، ص ٢٣٦

بلادهم^(١)، وزاد الإنقسام وفاة عبد الملك بن صالح، مما أدى إلى اضطراب الأمور مع الأمين، فصار الناس حزبين : الأول يؤيد الأمين، والآخر يؤيد المأمون، والفريقان لم يجدا من يقودهما^(٢).

وقد منح هذا الوضع المأمون أفضلية كبيرة حيث أحكم سيطرته على الأمر وتفرغ للحركات التي ثارت ضده في معظم أنحاء الدولة وبشكل خاص في الشام والجزيرة.

وإذا كان أهل الشام قد استجابوا لعبد الملك فإن ذلك كان بدافع حبهم له لسياسته معهم، وأما تأييدهم للأمين فقد كان نكايَةً بالمأمون الذي اتبع سياسة اعتمدت على تقريب الفرس وإبعاد العرب^(٣).

وقد أراد أهل الشام من اشتراكهم إنتهاز أي فرصة لإستعادة مجدهم زمن الأمويين، وقد مثل هذا الشعارات التي رفعها أهل حمص والرجل الكلبى الذين رفضوا القتال مع الخراسانية الذين احتلوا مكانتهم في الدولة.

وبرجوع أهل الشام للمحافظة على بلادهم فإنهم اتخذوا نفس الموقف الذي كانوا قد اتخذوه في حركة عبدالله بن علي، وكان على الأمين أن يتعظ من تجربته ابن علي مع أهل الشام فيدرك خطورة الإعتماد عليهم خاصة وأنه من العباسيين^(٤).

٤- الصراع بين المعتصم وابن المأمون (٢٢٣هـ / ٨٣٧م)

بعد أن تولى المعتصم الخلافة أعلن جند الشام تأييدهم للعباس بن المأمون، ونادوا بخلافته في طرطوس^(٥).

(١) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ٤٢٧

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢م، ص ٤٣٩ - ٤٤٠

(٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ٦٥٢، بيطار: الحياة السياسية، ص ٧٤ ، القره غولي، جهادية: العقلية العربية في التنظيمات الإدارية والعسكرية في العراق في العصر العباسي الأول، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦، ص ٨٨

(٤) عمر: تاريخ العراق، ص ١١١، عمر: "ثورة نصر بن شبيب العقيلي"، ص ٦٠٣

(٥) ابن حمدون: التذكرة، مخطوط، و ٧٧ أ ، ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص ٦٨ ، ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٠٤

وطرطوس: بلد بالشام مشرفة على البحر قرب عكا ، ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ٣٠ ، البغدادي: مراصد، ج٢، ص ٨٨٤

وأثناء مسيرة المعتصم لحرب الروم مرّ في حلب، فأراد جند الشام قتله لكنهم أجّلوا ذلك بناء على طلب من العباس نفسه الذي كان حريصاً على كسب المعركة مع الروم، فأحس العباس أن القيام بذلك العمل قد يؤدي للفتنة فيشتت جهود المسلمين في حرب الروم لذلك نصّحهم بعدم قتل المعتصم^(١).

والعباس بهذا أعطى مثلاً للروح التي كانت سائدة في ذلك الوقت بين المسلمين بالإتفاق على مواجهة الخطر الخارجي مهما بلغت الخلافات فيما بينهم.

وعلى أية حال فإن المعتصم لما علم بإتفاق الجند مع العباس قبض عليهم، ودبر مكيده للعباس الذي كان يأكل بشراهة فوضع له أكلاً كثيراً، ومنع عنه الماء فأدى ذلك إلى موته في منبج^(٢).

ومن خلال ذلك فإن معارضة الجند الشامي للمعتصم كانت بسبب المكانة التي منحها للجنود الأتراك، الذين تمتعوا في خلافته بكافة الإمتيازات التي دفعتهم للتحكم بأمور الدولة، وهذا الأمر أغضب العرب الذين فقدوا مكانتهم، فرأوا في الوقوف مع العباس أملاً في التخلص من سيطرة الأتراك.

(١) ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص ٦٨، ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٠٤

(٢) ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص ٦٩

الفصل الرابع

**الوضع الاجتماعي في بلاد الشام
في العصر العباسي الأول**

الفصل الرابع

الوضع الاجتماعي في بلاد الشام في العصر العباسي الأول

أ- المجتمع الشامي في العصر العباسي

(١) فئات المجتمع الشامي

(٢) عناصر سكان الشام

* العرب

* الفرس

* الأتراك

ب- العلاقات بين العباسيين وأهل الشام

(١) المجتمع الشامي ومعارضة العباسيين

(٢) معاملة العباسيين لأهل الشام

ج- وضع أهل الذمة في الشام

د- وضع القبائل في بلاد الشام

هـ- علماء الشام وعلاقتهم بالعباسيين

١- أشهر علماء الشام في العصر العباسي الأول

٢- الشام وقضية خلق القرآن

و- الشعر والوضع الاجتماعي

(١) تأثير الشعر في الأوضاع الشامية

(٢) أبرز شعراء الشام في العصر العباسي الأول

أ- المجتمع الشامي في العصر العباسي

(١) فئات المجتمع الشامي

من الصعب تكوين فكرة واضحة عن فئات المجتمع الشامي في العصر العباسي الأول، وذلك لعدة أسباب: أهمها أن المصادر التاريخية ركزت في عرضها للأحداث على الناحية السياسية، ولم تبحث الأوضاع الاجتماعية بحثاً وافياً، كما أن هذه المصادر عرضت للأحداث الخاصة بالفئة العليا في الدولة المكونة من الأمراء والخلفاء وكبار الموظفين الإداريين، وأهملت فئات الشعب الأخرى^(١)، وبالإضافة لذلك فإن مؤرخي هذا العصر ركزوا في كتابتهم على العراق مركز الخلافة العباسية، ووجهوا القليل من إهتمامهم لبلاد الشام لانتقال الحكم منها.

والملاحظ العامة للوضع الاجتماعي في ذلك العصر تدل على أن المجتمع كان يتكون من فئتين: فئة الخاصة، وفئة العامة، وكان الفرق كبيراً بين هاتين الفئتين^(٢)، فالخاصة كانت تضم الخلفاء والأمراء وأعوانهم من القادة والوزراء وأصحاب الأموال، وبعض ما يحيط بهم من العلماء ورجال الدين والشعراء، وقد غلب على هذه الفئة - والتي انحصرت معظمها في بغداد - الإهتمام بالترف والغنى المادي والنفوذ^(٣). وفي الشام تمثلت هذه الفئة في الولاة وأعوانهم فحصلوا على كثير من الأموال والإقطاعات نتيجة المصادرات العباسية لأموال أهل الشام.

وأما فئة العامة، والتي لم تنل الإهتمام الكافي سواء من الخلفاء أو الأمراء أو حتى من قبل المؤرخين^(٤)، فقد تشكلت من فئتين أيضاً: فئة ضمت الصناع والجنود وصغار التجار والفلاحين، وهذه الفئة كانت تجد ما تسيّر به أوضاعها وحياتها،

(١) قدورة: الشعوبية وأثرها الاجتماعي ص ١٧٦.

(٢) بيطار: الحياة السياسية، ص ٣٤٩.

(٣) بيطار: الحياة السياسية، ص ٣٥٠.

(٤) قدورة: الشعوبية وأثرها الاجتماعي، ص ١٧٦.

والفئة الأخرى تشكلت من العبيد والخدم واللصوص، وهذه الفئة غلب عليها الفقر والبؤس وسوء الحالة الاقتصادية.

وقد شكل الفلاحون نسبة كبيرة من المجتمع الشامي، فالقبائل العربية التي انتشرت في مناطق الشام اتجهت للزراعة بعد أن أعطيت الأراضي من قبل الدولة، وبعد أن استقرت هذه القبائل في الشام بدأ إهتمامها بالزراعة يأخذ شكلاً واضحاً^(١)، فنجد عدداً كبيراً من القرى تمارس الزراعة في منطقة الغوطة، فتحدث ابن عساكر عن هذه القرى أثناء وصفه لفتنة أبي الهيثام بالشام سنة ١٧٦هـ/ ٧٩١م مثل داريا وبيت لهيا وجسرين ودومة^(٢)، وبالرغم من ذلك فإن قسماً كبيراً من هؤلاء الفلاحين ظلوا تحت رحمة الأمراء والأشراف والقادة الذين كانوا يمتلكون قرى بأكملها^(٣)، فكانت أحوالهم الاقتصادية ليست جيدة وكانوا يتعرضون للظلم فبرز دورهم في عصر المعتصم عندما ثاروا مع المبرقع سنة ٢٢٧هـ/ ٨٤١م^(٤)، من أجل التخلص من أوضاعهم السيئة^(٥).

(١) الدوري، عبد العزيز: «العرب والأرض في بلاد الشام»، المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٤، ص ٢٧، ٣١، وسيشار لبحوث المؤتمر الأخرى هكذا: مؤتمر تاريخ بلاد الشام الثاني.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٨، ص ٨٠-٨٠٣، ٨٠٧. وداريا: قرية كبيرة في غوطة دمشق، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٣١، البغدادي: مراصد، ج ٢، ص ٥٠٩، وتبعد عن دمشق حوالي ٨ كم، ابن المبرد: رسائل دمشقية، ص ٢٥ «هامش».

وبيت لهيا: قرية شهيرة بغوطة دمشق، كان والد ابراهيم عليه السلام ينحت بها الأصنام، ياقوت: معجم، ج ١، ص ٥٢٢، وهي الآن ساحة العباسيين وما يحيط بها، العلبي، أكرم: خطط دمشق، دار الضياع، دمشق، ١٩٨٩، ص ٤٣٥.

وجسرين: من قرى غوطة دمشق، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٤٠.

ودومة: من قرى غوطة دمشق، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٨٦.

(٣) الدوري: «العرب والأرض في بلاد الشام»، ص ٣٠.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٩، ص ١١٦، مجهول: العيون والحدائق، ج ٣، ص ٤٠٨.

(٥) حمارنه: «ثورة الفلاحين أيام المعتصم»، مجلة أوراق، عدد ٤، ص ١٢، الدوري: «العرب والأرض في الشام»، ص ٣٢، عاقل: «فلسطين من الفتح العربي إلى أوائل القرن ١٠هـ»، ص ٢٨٠.

وأما اللصوص والذين أطلق عليهم المؤرخون أسماء مثل: المتلصصة^(١)، والدعار^(٢)، وأهل العبت^(٣)، والزواقل^(٤)، فقد تباينت أحوالهم، وكانوا يعتمدون في حياتهم على ما يحصلون عليه نتيجة إشتراكهم في الحركات التي كانت تقوم ضد الدولة، أو ما ينهبونه أثناء فترة الإضطرابات في الدولة.

وقد برزت فئة الزواقل في بلاد الشام في العصر العباسي الأول عند حديث المؤرخين عن الحركات، وهذه الفئة كانت محرومة من العطاء وفقيرة، وبسبب ذلك لجأت إلى النهب والسرقة فنعتوا باللصوص وقطاع الطرق^(٥). وقد تعرض كثير من هؤلاء للقتل على أيدي العباسيين بعد فتنة أبي الهيثم (١٧٦هـ/٧٩١م)^(٦)، وبعد حضور جعفر بن يحيى البرمكي^(٧) إلى الشام للإصلاح بين قبائل الشام (١٨٠هـ/٧٩٥م)^(٨) نتيجة لقيامهم بأعمال النهب والتخريب مستغلين الاضطراب الذي نتج عن العصبية بين قبائل الشام. وأما اشتراكهم في الحركات ضد الدولة، فقد لعبوا دوراً كبيراً في حركة نصر بن شبث العقيلي الذي خرج على العباسيين في منطقة الجزيرة^(٩)، وكانوا أعواناً له في ثورته على أمل تحسين أوضاعهم الاقتصادية^(١٠).

- (١) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٦٢.
- (٢) ابن مساك: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٦، ص ٢٢٩.
- (٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٩٧، القلمي: تهذيب الرياسة، ص ٣٢١.
- (٤) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٦٢، ابن عساکر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٨، ص ٧٩٧.
- (٥) عمر: «الجند الأموي والجيش العباسي»، مجلة أفاق عربية، عدد ٢، ص ٣٤.
- (٦) ابن مساك: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٨، ص ٧٩٧.
- (٧) جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك (ت ١٨٧هـ/٨٠٢م).
- انظر: خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٠٨، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٢٨٩، الجهشيار: الوزراء، ص ٢٠٨، الذهبي: سير، ج ٩، ص ٦١، ٧١، ابن كثير: البداية، ج ١٠، ص ٢٠١-٢٠٥.
- (٨) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٦٢.
- (٩) ابن أعمش: الفتوح، ج ٨، ص ٢١٣، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ١٥١، ١٧١.
- (١٠) مصطفى: دولة بني العباس، ص ٧٢٤، عمر: «الجند الأموي والجيش العباسي»، أفاق عربية، عدد ٢، ص ٣٤، حمادي: «ثورة نصر بن شبث»، المؤرخ العربي، عدد ١٨، ص ٢٧٣، عمر: «ثورة نصر بن شبث»، ص ٦٠٣-٦٠٤.

وعلى هذا فإن بروز هذه الفئة في الوضع السياسي في بلاد الشام كان ابتداءً من عصر الرشيد.

(٢) عناصر سكان الشام

العرب

سكنت بلاد الشام مجموعات من العرب يعود قدومها إلى أوائل الألف الأول ق.م، وحتى ظهور الإسلام فقد ازداد عدد العرب الذين دخلوا الجهات الشمالية الغربية والجنوبية الغربية من بادية الشام، فسكنت قبائل غسان في دمشق وحران، وسكنت قضاة في البلقاء، وتنوخ في قنسرين وحلب، ولخم وجذام في جنوب الأردن وفلسطين، وكلب في تدمر، وفي الجزيرة الفراتية سكنت تغلب وربيعة^(١). وفي العصر الراشدي قدمت قبائل جديدة وأصبحت الهجرة أكبر، وغلبت القبائل القيسية واليمانية على مناطق الشام حيث توزعت ابتداءً من العصر الأموي في أجناد الشام^(٢).

ولأن الأمويين اتخذوا الشام مركزاً لدولتهم، فقد نال العرب فيها كل الإهتمام والإمتيازات، فكانت دولة الأمويين «دولة عربية»^(٣)، وهذا ما لمسناه من الرسالة التي وجهها عبد الحميد الكاتب -كاتب الخليفة مروان- إلى أهل الشام حاثاً إياهم على الصبر في مواجهة العباسيين فقال: «فلا تمكنوا ناصية الدولة العربية من يد الفئة العجمية وأثبتوا ...»^(٤).

(١) الدوري: «العرب الأرض في الشام»، ص ٢٥.

(٢) بيطار: الحياة السياسية، ص ٢٤٧، الدوري: «العرب والأرض في الشام»، ص ٢٦-٢٧.

(٣) ابن حزم الاندلسي، علي بن احمد (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م): رسالة في أسماء الخلفاء وذكر مددهم، ص ١٤٥، ضمن رسائل ابن حزم، ج٢ تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ١٩٨١، وسيشار إليه هكذا: ابن حزم: رسالة في أسماء الخلفاء.

(٤) عبد الحميد بن يحيى الكاتب (ت ١٣٢هـ/ ٧٥٠م): رسالة إلى فرق العرب، ص ٢٢١، ضمن رسائل البلقاء، تصنيف محمد كرد علي.

وبالرغم من أن كثيراً من العرب ساند العباسيين في ثورتهم، وكان له دور فيها كالنقباء ونظرائهم وكبار الدعاة وبعض الدعاة^(١)، وأن القبائل اليمانية في الشام مهدت الطريق للعباسيين لدخول الشام^(٢)، فإن حب الأمويين لم ينتزع من قلوب أهل الشام فظلوا على ولائهم لهم، وقد تمثل هذا الولاء بحركة السفيناني التي دعت إلى توحيد القبائل الشامية وإحياء دولة الأمويين^(٣)، كما تمثل في الحركات التي قام بها عرب الشام ضد العباسيين.

والولاء للحكم العربي كان يشتد كلما أحس العرب بتقديم الأعاجم عليهم^(٤)، فكان شعار حركة نصر بن شبث (١٩٨هـ/٨١٢م) هو الدفاع عن العرب ضد سيطرة الأعاجم^(٥)، وأهل الشام وقفوا مع الأمين ضد أخيه المأمون -أثناء الصراع بينهما- لأن المأمون كان ميلاً للفرس بعيداً عن العرب^(٦).

ودخول العنصر الفارسي في العصر العباسي لم يكن لينهي دور العرب لأن الخلفاء العباسيين كانوا عرباً^(٧)، ولأن اللغة السائدة ظلت هي العربية، والذي حصل أن الإمتيازات التي كانت للعرب في الدولة الأموية قلت^(٨).

-
- (١) مؤلف من القرن ٢هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ٢٢١-٢٢٣.
 - (٢) اليعقوبي: البلدان، ص ٣٢٦، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ١٣٥.
 - (٣) بيضون: «الشام والدعوة العباسية»، ص ٢٣.
 - (٤) جوزي: «حنين العرب لبني أمية»، المقتطف، م ٧٨، ج ٦، ص ٦٧٨.
 - (٥) ابن أعمش: الفتوح، ج ٨، ص ٣١٢-٣١٤، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٣٣٤، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ١٧٦، ابن طيفور: كتاب بغداد، ص ٧٧-٧٩.
 - (٦) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٤٢٥، ٦٥٢، الدوري: العصر العباسي، ص ١٦٩، حمادي: «ثورة نصر بن شبث»، ص ٢٧١.
 - (٧) مصطفى: دولة بني العباس، ص ١٦٦، قدورة: الشعبية وأثرها الاجتماعي، ص ٨٣.
 - (٨) مصطفى: دولة بني العباس، ص ١٦٧، عمر: «ثورة نصر بن شبث»، ص ٦٠٢.

الفرس

قام الفرس بدور كبير في إنجاح الثورة العباسية^(١)، رغم الاختلاف بين المؤرخين المحدثين حول أهمية الدور الذي قام به العرب والفرس في إنجاح الثورة^(٢).

وبعد نجاح الثورة العباسية التي قادها أبو مسلم إزداد عدد الفرس في الدولة العباسية، وخاصة في الجيش العباسي^(٣)، كما أنهم قللوا من دور العرب فشاركوهم في إدارة الدولة^(٤). بل وتفوقوا عليهم، فأدى ذلك إلى تحكمهم بالأمور مما دفع ابن حزم إلى القول أن دولة العباسيين كانت دولة أعجمية^(٥).

ورغم ازدياد نفوذ الفرس، إلا أنهم في أول الدولة كانوا تحت رقابة العباسيين ، فقام عبدالله بن علي بقتل الجنود الخراسانيين في حركته ضد المنصور ليتخلص من غدرهم بعد أن مالوا إلى أبي مسلم^(٦)، كما قام المنصور بقتل أبي مسلم الخراساني ليقضي على أطماعه في الدولة^(٧).

وبعد عصر الرشيد ازداد النفوذ الفارسي فكان أكثر أعوان المأمون منهم ، وهذا أدى إلى تحجيم دور العرب، فردوا على هذا بالحركات التي قاموا بها في كافة

(١) بيضون: محاضرات في التاريخ السياسي للدولة العربية، ص ٢١، Haunting: The First Dynasty of Islam, P 112.

(٢) انظر: بيضون: محاضرات في التاريخ السياسي، ص ٢١ ، قدورة: الشعبية وأثرها الاجتماعي، ص ٢٠١ ، بيطار : الحياة السياسية، ص ٤٩ ، مصطفى: دولة بني العباس، ص ٨٧٥، Hawting: The First Dynasty of Islam, p 112.

(٣) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ١٢٢، بيطار: الحياة السياسية، ص ٣٤٩.

(٤) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٣٣، بيطار: الحياة السياسية، ص ٥٣ ، الجبوري، عبدالله: الأوزاعي «حياته وعصره» دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٩٨٠ ، عمر: «ثورة نصر بن شبيب»، ص ٦٠٢.

(٥) ابن حزم: رسالة في أسماء الخلفاء، ص ١٤٦، ضمن رسائل ابن حزم.

(٦) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ١٣٤ ، البسوي: المعرفة والتاريخ، م ١، ص ١١٨ ، البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٣، ص ١٠٩ ، الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٧٩.

(٧) الزبير بن بكار: الأخبار الموفقيات، ص ١٣٩.

أنحاء الشام^(١)، وكان أبرز هذه الحركات -وكما أشرنا- حركة نصر بن شبيب التي عبرت عن التذمر العربي من ازدياد سلطة الفرس^(٢)، كما عبّر عرب الشام عن تذمرهم بسؤال أحدهم إلى المأمون أن يهتم بهم كما يهتم بأهل خراسان^(٣).

الأتراك

دخل الأتراك الحياة العباسية منذ أول الدولة، فاتخذ المنصور حماداً التركي، كما كان مبارك وتوليا التركي من كبار معاوني الخليفين المهدي والرشيد^(٤).

ومع الوقت بدأ عدد الأتراك يزداد في الدولة، وابتداءً من مطلع القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي بدأ نفوذهم يتعاظم، فأكثر المأمون من جلبهم وقلدهم مقاليد كثيرة في الدولة. وفي عصر المعتصم ازداد عددهم بشكل كبير، فاعتمد المعتصم عليهم في الجيش وإدارة الدولة^(٥)، فتحكموا بالأمور فضج الناس منهم مما دفع المعتصم إلى بناء سامراء لتكون مقراً لهم.

والعرب في الشام عانوا من تصرفات الأتراك بحقهم سواءً في الخراج أو المعاملة فقتلوا عمال الخراج عليهم من الأتراك^(٦)، كما ثاروا مع المبرقع (٢٢٧هـ/ ٨٤١م)^(٧)، إحتجاجاً على غطرستهم وتصرفاتهم البذيئة مع أهل الشام^(٨). وقد أدت السلطة المتزايدة للأتراك في الشام إلى توحيد أهل الشام ضدهم فخرج المبرقع وابن بيهس في فلسطين ودمشق في وقت واحد^(٩)، تعبيراً عن عدم رضاهم منهم.

- (١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٤٥١-٤٥٢، اليعقوبي: مشكلة الناس لزمانهم، ص ٢٩، Kennedy: The Early Abbasid Caliphate, P 101.
- (٢) الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٢٢٤، عاقل: «الدعوة العباسية»، ص ٦٧، حمادي: «ثورة نصر بن شبيب»، ص ٢٧٢، ٢٨٢.
- (٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٦٥٢.
- (٤) العسكري: الأوائل، ص ٢٩٠.
- (٥) ابن الأثير: الكامل، ج ٧، ص ١٩١، دلو: مساهمة في إعادة كتابة التاريخ الاسلامي، ص ١٨١.
- (٦) ابن الأثير: الكامل، ج ٧، ص ١٩١.
- (٧) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٩، ص ١١٦، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط ١٩، ص ٣٠.
- (٨) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٩، ص ١١٦، الجبوري: الأوزاعي، ص ٢٩٧، حسن: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٧٨، الخضري: تاريخ الدولة العباسية، ص ٢٤١، جودة: مدينة الرملة، ص ٥٥، التكريتي: «ثورات بلاد الشام»، مجلة المورد، م ٤، عدد ١، ص ١٩.
- (٩) مجهول: العيون والحداثق، ج ٢، ص ٤٠٨، ماجد: العصر العباسي الأول، ص ٤٣١.

ب- العلاقات بين العباسيين وأهل الشام

(١) المجتمع الشامي ومعارضة العباسيين

ارتبطت النظرة العباسية لأهل الشام بالعلاقة التي ربطت بين بلاد الشام والأمويين ، حيث اتخذ خلفاء بني أمية الشام مركزاً لحكمهم ودمشق عاصمة لدولتهم.

فالشام التي كانت مركز تأييد لبني أمية طيلة العصر الأموي^(١)، لم يكن من السهل على أهلها رؤية سقوط الأمويين أمام العباسيين، فعارضوهم منذ بداية الدولة.

والمعارضة للعباسيين تمثلت في عدة أشكال كان منها: الحركات التي قام بها أهل الشام ضد العباسيين طوال العصر العباسي الأول، وما تبع ذلك من تأثير على النواحي الاجتماعية والاقتصادية فيه.

وتمثلت حركة المعارضة أيضاً في فكرة السفيناني التي انتشرت بين أهل الشام، والتي كان العامل الاجتماعي المتمثل في إعادة حقوق الفئة المقهورة التي تعرضت للظلم من العباسيين، وإقامة العدل من أهم العوامل في الإعتقاد بهذه الفكرة لدى أهل الشام^(٢)، والذين انتشرت الفكرة بينهم فعلقوا آمالهم على رجل من أفراد الأسرة الأموية من آل أبي سفيان سيعود ويخلصهم من الظلم العباسي ويرجع حقوقهم^(٣). وقد عبرت هذه الحركة عن نفسها في بعض الحركات التي كان السفيناني قائدها كحركة أبي محمد السفيناني وأبي العميطر والمبرقع، والذين أظهروا الوفاء للأمويين فجر ذلك عليهم وعلى أعوانهم العقاب من العباسيين الذين قتلوا عدداً كبيراً منهم^(٤).

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص ٢٤٠ ، ابن طباطبائي: الفخري في الآداب، ص ١١٩.

(٢) جوزي: «السفيناني»، ص ٤٩-٥٠.

(٣) عمر: طبيعة الدعوة العباسية، ص ٢١٨ ، عمر: بحوث في التاريخ العباسي، ص ٢٥٧ ، كاهن: تاريخ العرب والشعوب، ص ٥٨ ، حتي: مختصر تاريخ لبنان، ص ١٢٤ ، الخوري: تاريخ حمص، ص ٢، ص ٢٢٥.

(٤) كرد علي: الإسلام والحضارة، ج ٢، ص ٤٢٤ ، غنيم: دور العباسيين في طلب الخلافة، ص ١٢٧، وانظر ص ٦١-٧٠.

وظهرت حركة المعارضة للعباسيين في العصر العباسي الأول في الأفكار التي دعت إليها حركة النابطة^(١)، والتي نشطت خلال القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) والتي دعت لبني أمية وأعربت عن تدميرها من تزايد سلطة الأتراك على حساب العرب^(٢)، فرفضت اتهام الأمويين وإدانتهم^(٣)، وقد استعملت أفكار هذه الحركة في حركة المبرقع في فلسطين (٢٢٧هـ/٨٤١م)، واستمر نشاطها بعد ذلك فكانت ردة فعل للمظاهر الاجتماعية والسياسية والفكرية المعاصرة في ذلك الوقت^(٤).

وإذا كانت حركة السفيناني قد عبرت عن الولاء لبني أمية عملياً من خلال الحركات التي قامت ضد العباسيين في بلاد الشام، فإن حركة النابطة عبرت عن ذلك الولاء من خلال الأفكار التي طرحتها هذه الحركة في العراق أو في الشام.

وأخيراً فإن حركة المعارضة للعباسيين وسياستهم ظهرت في الشعور الذي كان يغلب على أهل الشام^(٥)، مما دفع منصور بن جعونة العامري الي تشبيه دخول العباسيين الشام بالطاعون^(٦)، أو ما كان من سؤال الرجل الشامي للمأمون أن ينظر إلى أهل الشام كما ينظر لغيرهم من العجم^(٧).

ولأجل ذلك فإن العباسيين تعاملوا مع أهل الشام عامة والأمويين فيها بشكل خاص بنوع من الحذر، وهذا لم يمنع من الإتصال الكبير بين العباسيين وأهل الشام على صعيد الخلفاء والأمراء أو الأفراد فربطت بينهم علاقات متعددة.

(١) النابطة: هي الجيل الجديد، والفئة التي اتخذت في المجتمع شكل المعارضة السياسية والفكرية للعباسيين أواخر القرن ٢ هـ وبداية القرن ٣ هـ، عمر: العباسيون الأوائل، ص ١٥٧، عمر: الخليفة المجاهد هارون الرشيد، ص ٥٥.

(٢) حمارنه: «مواقع ومدن في جنوب الشام في العصر العباسي»، ص ١٩.

(٣) عمر: الخليفة المجاهد هارون الرشيد، ص ٥٥.

(٤) حمارنه: «ثورة الفلاحين أيام المعتصم»، ص ١٥، حمارنه: «مواقع ومدن في جنوب الشام في العصر العباسي»، ص ١٩.

(٥) حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ١٦٤.

(٦) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٤، ص ٣، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٣١٣.

(٧) ابن مليفور: كتاب بغداد، ص ١٤٤-١٤٥، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٦٥٢.

فنرى ابن المقفع يوجه رسالة إلى الخليفة المنصور^(١) يحذره فيها من أهل الشام ويبين له أنهم أشد الناس عداوة، ويطلب منه أن يختص جماعة منهم ممن عرفوا بالصلاح والوفاء والنصيحة، وأن يعاملهم بالعدل فينظم أمور ديوانهم فلا يفضل أحداً على أحد فيه، وأن يأمر لكل جند من أجنادهم بقدر من العطاء، وأنه بهذه الأمور يتجنب الخليفة خروجهم وعصيانهم، ويأمن جانبهم.

وغير ابن المقفع فإن الجاحظ كان من ألد أعداء الأمويين وأشد الكتاب تقرباً للعباسيين، فوجه رسالات شهرراً فيها بالأمويين وخلفائهم، وبالمقابل أسبغ المديح للعباسيين، ومن هذه الرسائل رسالة "العباسية"، ورسالة "فضل هاشم على عبد شمس"، ورسالته في "النبأية".

فتحدث في رسالته -فضل هاشم على عبد شمس- عن ظلم الأمويين وقتلهم بني هاشم^(٢)، كما تحدث عن هدمهم الكعبة وتحويلهم القبلة وتغييرهم أوقات الصلاة^(٣)، وتناولت رسالته أيضاً كيفية انتزاع بني العباس الملك من الأمويين وهزيمتهم^(٤)، ثم قارن في رسالته بين صفات بني هاشم وبني أمية، فأشار إلى فخر بني هاشم بالحكمة والقول وصواب الرأي، كما تحدث عن الفقه والعلم والمعرفة بالتنزيل واللسان السديد والخطب الحادة، وذكر علي بن أبي طالب وعبدالله بن عباس وتميزهما بذلك^(٥)، وأشار الجاحظ إلى شجاعة عبدالله بن علي وأخيه صالح، وكيف أزالا ملك بني أمية، كما عرض لشجاعة المعتصم وفتوحاته^(٦)، وقارن الجاحظ بين أخلاق بني العباس وبني أمية، فذكر أن لا أحد قبل الإمام علي بن أبي طالب في

(١) ابن المقفع: رسالة في الصحابة ضمن رسائل البلغاء، ص ١٢٧-١٢٨، نص الرسالة الكامل، انظر: ابن المقفع: رسائل البلغاء، ص ١١٧-١٣٤.

(٢) الجاحظ: رسالة فضل هاشم على عبد شمس، ص ٤٢١-٤٢٢، ضمن رسائل الجاحظ السياسية، تقديم علي أبو ملح، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٧، وسيشار للرسالة هكذا: الجاحظ: رسالة فضل هاشم على عبد شمس، نص الرسالة الكامل، انظر: ص ٤٠٧-٤٦٠.

(٣) الجاحظ: رسالة فضل هاشم على عبد شمس، ص ٤٢٤.

(٤) الجاحظ: رسالة فضل هاشم على عبد شمس، ص ٤٢٥.

(٥) الجاحظ: رسالة فضل هاشم على عبد شمس، ص ٤٢٧-٤٢٨.

(٦) الجاحظ: رسالة فضل هاشم على عبد شمس، ص ٤٥٠.

الأخلاق، وأشار إلى أخلاق المهدي والأمين والمؤمن، وأما خلفاء بني أمية، فأشار إلى أن هشاماً كان شرس الأخلاق، وأن مروان بن محمد ويزيد الناقص كانا عابسين^(١). وقال الجاحظ أن ملوك بني هاشم أجل وأعظم، فسخر من ملك يزيد إذا قورن بملك هارون، وملك الوليد بن يزيد إذا قورن بالمعتصم^(٢).

وأما رسالته التي أطلق عليها اسم «النابئة» أو «العثمانية»، فقد وضعها الجاحظ للرد على حركة النابئة التي ظهرت في بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي كما نقض فيها حججهم وأفكارهم^(٣)، وقد ربط الجاحظ بين هذه الحركة وحركة الرافضة^(٤)، مشهوراً بأفكار هذه الحركة ومدافعاً عن بني العباس وسياستهم في إدارة الدولة.

(٢) معاملة العباسيين لأهل الشام

اتصل أهل الشام بالعباسيين، وظهر عدد كبير منهم في بلاط الخلفاء من العلماء والشعراء وغيرهم، وقد نال كثير منهم مكانة مميزة من قبل العباسيين وتمتعوا بوضع اجتماعي جيد، وعلى ذلك فإنه لا يمكن إعتبار الفترة التي أعقبت الدخول العباسي إلى الشام وما رافقها من أحداث وتصرفات مقياساً لمعاملة العباسيين لأهل الشام طيلة العصر العباسي الأول.

ففي الوقت الذي وجدنا فيه الخليفة السفاح يضرب رجلاً لأنه ذكر الخليفة مروان بن محمد بكلام حسن^(٥)، نجد أن المنصور يثني على وفاء رجل مدح الخليفة

(١) الجاحظ: رسالة فضل هاشم على عبد شمس، ص ٤٥٩.

(٢) الجاحظ: رسالة فضل هاشم على عبد شمس، ص ٤٢٠.

(٣) الجاحظ: رسالة «العثمانية»، ص ٣٨، ضمن رسائل الجاحظ السياسية، تقديم علي أبو ملح، وانظر: ص ١٢٧-٢٢٨.

(٤) عمر: الخليفة المجاهد هارون الرشيد، ص ٥٥، حمارنه: «ثورة الفلاحين أيام المعتصم»، مجلة أوراق، عدد ٤، ص ١٥.

(٥) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م): التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٤، ص ١٠٦-١٠٨، وسيشار إليه هكذا: الجاحظ: التاج.

هشام بن عبد الملك عنده^(١)، كما أن المنصور نفسه كان معجباً بحزم وسياسة الخليفة مروان بن محمد^(٢). وأما المهدي فقد أكرم زوجة مروان بن محمد ورتب لها إقطاعاً وجناحاً خاصاً في قصره^(٣)، كما أنه كان يحدث ابنه عبدالله عن هربه إلى الحبشة بعد دخول العباسيين إلى الشام^(٤)، وكان إلى جانب ذلك يصف الخليفة الأموي الوليد ابن يزيد «بالتاھر المصلي»^(٥).

ولا يعني إعجاب العباسيين ببني أمية أنهم كانوا يحبونهم، فعداؤهم لهم ظل على حاله، فقال المنصور لعبد الصمد بن علي -أحد أفراد البيت العباسي- عندما طلب منه أن يلطف بهم: «إنهم قوم محاربون لنا ... وأن هيبة العباسيين لا تتم في قلوب الأمويين إلا باستعمال العقوبة ونسيان العفو»^(٦).

وكان المهدي يحب سماع هزيمة الأمويين في الزاب (١٣٢هـ/٧٤٩م)^(٧)، كما كان يقتل أي رجل يمدحهم أمامه^(٨).

وأما الرشيد فكان يقول فيهم: «إنهم أشد الناس بغضاً لهم وسعيّاً في فساد ملكهم»^(٩)، وكان يقول أيضاً: «أبى بنو أمية إلا أن يسبقونا إلى اللذات سبقاً لا يجاريهم فيه أحد»^(١٠).

- (١) الجاحظ: التاج، ص ١١١، الأبيشيبي: المستطرف، ج ١، ص ٢٠٤.
- (٢) مجهول: تاريخ الخلفاء والسلطين، مخطوط، و١١٧، الذهبي: سير، ج ٦، ص ٧٦.
- (٣) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ١٧١-١٧٢، الماقي، علي بن محمد (ت ٦٠٥هـ/١٤٥٥م): الحقائق الغناء في أخبار النساء، تحقيق عائدة الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس، د. ت، ج ٩، ص ١٧٥-١٧٦، وسيشار إليه هكذا: الماقي: الحقائق.
- (٤) القزويني: آثار البلاد، ص ٢٥.
- (٥) النويري: نهاية الأداب، ج ٢١، ص ٤٨٥-٤٨٦.
- (٦) الذهبي: سير، ج ٧، ص ٨٥، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢١٤.
- (٧) الجهشياري: الوزراء، ص ١٥١.
- (٨) الصابي: الهفوات النادرة، ص ٢٨١-٢٨٢.
- (٩) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢١٤.
- (١٠) البكري: معجم ما استعجم، ج ٢، ص ٦٠٣.

وبالرغم من اتفاق العباسيين على عداة الأمويين، إلا أن الأمر نفسه لم يكن بالنسبة لأهل الشام حيث اختلفت سياسة الخلفاء معهم.

فأبو العباس السفاح كان يُسبُّ أهل الشام عنده ولا ينصرهم^(١)، والمنصور كان يعتمد ذكر مساوئ بني أمية عند شيوخ أهل الشام^(٢) حتى يستفزههم، إلا أن المنصور أحسن لأهل الشام الذين قدموا إليه معتردين عن خروجهم مع عبدالله بن علي عن طاعته^(٣)، وقد أراد المنصور من ذلك كسب أهل الشام إلى جانبه خاصة وأنه كان مهتماً بالسيطرة على أوضاع الدولة. وأما الرشيد فقد أحسن لأهل الشام، فأكرم عدداً كبيراً منهم قدموا إليه^(٤)، كما وجد في بلاطه من مدحه فأكرمه^(٥)، فأمن لهم وهذا ما دفعه إلى اتخاذ الرقة منزلاً له ولأعوانه.

وكما الرشيد فإن معاملة ولاته لأهل الشام كانت جيدة، فأحب الناس في الشام عبد الملك بن صالح الذي ولاه الرشيد الشام^(٦)، وهذا دفعهم إلى الاستجابة لطلبه بمساندة الأمين في صراعه مع المأمون^(٧).

وابتعد المأمون عن أهل الشام واعتمد على العجم من الفرس والأتراك^(٨) لأن أهل الشام ساندوا الأمين، ولأنهم سببوا له متاعب كثيرة بحركاتهم ضده في معظم مناطق بلاد الشام.

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٢، ص ١٥٨.

(٢) الصابي: الهفوات النادرة، ص ٢٤-٢٥.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٢، ص ١١٠.

(٤) التنوخي، أبو علي الحسن (ت ٢٨٤هـ / ٩٩٤م): الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨، ج ٢، ص ٢٤-٤٢، وسيشار إليه هكذا: التنوخي: الفرج بعد الشدة، ابن حجة الحموي: ثمرات الأوراق، ج ٢، ص ١٥٨-١٦٤.

(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٣، ص ٢٢٨، الجهنياري: الوزراء، ص ١٨٧-١٨٨.

(٦) ابن النجار: ذيل تاريخ بغداد، م ١٥، ص ٤٩، ٧٠.

(٧) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ١٥٠-١٥١.

(٨) القره غولي: العقلية العربية في العصر العباسي، ص ٨١.

جـ- وضع أهل الذمة في الشام

تباينت أوضاع أهل الذمة في بلاد الشام في العصر العباسي الأول، وهذا التباين ارتبط بظروف الدولة الجديدة، ثم بسياسة خلفاء هذا العصر، فكانوا في أحيان يتعرضون للظلم والمضايقة من قبل العباسيين، وفي أحيان أخرى ينالون كامل حقوقهم، ويعيشون في جو يغلب عليه التسامح الديني.

وفي فترة الدخول العباسي إلى بلاد الشام وجد عدد كبير من أهل الذمة كان مؤيداً للعباسيين، معارضاً لسياسة مروان بن محمد ونهبه القرى والمدن^(١)، والتي كان من إحداها ما وقع منه من سلب لأموال كنيسة النصارى في القدس^(٢).

وبعد دخول العباسيين الشام فقد تعرض أهل الذمة مثلهم مثل غيرهم من المجتمع الشامي إلى مضايقات كثيرة من العباسيين، فقتل أبو مسلم الخراساني عدداً كبيراً من اليهود والنصارى في بلاد الشام وخاصة في فلسطين^(٣). كما أن الخليفة أبا العباس السفاح قام بإجراءات مشددة بحق النصارى، فأعاد الضرائب التي كان يدفعها الرهبان والتي كانت قد ألغيت عنهم، وكان هذا سنة ١٣٤هـ/٧٥١م^(٤)، كما أن أبا العباس ألغى الإمتيازات التي كانت قد منحت للنصارى في جبل لبنان وردهم إلى مجرد أهل ذمة^(٥)، وأما اليهود فقد تعرض عدد كبير منهم للقتل بأمر من أبي العباس السفاح^(٦).

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، م ٢٨، ت ١٨٦.

(٢) Schick: "Christianity In The Patriarchate of Jerusalem The Early Abbasid Period", P 3.

(٣) المقدسي: البدء والتاريخ، ج ٦، ص ٩٣.

(٤) يحيى: «مصدران بيزنطيان من تاريخ الشام في العصر العباسي»، مؤتمر بلاد الشام الخامس، ص ١٠، نقلاً عن حولية ثيوفانيس (ت ٢٠٢هـ/٨١٨م)، تحقيق Carlus deBoor، ص ٤٤٦.

(٥) الخازن: مظاهر الحضارة اللبنانية في الدولة العباسية، ص ٢٧.

(٦) الخازن: مظاهر الحضارة اللبنانية، ص ٢٨، مكي: لبنان من الفتح العربي إلى العثماني، ص ٦١.

وكانت ردة فعل النصارى على هذه الإجراءات بحقم أنهم قاموا بالخروج عن طاعة العباسيين في منطقة لبنان سنة ١٣٥هـ/٧٥٢م بزعامة رجل منهم يدعى الياس، لكن العباسيين قضوا على حركته وقتلوه^(١).

وهذه الحركة كانت سبباً في مزيد من الإجراءات التي اتخذت بحق النصارى في بلاد الشام، فأصدر صالح بن علي قراراً بعدم إظهار المسيحيين لعلامة الصليب، وعدم دخولهم مع المسلمين في مناقشات دينية، وأن لا تقام كنائس جديدة في بلاد الشام^(٢).

وكان عهد المنصور كعهد أخيه أبي العباس فتعرض أهل الذمة للظلم ففرضت عليهم ضرائب كثيرة وخاصة في لبنان، وهذا دفعهم للخروج عن طاعة العباسيين في بلدة المنيطرة ١٤٢هـ/٧٥٩م حيث هاجموا عمال الخراج، مما يوحي أن العامل الاقتصادي كان وراء خروجهم^(٣). وكما حركة الياس فإن العباسيين سيطروا على هذه الحركة وانتقموا من أهل لبنان فأصدر صالح بن علي قراراً بطرد أهل الذمة من جبل لبنان جميعاً رغم عدم اشتراك بعضهم في العصيان، وهذا الإجراء وقع فيه ظلم كبير مما دفع الإمام الأوزاعي -إمام أهل الشام- إلى الاحتجاج وأنه لا يجوز معاقبة الذين لم يشتركوا في الحركة ضد العباسيين^(٤).

وكان رد المنصور على حركتهم أن اتخذ إجراءات عدة بحق أهل الذمة، فأصدر قراراً بمنع أهل الذمة من الكتابة إلى العمال وأن من فعل ذلك قطع يده^(٥)، كما أنه أمر أن يضعوا وشماً على أيديهم^(٦)، تمييزاً لهم عن المسلمين. وفي جانب آخر فإن

(١) كرد علي: خطط الشام، ج ١، ص ١٥١.

(٢) يحيى: «مصدران بيزنطيان عن تاريخ الشام في العصر العباسي»، ص ١٠-١١، نقلاً عن حولية ثيوفانيس، ص ٤٣.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٦٦-١٦٧، ابن مسافر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٦، ص ٣١١، مكي، محمد علي: لبنان من الفتح العربي إلى العثماني، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٧٧، ص ٦٦.

(٤) ابن سلام: الأموال، ج ٢، ص ١٩٩-٢٠٠، البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٦٦-١٦٧.

(٥) الجهشيارى: الوزراء، ص ١٣٤.

(٦) يحيى: «مصدران بيزنطيان عن تاريخ الشام في العصر العباسي»، ص ١٠، نقلاً عن حولية ثيوفانيس، ص ٤٣، ٤٤٦.

سياسة المنصور مع أهل الذمة قامت على التسامح، فقد زاد أعطياتهم في ساحل لبنان بناءً على طلب من الأوزاعي^(١)، كما أنه كان يعيد حقوق من يتعرض للظلم منهم من قبل العباسيين وولاتهم وعمالهم^(٢).

وهذا يدل على أن سياسة المنصور كانت تقوم على معاقبة من يقوم بالحركات ضد العباسيين، ورفع الظلم عن من يتعرضون لمضايقة العباسيين.

وأما الخليفة المهدي فقد اتخذ إجراءات بحق أهل الذمة في الشام، فأجبر التنوخيين من نصارى قنسرين على اعتناق الإسلام، وكان يقتل من يرجع منهم عن إسلامه^(٣)، وهذا الإجراء دفع النصارى إلى الإعتداء على القوافل كرد على ذلك القرار، لكن المهدي عاقبهم بهدم كنائسهم في حمص وقنسرين^(٤).

وبالرغم من أن الرشيد أحرق عدداً من قرى النصارى قرب بيروت في ١٧٣هـ/ ٧٨٩م، إلا أن هذا الإجراء كان رداً على قطعهم الطريق وإعتدائهم على القوافل^(٥)، إذ أن سياسة الرشيد مع أهل الذمة قامت على التسامح فكان عماله يحسنون إليهم ويهتمون بهم^(٦). والرشيد نفسه أمر كاتبه وقاضيه أبا يوسف أن يبين أوضاع أهل الذمة في كتابه "الخراج"، فأوصى جامعي الجزية منهم أن لا يظلموهم ولا يؤذوهم ولا يأخذوا الأموال منهم إلا بحقها^(٧)، كما أمر بمخالفتهم المسلمين في لباسهم وركوبهم، وأن لا يظهروا الصليب، وأن لا يبيعوا الخمر والخنزير^(٨). وفي سنة ١٩١هـ/ ٨٠٦م

(١) ابن أبي حاتم الرازي: الجرح والتعديل، ج ٢، ص ١٩٤.

(٢) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج ١، ص ٢١٠-٢١١، ابن زيد الحنبلي: محاسن المساعي، ص ٤٣.

(٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٣٩٨-٣٩٩، حتي: تاريخ سورية ولبنان، ص ٩٩.

(٤) يحيى: «مصدران بيزنطيان عن تاريخ الشام في العصر العباسي»، ص ١١، نقلاً عن حولية ثيوفانيس، ص ٤٣.

(٥) الشدياق: أخبار الاعيان، ج ٢، ص ٤٩٦، التدمري: تاريخ طرابلس، ص ١٨٢.

(٦) ابن سلام: الاموال، ج ٢، ص ٢٠٠-٢٠١.

(٧) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ/ ٧٩٨م): كتاب الخراج، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ط ٤، ١٩٧٢، ص ٨١، ١٢١، ١٣٥، وسيشار إليه هكذا: أبو يوسف: الخراج.

(٨) أبو يوسف: الخراج، ص ٩٧.

اتخذ الرشيد قراراً بحق النصارى إذ أمر بهدم كنائسهم في الثغور^(١)، وكان هذا الإجراء رداً على تواطئ منهم مع البيزنطيين مما دفعه لاتخاذ ذلك القرار.

وفي فترة الصراع بين الأمين والمؤمن تعرض النصارى في فلسطين وكل أنحاء الشام للظلم من قبل عمال الخراج، وهذا أدى بهم للهرب إلى قبرص، لكن عبد الملك ابن صالح الذي كان يتولى الشام شاور الفقهاء في أمرهم ورفع الظلم عنهم^(٢).

وفي عهد المؤمن أيضاً شرد عدد كبير من النصارى من حلب وقنسرين رداً على ما قاموا به من محاولاتهم إخراج أهلها منها - رغم معاملتهم الحسنة لهم-، وقد سكن عدد من هؤلاء في مناطق لبنان^(٣).

وأما الخليفة الواثق فقد عومل النصارى في عهده معاملة حسنة، فأسقط ما أمر به بعض العمال على الجراجمة في أنطاكية بعد أن اشتكوا إليه ظلم أولئك العمال^(٤).

د- وضع القبائل في الشام

كان لسياسة خلفاء بني أمية مع القبائل والتي تحيزوا فيها إلى جانب وتعصبوا فيها على الجانب الآخر أثر كبير في سقوط دولتهم، وتسيير الأمور لدخول العباسيين بلاد الشام.

(١) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٣٢٤.

والثغور: كل موضع قريب من أرض العدو يسمى ثغراً، وهي في مواضع كثيرة، منها ثغر الشام ويشمل بلاد كثيرة منها المصيصة وطرطوس، وكان المسلمون يغزون وراءها، ياقوت المشترك، ص ٨٧، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٧٩-٨٠، البغدادي: مرصداً، ج ١، ص ٢٩٧.

(٢) الحميري: الروض المعطار، ص ٤٥٣-٤٥٤، يحيى: «مصدران بيزنطيان عن الشام»، ص ١١.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥٠-١٥١، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٠٦.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٦٦.

الجراجمة: جماعة من مدينة تعرف بالجرجومة، قدموا لما استولى الروم على الشام، ولما فتح المسلمون الشام تفرقوا وأرادوا اللحاق بالروم ثم صالحوا المسلمين على أن يكونوا عيوناً لهم مقابل عدم أخذ الجزية، استعان بهم المسلمون زمن الأمويين والعباسيين وحاربوا في صفوفهم فأعطوهم، البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٦٣-١٦٤، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٢٣، حمارنة: «المسيحية في أرض الشام أوائل الحكم الإسلامي»، مؤتمر بلاد الشام الثاني، ص ٥٥٣.

وأنطاكية: قصبة العواصم من الثغور الشامية، بلد عظيم أراد الرشيد المقام بها ثم تركها، ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٦٦-٢٧٠.

فأدى تقريب آخر خلفائهم - مروان بن محمد - القيسية إلى ابتعاد اليمانية عنه^(١) وعدم مساندته في حربه مع العباسيين^(٢)، بل إنهم سهلوا للعباسيين دخول الشام، ففتحوا أبواب دمشق للعباسيين^(٣)، منهيين فترة المقاومة التي أبدتها المدينة في وجه العباسيين.

ومع انتقال مركز الحكم إلى العراق، فإن خلفاء بني العباس وولاتهم على الشام ركزوا في إدارتها على القبائل فمالوا في أول عهدهم إلى القبائل اليمانية وقربوها، ويرجع قيامهم بذلك إلى عدة أمور، أولها أن تقريبهم لهم كان مكافأة على موقفهم معهم سواء أثناء الدعوة في خراسان، أو في حرب مروان في الزاب، أو أثناء الدخول العباسي للشام وبالتحديد في حصار دمشق. والأمر الثاني أنهم أرادوا من ذلك استمالهم إلى جانبهم في تصديهم للحركات القيسية التي قامت ضد العباسيين في أول الدولة، كحركة أبي الورد وإسحاق بن مسلم وحبیب المري^(٤)، أو على الأقل تحييدهم فلا يساندوا تلك الحركات، وبالإضافة لذلك فإن العباسيين بسياستهم هذه فرقوا بين أهل الشام، واستغلوا ذلك في تثبيت مركزهم واستقرار سلطتهم وإحكام سيطرتهم على هذا الجزء من الدولة^(٥).

وعلى الرغم من أن الخليفة المنصور قد أظهر ميله لأهل اليمن من قوله لابنه المهدي يوصيه: «أي بني إني أعرف بالناس منك، وأطول تجربة فعليك بأهل اليمن والإقبال عليهم»^(٦)، فإن سياسته مع القبائل أراد منها تحقيق الأمن في البلاد، فكان يضرب القبائل ببعضها، «فإذا فسدت عليه مضر ضربها باليمن، وإذا فسدت اليمن

(١) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٣٢١.

(٢) ابن قتيبة: الإمامة، ج ٢، ص ١١٧، ١٢٥، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٥٤.

(٣) ابن أعمش: الفتوح، ج ٨، ص ١٨٦، الأزدي: الموصل، ص ١٣٥، الصابي: الهفوات النادرة، ص ١٠٧، ابن كثير: البداية، ج ١٠، ص ٤٤-٤٥، بيطار: الحياة السياسية، ص ٥٠.

Kennedy: The Early Abbasid Caliphate, P 48.

(٤) بيطار: الحياة السياسية، ص ٥١، علي: تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي، ص ٢٥.

(٥) عمر: الخليفة هارون الرشيد، ص ٥٤.

(٦) الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٢٢٢.

ضربها بمضر»، وفعل الأمر نفسه مع الجنود في جيشه فصيرهم أحزاباً كل حزب يضرب الآخر^(١). كما أن سياسة المنصور مع ولاته كانت تقوم على قصر مدتهم، فلا يبقوهم في الولاية مدة طويلة^(٢)، وهذا أراحه من إستفراد الولاة في أجناد الشام وميلهم إلى جانب دون آخر لاتخاذ الأعوان له.

وقد أدت هذه السياسة إلى ضمان الإستقرار في البلاد، إلا ما كان من بعض تصرفات الولاة في منطقة الجزيرة الذين مالوا للقبائل القيسية وتعصبوا ضد اليمانية^(٣).

وشهدت بلاد الشام في عهد الرشيد في الفترة بين (١٧٥-١٨٧هـ/ ٧٩١-٨٠٢م) صراعاً كبيراً بين القبائل القيسية واليمانية، وكان لولاة الشام -الذين تحيزوا لأحد الجانبين- الأثر الأكبر في ازدياد الصراع^(٤). ولم تكن سياسة الولاة تتم بمعزل عن السلطة العليا في الدولة التي رأت في هذه الصراعات فرصة للتخلص من أموان الأمويين^(٥)، كما أنها تضعف أهل الشام عن مقاومة العباسيين بسبب الفرقة بين القبائل^(٦)، لكن الرشيد جدّ في القضاء على هذه الفتنة بعد أن لمس تهديدها للأمن في الدولة^(٧)، وكان بحاجة لهذا الأمن حتى يتفرغ لمحاربة البيزنطيين، وحتى يحافظ على قوة العرب مقابل ازدياد نفوذ البرامكة^(٨).

-
- (١) الطبري: تاريخ الدول، ج ٨، ص ٢٨-٢٩.
 - (٢) الكندي: الولاة والقضاة، ص ١٠٦، مجهول: تاريخ الدولة العباسية، مخطوط، و١٢ب سليمان: الدولة الإسلامية في العصر العباسي، ص ٨٨.
 - (٣) الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٢١٧، حمادي: الجزيرة والموصل، ص ٦٩٩-٧٠٠.
 - (٤) ابن عساکر: تاريخ دمشق، م ٨، ص ٧٩٧، ٨٠١، ٨٠٦، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٩٢.
 - (٥) طلس: تاريخ الأمة العربية، ص ٩٧.
 - (٦) علي: مختصر تاريخ العرب، ص ٢٢٦، سليمان، الدولة الإسلامية، ص ١٠٣.
 - (٧) الدوري: العصر العباسي الأول، ص ٤٨.
 - (٨) ماجد: العصر العباسي الأول، ص ٤٨.

لذلك فإن الرشيد كان يعزل الولاة الذين يساهمون في إشعال العصبية^(١)، كما كان يرسل قادته للإصلاح بين أهل الشام^(٢).

ولم تنجح مساعي الرشيد في القضاء على العصبية في الشام إلا بعد أن ولى دمشق لابن شكلة^(٣) الذي اتبع سياسة وازن من خلالها بين القبائل.

فكان يتدخل لحل الخلافات بينهم فيجتمع مع الطرفين ويقوم بإرضاء كل طرف منهما. كما أنه في المقابل شدد على الجند بحفظ الأمن في الشام^(٤)، وكان ابن شكلة يستقبل زعمائهم ويجلسهم بجانبه، عن الجانب الأيمن له قيسياً وعن الشمال يمانياً، وبعد اليماني قيسي وبعده يماني، وهكذا، فلم يلتصق بذلك قيسي بقيسي ولا يمانى بيماني^(٥)، وقد لقيت هذه السياسة رضى أهل دمشق عن ابن شكلة فأحبوه ولم يلقبوه، وكان أهل دمشق إذا مال الوالي إلى اليمانية لقبته اليمانية، وإذا مال للقيسية لقبته القيسية،^(٦) ونتيجة لذلك فقد عم الهدوء بلاد الشام طيلة ولاية ابن شكلة^(٧)، فلم يرد عن صراع بين قبائل الشام.

وفي فترة الصراع بين الأمين والمأمون ساندت قبائل الشام الأمين ثم انسحب

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م٢ص٤٤٧، م٨، ص٧٩٧م، ١٠، ص٣٢٨، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٩٢، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج١، ص٣٠٦.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص٢٥١، ٢٦٢-٢٦٤، الجهشيارى: الوزراء، ص٢٠٨، أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص١٥، الذهبي: سير، ج٩، ص٦١.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م٢، ص٥١٤، الذهبي: دول الإسلام، ج١، ص٩٨ و ابن شكلة: ابراهيم بن محمد المهدي (ت٢٢٤هـ/٨٢٨م).

انظر : الصولي: أشعار أولاد الخلفاء، ص١٧-٢٥، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م٢، ص٥١٧، ابن كثير : البداية، ج١٠، ص٣٠٢-٣٠٤.

(٤) كرد علي: خطط الشام، ج١، ص٦٨، فهد، بدرى : الخليفة المغني ابراهيم بن محمد، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٧، ص٤٢-٤٣، أبو دية: " العلاقات الإجتماعية في حالة قيس ويمن العصر العباسي"، ص ٦، خماش، نجت: " التنظيم الإداري في الشام"، مؤتمر تاريخ بلاد الشام الخامس، ص١٣.

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م٢، ص٥١٧.

(٦) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م٢، ص٥١٧.

(٧) فهد: الخلفية ابراهيم بن محمد، ص ٤٤.

قسم منها وهم الكلية الذين لم يستطيعوا الاندماج مع الجنود الخراسانيين فعادوا للشام للمحافظة عليها^(١)

والمأمون الذي اتخذ أعوانه من الفرس والأتراك لم يلتفت للقبائل فقد كان ساخطاً على أهل الشام عامة^(٢)، بسبب تأييدهم للأمين، ولأنهم خرجوا على دولته في معظم المناطق.

وكما المأمون فإن المعتصم قرّب الأتراك، فجلب هذا عليه سخط قبائل الشام التي اتحدت -قيسية ويمانية- مع بعضها وخرجت مع المبرقع وابن بيهس (٢٢٦-٢٢٧هـ/٨٤٠-٨٤١م) لمواجهة الخطر التركي^(٣)

هـ- علماء الشام وعلاقتهم بالعباسيين

أعتبر العصر العباسي الأول من أشهر العصور الإسلامية التي شهدت نهضة علمية فائقة في جميع العلوم، فضم بلاط الخلفاء وإدارات الدولة عدداً كبيراً من العلماء، وذلك بسبب تشجيع الخلفاء لهؤلاء العلماء وإكرامهم لهم.

وبلاد الشام التي كانت جزءاً من هذه النهضة العلمية، برز فيها عدد كبير من العلماء والفقهاء الذين تمتعوا بوضع اجتماعي جيد في الدولة، ونالوا بسبب كفاءتهم أرفع الأماكن في الدولة العباسية طوال هذا العصر.

(١)- أشهر علماء الشام في العصر العباسي الأول

ومن أشهر العلماء الشاميين الذين تميزوا في العصر العباسي الأول^(٤) يبرز:

(١) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص٤٢٥-٤٢٧، خماش: "التنظيم الإداري في الشام"، مؤتمر تاريخ بلاد الشام الخاص، ص١٣، عمر: "ثورة نصر بن شيبث العقيلي، ص٦٠٣.

(٢) ابن طيفور: كتاب بغداد، ص١٤٤-١٤٥، الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص٦٥٢.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج٣، ص٤٠٨، مجهول: العيون والحدائق، ج٣، ص٤٠٨، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م١٩، ص٣٠.

(٤) انظر: غوانمة: الحياة العلمية والثقافية، ص١٤، ١٧، ص٤١-٤٣.

- عبد الحميد بن يحيى الكاتب (ت ١٣٢هـ/٧٤٩م)

نشأ في الرقة، ثم انتقل إلى دمشق وأخذ الكتابة عن أستاذه سالم بن هشام^(١)، ثم تعلم فنون البلاغة وكتابة الرسائل ف قيل "أن الكتابة فتحت بعبد الحميد"^(٢)، ثم اتصل بالخليفة مروان بن محمد وأصبح يكتب رسائله ويدبر أموره^(٣). وقد وقف عبد الحميد الكاتب مع مروان بن محمد ضد العباسيين، فحث أهل الشام على الثبات في مواجهة العباسيين^(٤). ولم تنفع نداءات عبد الحميد فشهد انهزام الجيش الشامي أمام العباسيين^(٥)، وبعد المعركة ثبت عبد الحميد مع مروان بن محمد، ورفض عرض مروان له بالإنحياز إلى صف العباسيين وأطاعتهم، وأصر على مرافقة مروان فعرضه هذا للقتل على يد السفاح بعد أن أظهر وفاءً نادراً لمروان وبني أمية^(٦).

- عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (ت ١٥٧هـ/٧٧٣م).

الأوزاع بطن من همدان^(٧)، وهي قرية في دمشق^(٨)، نشأ فيها عبد الرحمن. ثم تحول عنها إلى بيروت^(٩)

- (١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، م. ٤٠، ص ٣٦.
- (٢) التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج ٢، ص ٢٤٠، ابن كثير: البداية، ج ١، ص ٥٥.
- (٣) القشيري: تاريخ الرقة، ج ٢، ص ٦١، ابن عساكر: تاريخ دمشق، م. ٤٠، ص ٤٨، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١، ص ٥٥، ابن رسته: الأملق النفيسة، ص ٢١٦.
- (٤) عبد الحميد الكاتب: رسالة إلى فرق العرب، ص ٢٢١، ضمن رسائل البلغاء، تصنيف محمد كرد علي.
- (٥) مجهول: تاريخ الخلفاء، مخطوط، و ٤٧٣.
- (٦) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ١، ص ٢٦-٢٧، المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٩٠، الجهشيارى: الوزراء، ص ٧٩، القلي: تهذيب الرياسة، ص ٣١٠-٣١١.
- (٧) ابن سعد: الطبقات، م ٧، ص ٤٨٨، الحازمي، محمد بن أبي عثمان (ت ٥٨٤هـ/١١٨١م): مجلة المبتدى وفضالة المنتهى في النسب، تحقيق عبد الله كنون، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٢٢، وسيشار إليه هكذا: الحازمي: مجلة المبتدى.
- (٨) البخاري، أبو عبد الله بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م): التاريخ الصغير، تحقيق محمود زايد، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦، م ٢، ص ١١٦، وسيشار إليه: البخاري: التاريخ الصغير، ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٨٠.
- (٩) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م. ١٠، ص ٦٦.

وقد عُدَّ الأوزاعي من أشهر علماء الشام في العصر العباسي الأول، إن لم يكن أشهرهم على الإطلاق، فكان كثير الحديث والعلم ثقة صادقاً^(١)، وهو من حفاظ القرآن^(٢)، ومن الزهاد المرابطين^(٣)، بالإضافة إلى براعته في الكتابة والرسائل^(٤)، فكان بهذا إماماً لأهل الشام في الدين والفقة^(٥)، وكان عندهم كما يذكر الحنبلي "أعزُّ من السلطان"^(٦).

وهذه المكانة أمدت الأوزاعي بشخصية قوية جعلته يصدع بالحق ويجاهر به رغم كل العثرات التي كانت تواجهه^(٧)، وظهر دوره في ذلك بموقفه من العباسيين فاستتر عند قدومهم عند واصل بن جميل -من أهل جبيل-^(٨) وكان ذلك بعد الدخول العباسي إلى الشام حيث اشترك الأوزاعي في حركة ابن سراقبة الأزدي في دمشق التي قامت ضد العباسيين^(٩) "وبرزت شجاعة الأوزاعي أيضاً في إجاباته لعبدالله ابن علي الذي استدعاه إلى دمشق وسأله عن دماء وأموال بني أمية، كما سأله عن الخلافة وعن خروج العباسيين"^(١٠) وهذه الإجابات لم تعجب عبد الله بن علي فأراد استمالاته بعرض منصب القضاء عليه فرفض^(١١) وهذا يدل على المكانة التي كان يحتلها الأوزاعي في بلاد الشام مما دفع عبد الله إلى محاولة استمالاته إلى جانبه.

- (١) ابن سعد: الطبقات، م٧، ص٤٨٨.
- (٢) البخاري: التاريخ الصغير، م٢، ص١١٦.
- (٣) السمعاني: الأنساب، ج١، ص١١٦.
- (٤) العامري: غربال الزمان، ص١٤٥.
- (٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م١٠، ص٦٦، الحازمي: عجالة المبتدئ، ص ٣٠.
- (٦) ابن زيد الحنبلي: محاسن المساعي، ص ٣٦.
- (٧) أمين: ضحى الإسلام، ج٢، ص ٩٨، الولي، طه: عبد الرحمن الأوزاعي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨، ص ٥٣.
- (٨) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج١، ص٢١٢، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م١٧، ص ٧٢.
- وجبيل: بلد في سواحل دمشق، شرق بيروت، ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص١٠٩.
- (٩) أبو زرعة: تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ج٢، ص ٧٢٤.
- (١٠) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج١، ص٢١١-٢١٢، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م١٠، ص ٣٧، ٩٦-٩٧، الذهبي: تاريخ الإسلام، حوادث (١٤١-١٦٠هـ)، ص ٤٩٥-٤٩٦، الذهبي: سير، ج٧، ص ١٢٤.
- (١١) ابن زيد الحنبلي: محاسن المساعي، ص ٣١، الجبوري: الأوزاعي، ص ٣٩.

وبرز دور الأوزاعي أيضاً بالمكانة التي حظي بها زمن المنصور، فكان ينصحه ويبين له أمور العدل بين الناس، ويوصيه بالتقوى والتواضع وكان لا يفارقه^(١) وكما عبد الله بن علي فإن المنصور كان يسأل الأوزاعي عن حكم أموال ودماء بني أمية فيجيبه كما أجاب عبد الله^(٢)

وكان الأوزاعي إلى جانب ذلك يحافظ على حقوق أهل الذمة في بلاد الشام ومعاملتهم بالحسنى والتسامح، وكثيراً ما راجع الخلفاء والولاة العباسيين من أجل إنصافهم.^(٣)

وقد ظل الأوزاعي معلماً من معالم النهضة العلمية في بلاد الشام في العصر العباسي حتى وفاته سنة ١٥٧هـ/٧٧٣م^(٤) فاجتمع للصلاة عليه ما لا يحصى عددهم، مما دفع عدداً كبيراً من أهل الذمة إلى إعلان إسلامهم^(٥) ودفن الأوزاعي في قرية حنتوش^(٦)

- يحيى بن حمزة بن واقد الدمشقي (ت ١٨٣هـ/٧٩٩م)

من علماء الشام في عصر المنصور، كان فقيهاً وإماماً أحبه أهل الشام، فعينه المنصور قاضياً على دمشق عند قدومه إليها سنة ١٥٤هـ/٧٧١م، أثناء زيارته للشام^(٧).

- عبد الرحمن بن ثابت الدمشقي (ت ١٦٥هـ/٧٨١م)

(١) ابن مساك: تاريخ دمشق. مخطوط. م. ١٠، ص ٩٧، الذهبي: سير، ج ٧، ص ١٢٥.

(٢) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج ١، ص ٢١٤.

(٣) ابن سلام: الأموال، ص ١٩٩-٢٠٠، البلاذري: فتوح البلدان، ص ٦٧، ابن زيد الحنبلي: محاسن المساعي، ص ٤٢، محمّد صبيح: الأوزاعي، دار العلم للملايين، بيروت، د. ت، ص ٧٢. الزرو: الحياة العلمية في الشام، ص ١١١.

(٤) البخاري: التاريخ الصغير، م ٢، ص ١١٦، السمعاني: الأنساب، ج ١، ص ٢٨٤.

(٥) ابن زيد الحنبلي: محاسن المساعي، ص ٨٩.

(٦) مجهول: تاريخ الدولة العباسية، مخطوط، و ١٧.

وحنتوش: قرية قديمة على شاطئ بيروت، أصبحت تعرف باسم الأوزاعي، الخازن: مظاهر الحضارة اللبنانية، ص ٦٠، مكّي: لبنان من الفتح العربي إلى العثماني، ص ٦٦.

(٧) الذهبي: سير، ج ٨، ص ٣٥٤-٣٥٥، خليفة: طبقات خليفة، ص ٨١٣.

كان عالماً في الحديث والفقه، فلقى إحترام وتقدير الخليفة المهدي رغم أنه كان يغفل له بالقول^(١)

- معاوية بن سلام الشامي (ت. ١٧٠هـ / ٧٨٦م)

من كبار المحدثين بالشام، وكان صاحب رأي وتدبير، فأحبه الخليفة المهدي وكان يقربه ويعتمد على رأيه وتدبيره^(٢)

- ابراهيم بن ذكوان الحراني

كان من أشهر الكتّاب في الدولة العباسية في عصري المهدي والهادي، قربه المهدي وجعله وزيراً له، ثم تمتع بمكانة كبيرة في عصر الرشيد الذي عاد وسخط عليه فحبسه وأخذ أمواله^(٣).

- محمد بن الحسن الشيباني (ت. ١٨٩هـ / ٨٠٤م)

من قرية حرستا، لقي مكانة كبيرة في عصر الرشيد فولّاه قضاء الرقة، ثم جعله قاضياً للقضاء بعد القاضي أبي يوسف صاحب كتاب "الخراج"، وظل في مكانه حتى وفاته^(٤).

- أبو مسهر الدمشقي (ت. ٢١٨هـ / ٨٣٣م)

ورث العلم عن أبيه، فأصبح عالماً بالأخبار والأيام^(٥)، ولد من عائلة اشتهرت بالعلم، كان أبوه من علماء الشام الذين قتلوا على يد العباسيين أثناء دخولهم دمشق

(١) الذهبي: سير، ج٧، ص٣١٤، ابن كثير: البداية، ج١، ص١٥١.

(٢) الذهبي: سير، ج٧، ص٣٩٧-٣٩٨.

(٣) الجهشيارى: الوزراء والكتاب، ص ١٧٨

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١، ص ٢١٠، حسن: تاريخ الدولة العباسية، ص ٢٧٧-٢٧٨، أبو خليل: هارون الرشيد، ص ١٠٧.

وحرستا: قرية كبيرة عامرة وسط بساتين دمشق على طريق حمص، ، ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص ٢٤٢، ياقوت: المشترك، ص ١٢٦، وهي إحدى ضواحي مدينة دمشق، ابن الجبر: رسائل دمشقية، ص ٢٧ (هامش).

(٥) السمعاني: الأنساب، ج٩، ص ١٤٩.

(١٢٢هـ/٧٤٩م)^(١) وقد عارض سياسة المأمون فاشترك مع أبي العميطر السفيناني الذي خرج على المأمون بدمشق سنة ١٩٥هـ/ ٨١٠ م، وتولى قضاء دمشق له^(٢)، ثم عارض المأمون فرفض القول بخلق القرآن فسجنه المأمون في بغداد وبقي في سجنه حتى مات^(٣)، وقد كان موقف أبي مسهر في هذه القضية من أهم الأحداث في حياته، إذ تعرض لمضايقات شديدة من العباسيين نتيجة موقفه من الرفض لرأي المأمون^(٤).

٢- الشام وقضية خلق القرآن

بعد أن استقرت الأمور للخليفة المأمون بهزيمته للحركات التي قامت ضده في الشام نادى أعوانه في الناس بعدم ذكر معاوية بن أبي سفيان بأي خير^(٥) وكان المأمون يحقد على الأمويين، فلم يكن يطيق مجالستهم أو سماع أي مدح لهم^(٦).

وفي سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م أظهر المأمون القول بخلق القرآن، وتفضيل علي بن أبي طالب على أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وأنه أفضل الناس بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-^(٧).

وهذا القرار أغضب الناس، وكادت الفتنة أن تعم البلاد، فتراجع المأمون عن قراره إلى سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م حيث عاد وقال بخلق القرآن^(٨)، وكان المأمون في هذا الوقت موجوداً في الرقة بالشام^(٩).

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٦، ص ٥١١

(٢) الذهبي: سير، ج ١، ص ٢٣٢.

(٣) ابن الاثير: اللباب، ج ٢، ص ٢٨٢.

(٤) بخصوص دوره في قضية خلق القرآن. انظر: البغدادي: تاريخ بغداد، م ١١، ص ٧٢، ابن عساکر: تاريخ دمشق، م ٣٩، ص ٦٤، ٣٩٤، ٣٩٧، الذهبي: سير، ج ١، ص ٢٣٤-٢٣٥.

(٥) ابن أعثم: الفتوح، ج ٨، ص ٨٢٤.

(٦) ابن طيفور: كتاب بغداد، م ١٥٣، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٦٥٧.

(٧) ابن أعثم: الفتوح، ج ٨، ص ٢٢٤، السويدي: سبائك الذهب، ص ٨٥.

(٨) السيوطي: مناهل الصفا، مخطوط، و ٢١٦ ب-١٢١٧، السويدي: سبائك الذهب، ص ٨٥.

(٩) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٦٣١

فأخذ المأمون وأعوانه يمتحنون القضاة والفقهاء في ذلك، فمن استجاب منهم وقال بخلقه أطلقه ومن رفض كان يوثق بالحديد ويسجن^(١)، وقد استجاب للمأمون معظم قضاة وفقهاء العراق باستثناء عدد قليل، كان منهم الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح، فمات الأخير في الرقة محبوساً، وبقي الأول في السجن إلى أيام المعتصم^(٢).

وبعد العراق امتحن المأمون أهل الشام بخلق القرآن، فقال معظمهم بخلقه إلا عدد قليل^(٣)، كان منهم الفقيه الشامي أبو مسهر الدمشقي. الذي كان من علماء أهل الشام العارفين بالأخبار والمغازي^(٤) فنال بذلك احترام أهل الشام الذين كانوا يصطفون لتقبيل يده إذا خرج من دمشق^(٥).

وقد استدعى المأمون أبا مسهر إلى دمشق حيث كان المأمون قد قدم إليها وسأله عدة أسئلة^(٦)، كان منها عن قوله في خلق القرآن، وقد هدد أبو مسهر بالسجن إذا لم يقل بخلقه، ولم يوافق أبو مسهر المأمون بقوله وأصر على القول بأن القرآن غير مخلوق^(٧)، فأدى ذلك إلى سجنه في بغداد فبقي في سجنه حتى توفي سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م^(٨) وقد شهد دفنه عدد كبير من أهل بغداد وغيرها^(٩).

- (١) ابن تغري بردي: مورد اللطافة، مخطوط، و ١٢٩.
- (٢) مجهول: تاريخ الدولة العباسية، مخطوط، و ١٥٢، ابن أبي الدم: الشماريخ، مخطوط، و ٩٦ ب.
- (٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٤٦٨.
- (٤) السمعاني: الأنساب، ج ٩، ص ٤٩، ابن الأثير: اللباب، ج ٢، ص ٣٨٢.
- (٥) ابن العماد: شذرات الذهب، م ٢، ص ٩٠.
- (٦) سألته عن إختتان الرسول عليه السلام، وشهادته إذا زوج أو تزوج فأجاب بعدم معرفته. انظر: الزبير بن بكار: الأخبار الموفقيات، ص ٣٩، ابن طيفور: كتاب بغداد، ص ١٥٠، ابن مساك: تاريخ دمشق، م ٢٩، ص ٣٩٧.
- (٧) الزبير بن بكار: الأخبار الموفقيات، ص ٣٩، البغدادي: تاريخ بغداد، م ١١، ص ٧٢ الذهبي: سير، ج ١، ص ٢٣٥.
- (٨) ابن الأثير: اللباب، ج ٢، ص ٣٨٢، ابن باطيش، إسماعيل (ت ٦٥٥هـ/١٢٥٧م): التمييز والفصل بين المتفق في الخط والشكل، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣، ج ١، ص ١٩٠، وسيشار إليه هكذا: ابن باطيش: التمييز والفصل.
- (٩) ابن سعد: الطبقات: م ٧، ص ٤٧٣، السمعاني: الأنساب، ج ٩، ص ١٤٩.

ويعود حقد المأمون على أبي مسهر الدمشقي لفترة سابقة، حيث أن أبا مسهر كان معارضاً للمأمون، وقد اشترك أبو مسهر في حركة أبي العميطر السفيفاني الذي خرج على المأمون سنة ١٩٥هـ/٨١٠م، وقد تولى يومها أبو مسهر قضاء دمشق لأبي العميطر^(١)

وسار المعتصم على نهج المأمون في قضية خلق القرآن بالشام فبعث إلى إسحاق بن يحيى بن معاذ- والذي كان يتولى دمشق- بامتحان أهلها في هذا الأمر ومعاينة من لم يقل بخلق القرآن^(٢)

وأما الخليفة الواثق فقد استمر في تلك السياسة، فامتحان أهل ثغور الشام فيها وأكرم من أجاب وقتل من أنكر^(٣)، كما امتحن أهل مدن الشام، فأحضر إليه رجل شامي حاجج أحمد بن داود بهذه القضية وتغلب عليه^(٤)، فأدى ذلك إلى ترك الواثق هذه القضية^(٥).

و- الشعر والوضع الاجتماعي

(١) تأثير الشعر في الاوضاع الشامية

عبر شعراء العصر العباسي عن الواقع الاجتماعي في عصرهم، ولم يكونوا منعزلين عن الحياة السياسية والاجتماعية فيه، وقد ساهم خلفاء بني العباس وأمراؤهم وقادتهم في توجيه هذا الشعر في بلاطهم وجهة مميزة من خلال الأموال والعطاء الذي أغدق على الشعراء، ومن خلال آرائهم في الأمويين الذين أسقطت دولتهم على يد العباسيين.

(١) البغدادي: تاريخ بغداد، م ١١، ص ٧٢، ابن عساكر: تاريخ دمشق، م ٣٩، ص ٣٩٤، ٣٩٦.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٢٨٣.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٩، ص ١٤١.

(٤) ابن قدامة المقدسي، عبد الله (ت. ٦٢٠هـ/١٢٢٣م): كتاب التوابين، تحقيق جورج المقدسي، نشر المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٦١، ص ١٨٦-١٩١، وسيشار إليه هكذا: ابن قدامة: كتاب التوابين.

(٥) ابن قدامة: كتاب التوابين، ص ١٩١، الذهبي: سير، ج ١، ص ٣١٠.

وإذا تتبعنا تأثير الشعر في الوضع السياسي في العصر العباسي الأول فإننا نجد أن الشعراء، قد قلت أشعارهم في وصف الدعوة العباسية وتأيدها، وذلك يرجع لخوفهم من الأمويين^(١)، الذين كانوا يسيطرون على الأمور في هذه الفترة، أو أن ذلك نابع من قرار من العباسيين حتى لا تنكشف دعوتهم وأمرهم.

وبعد قيام الدولة فإن الشعراء كرّسوا أشعارهم بالمدافعة عن حق العباسيين في قيام الدولة وعن حق الخلفاء في الملك^(٢) كما أنهم كالوا التهم والذم للأمويين وصوروا قتل العباسيين لهم وقضائهم على ظلمهم سعيًا وراء الحصول على العطاء من قبل العباسيين^(٣).

وبرز في هذا الجانب الشاعر سديف بن ميمون الذي كان له دور كبير في تحريض الخليفة أبي العباس على قتل الأمويين في الحيرة^(٤)، والشاعر أبو نخيلة الذي اعتذر للسفاح عن مدحه بني أمية وأخذ يمدح بني العباس فصور في أحد قصائده الخراب والدمار الذي حل ببعض مدن الشام، وقتلى الأمويين الذي قتلوا على يد العباسيين^(٥)، والشاعر حفص الأموي الذي مدح الخليفة أبا العباس وأثنى على قتله الأمويين فقال:

وكانت أمية في ملكها	تجور وتكبر في عدوانها
فلما رآها الله أن قد طغت	ولم يطق الناس طغيانها
رماها بسفاح آل الرسول	مجد يكفيه أعيانها ^(٦)

(المقارب)

-
- (١) عطوان، حسين: شعراء الدولتين الأموية والعباسية، دار الجيل، بيروت، ط ٢، ١٩٨١، ص ٩٥.
 - (٢) عطوان: شعراء الدولتين الأموية والعباسية، ص ٩٧، ٣٩٥.
 - (٣) الأصفهاني: الأغاني، م ٢٠، ص ٢٩٩، ابن مسافر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٥، ص ١٩٤، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، م ٢، ص ٦٨٨.
 - (٤) ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٣٨-٤٠، الأصفهاني: الأغاني م ١٦، ص ١٣٥-١٣٦.
 - (٥) الأصفهاني: الأغاني، م ٢٠، ص ٣٩٩.
 - (٦) ابن مسافر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٥، ص ١٩٤، مجهول: أخبار الدول، مخطوط، ١٠٤ب-١١٠هـ.

وهذا قرّبه من أبي العباس ومن بعده المنصور الذي جعله مؤدباً لولده المهدي
وكان في أيامه يمدح الأمويين ولا يعاقب.^(١)

وإذا كان كثير من الشعراء قد قالوا ذلك الشعر تقرباً من العباسيين، فإنه وجد
في هذه الفترة شعراء دافعوا عن الأمويين وعرضوا بالعباسيين إحتجاجاً على
حوادث القتل التي تعرض لها الأمويون^(٢)، فنجد الشاعر العبلي^(٣) يرثي قتلى
الأمويين في معركة الزاب وحادثة نهر أبي فطرس فقال:

أفاض المدامع قتلى كدى^(٤) وقتلى بكثوة لم ترمس
وبالزابين نفوس ثوت وقتلى بنهر أبي فطرس^(٥)

(المتقارب)

والشعر الذي قيل في مدح العباسيين، لم يكن يعني تأييد هؤلاء الشعراء لهم
بقدر ما ارتبط ذلك بالعطاء الذي كان يمنحه الخلفاء والقادة لهؤلاء الشعراء، وفي
هذا الجانب نجد أن كثيراً من الشعراء الذين قالوا المدح في العباسيين يعودون إلى
هجائهم بسبب عدم إعطائهم من قبلهم.

(١) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ١٠٠.

(٢) شلبي، سعد: الشعر العباسي، مكتبة غريب، الفجالة، د. ت، ص ٣٧، ٣٩.

(٣) عبد الله بن عمرو بن عبد الله بن علي العبلي (ت ١٤٥هـ/٧٦٣م)
انظر: المبرد: التعازي والمراثي، ص ١٥٩-١٦١، الصولي: أشعار أولاد الخلفاء، ص ٣٠٦-٣٠٧،
الأصفهاني: الأغاني، م ١١، ص ٢٩٣-٣٠٩.

(٤) كدى: موضع بمكة: ياقوت: معجم البلدان ج٤ ص ٤٤١، البغدادي: مراصد، ج٢، ص ١١٥١، من
قرى قریش في وادي وچ تجاور تهامة ومسیر، الجاسر، حمد: المعجم الجغرافي للبلاد العربية
السعودية، منشورات دار الیمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٩٧٧، ق ٢، ص ١٠٤٢.

(٥) المبرد، أبو العباس (ت ٢٨٥هـ/٨٩٨م): التعازي والمراثي، تحقيق محمد الديباجي، مجمع اللغة
العربية، دمشق، ١٩٨٦، ص ١٥٩-١٦١، وسيشار إليه هكذا: المبرد: التعازي والمراثي، الصولي:
أشعار أولاد الخلفاء، ص ٣٠٦-٣٠٧.
الأصفهاني: الأغاني، م ١١، ص ٢٩٩-٣٠٢.

فنجذ الشاعر أبو عطاء السندي^(١) الذي قال أمام السفاح:
 إن الخيار من البرية هاشم وبنو أمية أرذل الأشرار
 وبنو أمية عودهم من خروج ولهاشم في المجد عود نضار
 أما الدعاة إلى الجنان فهاشم وبنو أمية من دعاة النار
 (البسيط)

يعود ليقول:

يا ليت جور بني مروان عاد لنا وأن عدل بني العباس في النار^(٢)
 كما قال:

أليس الله يعلم أن قلبي يحب بني أمية ما استطاعا
 وما لي أن يكونو أهل عدل ولكني رأيت الأمر قد ضاعا^(٣)
 (الوافر)

وارتبط هذا أيضا بعلاقة الخلفاء مع الشعراء، فبعد اتهام بشار بن برد بالزندقة، نجده يقوم بهجاء المهدي ويحرض الأمويين على الثورة قائلاً:

بني أمية هبوا قد طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود
 ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الزق والعود^(٤)
 (البسيط)

-
- (١) أبو عطاء، أفلح بن يسار السندي (ت ١٥٧هـ/ ٧٧٣م) انظر: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج٢، ص ٧٦٦-٧٧٠، الاصفهاني: الأغاني: م ١٧، ص ٣٢٧-٣٤٠، المرزباني: معجم الشعراء، ص ٤٥٦.
- (٢) أبو عطاء السندي، أفلح بن يسار (ت ١٥٧هـ/ ٧٧٣م): ديوانه، تحقيق نبي بخش، لجنة إحياء الأدب السندي، حيدر آباد، باكستان ١٩٦١، ص ١٥-١٦، وسيشار إليه هكذا: ديوان أبي عطاء، الاصفهاني: الأغاني، م ١٧، ص ٣٢٩، ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج٢، ص ٧٦٩.
- (٣) ديوان أبي عطاء، ص ١٨.
- (٤) ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٢٤-٢٥، الجهشيارى: الوزراء، ص ١٥٨-١٥٩، بشار بن برد (ت ١٦٨هـ/ ٧٨٣م): ديوانه، جمع وتعليق محمد بن عاشور، نشر الشركة التونسية للتوزيع، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٦، ج٢، ص ٩١، وسيشار إليه هكذا: ديوان بشار بن برد وانظر: ديوان بشار بن برد، الاصفهاني: الأغاني، م ٢، ص ١٣٥-٢٥، ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج٢، ص ٧٥٧-٧٦٠، العامري: غربال الزمان، ص ١٥٤.

وطوال العصر العباسي الأول، فإن العلاقة أو نظرة العباسيين إلى الأمويين ظلت تحت تأثير الشعر في هذه الفترة، وقد ارتبط ذلك بالخلفاء العباسيين أنفسهم.

ففي الوقت الذي نجد فيه الخليفة أبي العباس يثني على شاعر رفض سب بني أمية عنده^(١)، ونجد فيه المنصور يأذن لشاعر بمدح بني أمية أمامه^(٢) فإننا نجد الخليفة المهدي يعاقب شاعراً مدح الأمويين وشجاعتهم عنده^(٣)، كما نجد الرشيد يطرد شاعراً مدحهم أمامه^(٤)، بالإضافة إلى أن المأمون ضرب الشاعر علوية^(٥) عندما مدح الأمويين في الشام وقال فيهم:

أولئك قومي بعد عز وثروة تفانوا فلا أذرف الدمع أكمدًا^(٦)

(الطويل)

وظهر تأثير الشعر في بلاد الشام في العصر العباسي الأول في الصراع بين القبائل القيسية واليمانية وإنكاء روح العصبية بينهما^(٧) فانقسم الشعراء في تأييد أحد الطرفين ومدح قادة وزعماء هذا الطرف والتفني بانتصارات أفراد، والتحريض على الطرف الآخر، فكان لهذا أثراً كبيراً في انتشار العصبية بينهم^(٨)، وقد غدت هذه العصبية- وخاصة في عصر الرشيد- جزءاً لا يتجزأ من الحياة

(١) الأصفهاني: الأغاني، م ٨، ص ٢٠١.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، م ١٧، ص ٣١.

(٣) أبو دلامة الأسدي، زند بن الجون (ت ١٦١هـ/ ٧٧٧م): ديوانه، إعداد رشدي علي حسن، دار عمار، الأردن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥، ص ٨١، وسيشار إليه هكذا: ديوان أبي دلامة.

(٤) الأصفهاني: الأغاني، م ٢١، ص ٢٥٢.

(٥) علوية: علي بن عبد الله بن سيف.

انظر: ابن طيفور: كتاب بغداد، ص ١٥٣، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٦٥٧.

الأصفهاني: الأغاني، م ١١، ص ٣٣٣-٣٦٢.

(٦) الأصفهاني: الأغاني، م ١١، ص ٢٥٦.

(٧) أبو دية: "العلاقات الاجتماعية في حالة قيس ويمن" مؤتمر بلاد الشام الخامس، ص ٦.

(٨) حجاب، محمد: معالم الشعر وأعلامه في العصر العباسي الأول، دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٩٧٣، ص ٥١، فهمي، عزيز: المقارنة بين الشعر الأموي والعباسي في العصر العباسي الأول، دار المعارف، مصر، د. ت، ص ٢٠٨-٢٠٩، ٢١٢.

الاجتماعية في بلاد الشام.

وبرز تأثير هذا الشعر في فتنة أبي الهيثام (١٧٦هـ/٧٩٢م) التي قامت بدمشق في عصر الرشيد وامتدت في أنحاء الشام، وقد أحتوى كتاب " تاريخ دمشق" للمؤرخ الدمشقي ابن عساكر على كثير من هذا الشعر الذي قيل في هذه الفتنة^(١)

وشعراء الشام الذين عاصروا الأحداث في هذا العصر عبّروا من خلال شعرهم عن أفكارهم وجوانب حياتهم، ووجد عدد كبير منهم في بلاط الخلفاء العباسيين وقادتهم فلعبوا دوراً كبيراً في الحياة السياسية في الدولة العباسية، فرافق عدد منهم الخلفاء والقادة في إقامتهم وترحالهم وحظوا بتكريمهم.

(٢) أبرز شعراء الشام

وأشهر شعراء الشام في العصر العباسي الأول هم:

- عقّال بن هاشم الغبني الشامي

أدرك عقّال الدولتين الأموية والعباسية، فوفد على الخليفة أبي العباس ومدحه بقصيدة فأعطاه وأمر له بجائزة سنوية ظل يأخذها طوال عهده، ولما تولى المنصور وفد عليه وأنشده أبياتاً من الشعر نال على أثرها عطاء المنصور^(٢).

- ربيعة بن ثابت الرقي (ت ١٩٩هـ/٨١٤م)

ولد ربيعة بالرقّة ونشأ فيها، وعاصر المهدي والرشيد ومدحهما^(٣)، كما مدح الأمير العباسي العباس بن محمد بن علي^(٤)

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م، ٨، ص ١٢، ٦٦٣، ٨٠٨، م ١٤، ص ٤٩١-٤٩٢، م ١٦، ص ١٢٦، ١٥٩، ٢٧٨-٢٧٩، م ٢٨، تحقيق سكيئة الشهابي، ص ٨٠-٨١، وانظر: المرزباني: معجم الشعراء، ص ٢٩.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١١، ص ٢٩٢.

(٣) ربيعة بن ثابت بن العيزار الرقي (ت ١٩٩هـ/٨١٤م): ديوانه، جمع وتحقيق يوسف بكار، دار الاندلس، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤، ص ٩٧، ١٢٣، وسيشار إليه هكذا: ديوان ربيعة الرقي، الأصفهاني: الأغاني، م ١٦، ص ٢٥٤.

(٤) ديوان ربيعة الرقي، ص ١١٣-١١٤، ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ١٥٧-١٥٨.

- منصور بن الزبرقان بن شريك النمري (ت. ١٩٠هـ/ ٨٠٥م)

من رأس العين بالجزيرة، برز في عصر الرشيد حيث تقرب للبرامكة^(١) وقد مدح أمرائهم وخاصة جعفر بن يحيى البرمكي الذي قضى على العصبية في دمشق سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦م فقال فيه:

لقد أوقدت بالشام فتنة فهذا أوان الشام تخمد نارها

رماها أمير المؤمنين بجعفر وفيه تلاقي صدعها وإنجبارها^(٢)

(الطويل)

وكان النمري يمدح الرشيد أيضا^(٣) وقد رافقه في مقامه في الرقة حيث كان الرشيد يحب الإقامة بها.^(٤)

ورغم حبه للرشيد وولائه للعباسيين، فإن الرشيد حبسه في آخر أيامه حيث اتهم بميله للخوارج.^(٥)

- كلثوم بن عمرو بن أيوب العتابي (ت. ٢٢٨هـ/ ٨٤٢م)

كان العتابي أستاذاً لمنصور النمري^(٦)، وقد نشأ وتعلم الشعر وكتابة الرسائل في قنسرين - مكان مولده^(٧) اتصل بالرشيد ومدحه ولقي مكانة كبيرة عنده خاصة بعد

(١) ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٢٤١، الأصفهاني: الأغاني، م ١٣، ص ١٤٠.

(٢) النمري، منصور بن الزبرقان بن شريك (ت. ١٩٠هـ/ ٨٠٥م): ديوانه، تحقيق الطيب العشاش، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، دار المعارف، دمشق، ١٩٨١، ص ٩٢-٩٤. وسيشار إليه هكذا: ديوان منصور النمري، الأصفهاني: الأغاني، م ١٣، ص ٢٤١.

(٣) ديوان منصور النمري، ص ٩٠، ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٢٤٤.

(٤) ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٢٤٦، عياش، عبد القادر: "مشاركة مدن الفرات في سوريا"، مؤتمر بلاد الشام الثاني، ص ٢٦٤.

(٥) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج ٢، ص ٨٥٩، الأصفهاني: الأغاني، م ١٣، ص ١٤٩.

(٦) الأصفهاني: الأغاني، م ١٣، ص ١٠٩.

(٧) ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٢٦١، ٢٦٢، المرزباني: معجم الشعراء، ص ٢٤٤.

قتل البرامكة^(١)، وبعد الرشيد اتصل العتابي بالمأمون وقادته طاهر بن الحسين وابنه عبدالله فلقي منهم التكريم والرعاية والعطاء، ثم أدرك المعتصم ومدحه^(٢).

- أبو تمام الطائي (ت ٢٢٨هـ/٨٤٢م)

إسمه حبيب بن أوس، من قرية جاسم^(٣) في منبج، قدم من الشام إلى العراق فاتصل بالخليفة المعتصم ورافقه في ترحاله وشهد معه الإنتصار على الروم في عمورية فوصف الحملة والنصر^(٤).

- ديك الجن الحمصي (ت ٢٣٥هـ/٨٤٩م)

اسمه عبد السلام بن رغبان، كان أشهر شعراء حمص الذين اتصلوا بالعباسيين^(٥)، كان يفتخر بنسبه إلى كلب فيقول:

كلب قبيلي وكلب خير من ولدت حواء من عرب غر ومن عجم^(٦) (البسيط)

كان ديك الجن متشيعاً فقال رثاءً كثيراً في أئمة الشيعة ومنهم الحسين بن علي^(٧)، وإلى جانب الشيعة فقد كان شديد التعصب على العرب، وقد دافع عن حقوق الأعاجم

(١) النديم: الفهرست، ص ١٢١، عياش: "مشاركة مدن الفرات"، ص ٢٦٤.

(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج ٢، ص ٨٦٢، الأصفهاني: الأغاني، م ١٢، ص ١١٨-١٢٠.

(٣) جاسم: قرية تبعد عن دمشق ٢٤ ميل، ابن خرداذبه، عبدالله (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م): المسالك والممالك، مطابع بريل، ليدن، ١٩٨٩، ص ٧٨، وسيشار إليه هكذا: ابن خرداذبه: المسالك والممالك.

(٤) أبو تمام، حبيب بن أوس (ت ٢٢٨هـ/٨٤٢م): ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده مزام، دار المعارف، مصر، ط ٤، د. ت، ص ٤٠-٧٤، وسيشار إليه هكذا: ديوان أبي تمام، ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٢٨٢-٢٨٤، الأصفهاني: الأغاني، م ١٦، ص ٢٨٢، حسن: محاضرات في تاريخ الشام في العصر العباسي، ص ٩٥.

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٠، ص ٣١٦.

(٦) ديك الجن الحمصي، عبد السلام بن رغبان (ت ٢٣٥هـ/٨٤٩م): ديوانه، جمع وتحقيق مظهر الحجري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨١، ص ٨٢، وسيشار إليه هكذا: ديوان ديك الجن.

(٧) ديوان ديك الجن، ص ١٦٠، الأصفهاني: الأغاني، م ١٤، ص ٥١.

أمام سيطرة العرب^(١) فكان يقول: «ما للعرب علينا فضل جمعنا وأياهم ولادة إبراهيم عليه السلام، وأسلمنا كما أسلموا، ومن قتل منهم رجلاً منا قتل به ولم نجد الله عز وجل فضلكم علينا إذ جمعنا الدين»^(٢).

وبالرغم من أن ديك الجن قضى أيامه في العراق إلا أنه كان يحن إلى مسقط رأسه حمص وكان يقول:

إن ريب الزمان طال انتكاشه كم رمتني بحادث أحداثه^(٣)

(الخفيف)

- دعبل بن علي بن رزين بن عثمان الخزاعي (ت ٢٤٦هـ/٨٦٠م)

أصله من قرقيسيا، انتقل إلى بغداد واتصل بالخلفاء والقادة العباسيين^(٤) وقد كان من أشهر شعراء الشام الذين لعبوا دوراً في الحياة السياسية العباسية، ولم يكن هذا الشاعر راضياً عن سياسة الخليفة الرشيد فهجاه بعد موته^(٥)، ثم اشترك في الصراع بين الأمين والمأمون وكان في صف المأمون فقال أمام المأمون:

إني من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرفتك بمقعد^(٦)

(الكامل)

فحظي دعبل بإكرامه، ومن ثم المعتصم الذي ولاه ناحية في الشام^(٧)، لكن دعبلاً كان

(١) الأصفهاني: الأغاني، م ١٤، ص ٥١، فهمي: المقارنة بين الشعر الأموي والعباسي، ص ٢١٩، حسن: تاريخ الشام في العصر العباسي، ص ٩٦.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، م ١٤، ص ٥١.

(٣) ديوان ديك الجن، ص ٧٥.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٦، ص ٦٩-٧٠.

(٥) الأصفهاني: الأغاني، م ٢٠، ص ١٨٠.

(٦) دعبل، أبو علي بن رزين الخزاعي (ت ٢٤٦هـ/٨٦٠م): ديوانه، جمعه وحققه عبد الصاحب الدجيلي، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط ٢، ١٩٧٣، ص ١٧٥-١٧٦، وسيشار إليه هكذا: ديوان دعبل، ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج ٢، ص ٨٤٩، ٢٢٧، الابشيهي: المستطرف، ج ٢، ص ٢ شلبي: الشعر العباسي، ص ٤٠.

(٧) الأصفهاني: الأغاني، م ٢٠، ص ١٨١.

كثير الكلام في بني العباس، وقد كان شديد التشيع^(١)، فأراد المعتصم قتله، وهذا الأمر دفع دعبل للهرب إلى الشام فقال يهجو المعتصم:

ملوك بني العباس سبعة ولم تأتئنا عن ثامن لهم كتب

كذلك أهل الكهف سبعة كرام إذا عدوا وثامنهم كلب^(٢)

(الطويل)

وقد أنكر دعبل هذا الشعر وقال أنه كلام من إبراهيم بن المهدي الذي ادعى الخلافة وعارض العباسيين^(٣)، وقد أراد دعبل بهذا الكلام أن يفلت من عقاب العباسيين.

وظل دعبل مختفياً طوال عصر المعتصم، ولما تولى الواثق عاد دعبل وعارضه فقال يهجوه:

الحمد لله لا صبر ولا جلد ولا عزاء إذا أهل البلاد رقدوا

خليفة مات لم يحزن له أحد وآخر قام لم يفرح به أحد

فمر هذا ومر الشؤم يتبعه وقام هذا فقام الويل والنكد^(٤)

(البسيط)

- عوف بن محلم الخزاعي

من أهل حرّان، كان مجالساً لطاهر بن الحسين لا يفارقه، وقد أراد الرجوع لوطنه حرّان إلا أن طاهر لم يجبه إلى طلبه، ثم اتصل بعبد الله بن طاهر في عصر المؤمن فنال عنده منزلة كبيرة فأكرمه وأعادته إلى حرّان^(٥).

(١) فهمي: المقارنة بين الشعر الأموي والعباسي، ص ٢٦٤.

(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج٢، ص ٨٥٠، الأغاني، م ٢٠، ص ١٤٤، ديوان دعبل، ص ١٠٢.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، م ٢٠، ص ١٤٥، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٦، ص ٧٧.

(٤) ديوان دعبل، ص ١٦٨.

(٥) ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ١٨٥-١٨٦، عياش: «مشاركة مدن الفرات في سوريا»، ص ٢٦٤.

- محمد بن يزيد الحصني (أبو الأصبغ)

من أهل حصن مسلمة^(١)، رد على عبدالله بن طاهر وافتخاره بقومه الفرس ثم اقترب إليه فأكرمه وقام بمدحه^(٢).

ومن شعراء الشام في العصر العباسي أيضاً عمرو بن حوى السكسكي الدمشقي^(٣) وكذلك عتبة بن أبي عاصم الحمصي^(٤).

(١) ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٢٩٩، المرزباني: معجم الشعراء، ص ٢٥٥.

وحصن مسلمة: حصن بالجزيرة بين رأس عين والرقعة، بناه مسلمة بن عبد الملك، قريب من حرّان، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٦٥.

(٢) ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٣٠٠-٣٠١، حجاب: معالم الشعر وأعلامه في العصر العباسي الأول، ص ٢٦٣-٢٦٤.

(٣) المرزباني: معجم الشعراء، ص ٣١.

(٤) المرزباني: معجم الشعراء، ص ١٠٦.

الفصل الخامس

**الوضع الاقتصادي في بلاد الشام
في العصر العباسي الأول**

الفصل الخامس

الوضع الاقتصادي في بلاد الشام في العصر العباسي الأول

أ- انتقال أملاك الشام للعباسيين

(١) الأموال

(٢) الضياع

ب- الخراج والجباية في بلاد الشام في العصر العباسي الأول

ج- أثر الحركات في الشام على الوضع الاقتصادي

(١) الأموال

(٢) الزراعة

(٣) الصناعة

(٤) التجارة

د- الوضع الاقتصادي في بلاد الشام في العصر العباسي الأول

(١) تمهيد

(٢) الزراعة

(٣) الصناعة

(٤) التجارة

أ- انتقال أملاك أهل الشام للعباسيين

١- الأموال

صاحب الدخول العباسي إلى الشام انتقل جزء كبير من أملاك أهل الشام عامة والأمويين فيها بشكل خاص إلى العباسيين بعد سيطرتهم على الشام.

وإذا كان الخليفة الأموي مروان بن محمد (ت ١٣٢هـ / ٧٥٠م) قد فقد جزءاً من ماله أثناء معركة الزاب بنهبه من قبل الأمويين أنفسهم^(١)، فإن أمواله الباقية أخذت من قبل العباسيين بعد هزيمته في المعركة ودخول العباسيين بلاد الشام.

فاستولى القائد العباسي عبدالله بن علي على أملاك مروان بن محمد وخزائن الأمويين في الشام، وقد ضمت هذه الأملاك والخزائن مبلغاً كبيراً من الأموال والجواهر، وقدرت كبيراً من المتاع^(٢)، وكما فعل عبدالله، فإن أخاه صالحاً أخذ قدرأ كبيراً من الأموال التي كانت مع مروان في مصر بعد قتله إياه في بوصير (١٣٢هـ / ٧٥٠م)^(٣).

وبخلاف أموال مروان، فإن القادة العباسيين أخذوا أموال كثير من أهل الشام، وذلك بعد قتلهم إياهم في دمشق وفلسطين وغيرها^(٤)، فاجتمع بذلك مع العباسيين مبالغ عظيمة من الأموال، فاستدعى عبدالله بن علي الإمام الأوزاعي (ت ١٥٧هـ / ٧٧٣م) - وهو من أكبر علماء الشام آنذاك - وسأله عن حكم الدين في هذه الأموال،

(١) الطبري : تاريخ الرسل، ج٧، ص ٤٣٥

(٢) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة، ج٢، ص ١٢٤، الطبري : تاريخ الرسل، ج٧، ص ٤٨١، الأزدي : تاريخ الموصل، ص ١٣١، مجهول : العيون والحداثق، ج٢، ص ٢١٩، مرتضى، نظمي زاده : كلشن خلفا، نقله إلى العربية موسى نوري، المجمع العلمي العراقي، بغداد، د، ت، ص ٢٢.

(٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ٢م، ص ٢٥١

(٤) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة، ج٢، ص ١٢٢

فأجابه بحرمة أخذها^(١)، وهذه الإجابة لم تعجب ابن علي فطرده وبقيت الأموال معه طيلة ولايته.

وبعد وفاة الخليفة أبي العباس (١٣٦هـ / ٧٥٣م) خرج عبدالله بن علي عن طاعة العباسيين، ورفض مبايعة المنصور، فاستخدم الأموال التي أخذها من الشام في حربه لأبي مسلم - مبعوث المنصور -، لكنه هزمه وأخذ تلك الأموال، فانتقلت إلى الخليفة المنصور الذي بعث يقطين بن موسى فأخذها من أبي مسلم الخراساني ووضعها في خزائن المنصور^(٢)، وكان المنصور ينفق من هذه الأموال والمتاع على مقربيه من أهل بيته ومن أعوانه والشعراء^(٣)، ولم يكتف المنصور بهذه الأموال فكان إذا سمع بمن يملك شيئاً من أموال الأمويين بعث بإحضاره ليأتي بتلك الأموال^(٤)، معتبراً من نفسه وارثاً لتلك الأموال وأنها من حقه.

وقد ظل جزء كبير من أموال الشام في خزائن العباسيين حتى بعد وفاة الخليفة المنصور (١٥٨هـ / ٧٧٤م)، فكان المهدي يعطى مواليه وحاشيته من الأعوان والخدم من هذه الأموال^(٥)، التي بقي قسم كبير منها عند العباسيين، فقد كانت أموالاً كثيرة.

وغير ذلك فإن العباسيين نقلوا أملاك الشاميين في المنشآت العمرانية من بلاد الشام وأخذوا بعضها، سعيّاً منهم لعدم إبقاء أي أثر يربط الأمويين بهذه البلاد.

(١) أجابه بأن هذه الأموال حرام إذا كانت حلالاً للأمويين، وإذا كانت حرام لهم فهي عليه أحرم

انظر : ابن أبي حاتم الرازي : الجرح والتعديل، ج١، ص٢١١،

ابن عساكر : تاريخ دمشق، مخطوط، م١٠، ص٩٧، الذهبي : سير، ج٧، ص١٢٥،

ابن كثير : البداية، ج١، ص١١٨

(٢) مجهول : العيون والحداثق، ج٢، ص٢١٩، البغدادي : تاريخ بغداد، م٥، ص٣٩٣،

الحميري : الروض المعطار، ص٢٥٥، ابن أبي الدم : الشماريخ، مخطوط، و ٦٢ ب،

الذهبي : دول الإسلام، ج١، ص٦٦، العامري : غربال الزمان، ص١٢٣.

(٣) ابن أعثم : الفتوح، ج٨، ص٢١٢، التنوخي : نشوار الحضرة، ج٦، ص١٨٨-١٨٩

(٤) الأبيشي : المستطرف، ج١، ص١٩٠-١٩١

(٥) الذهبي : سير، ج٧، ص٤٠٢

فنقل الرخام والآلات التي في جامع حلب إلى جامع الأنبار في العراق، ومحووا آثار الأمويين فيه^(١)، كما نقلوا الدرة المعلقة في المسجد الأقصى ومعها تاج كسرى إلى الكعبة المشرفة^(٢)، كما أخذوا صفائح الذهب والفضة التي كانت على أبواب المسجد وضربت دراهم ودنانير^(٣).

وفي عصر المأمون سرق العباسيون قلعة البلور من جامع دمشق وأخذوها للعراق، فأدى ذلك إلى عصيان أهل دمشق مما دفع المأمون إلى إعادتها مرة ثانية إلى الجامع^(٤)، والمأمون نفسه عندما رمم المسجد الأقصى استبدل إسم الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان باسمه، لكنه غفل عن تغيير واستبدال السنة التي تم فيها البناء مما كشف هذا التزييف^(٥).

٢- الضياع

وبخلاف الأموال فإن العباسيين نقلوا ملكية ضياع الأمويين في الشام إلى أفراد أسرهم وقادتهم وأتباعهم^(٦)، فاعتبروا هذه الضياع ميراثاً لهم من الأمويين، وأنشأوا ديوان الضياع لينظر في أمر الضياع التي كانت مع الأمويين في الشام^(٧)، على غرار ديوان المصادرات الذي حفظت فيه أسماء من صودرت أملاكهم^(٨).

-
- (١) ابن شداد : الأعلام الخطيرة، ج١ ق ١، ص ٣١، ابن الشحنة : الدر المنتخب، ص ٦٢
 - (٢) السيوطي، جلال الدين (ت ٨٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) : إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢، ج ١، ص ٢٤٤، وسيشار إليه هكذا: السيوطي: إتحاف الأخصا.
 - (٣) العلمي، مجير الدين أبو اليمن (ت ٨٦٠ هـ / ١٤٥٥ م) : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب عمان، توزيع دار الجيل، بيروت، ج١، ص ٨٢، وسيشار إليه هكذا : العلمي: الأنس الجليل، السيوطي : إتحاف الأخصا، ج١، ص ٢٤٥
 - (٤) الذهبي : سير، ج١، ص ٤٥.
 - (٥) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ٦٢٦-٦٢٧، العارف، عارف : تاريخ الحرم القدسي، دار الأيتام، القدس، ١٩٤٧، ص ١٦، عاقل : " فلسطين من الفتح الإسلامي الى نهاية القرن ١٠ هـ"، ص ٢٧٨
 - (٦) شعبان : الدولة العباسية، ص ٢٢، دلو: مساهمة في إعادة كتابة التاريخ، ص ٢١٩
 - (٧) الطبري: تاريخ الرسل، ج٩، ص ٢٠٨، ماجد: "الضياع الأموية في الشام"، مؤتمر بلاد الشام الخامس، ص ١-٢، ٩
 - (٨) القاسمي، خالد : "تاريخ الدواوين"، مجلة تاريخ العرب والعالم، عدد ٨٢-٨٤، ص ٧٤

وإذا كانت هذه الضياع هي أهم غنائم العباسيين من بلاد الشام بعد انتصارهم على الأمويين^(١)، فإن فقدانها أثر على أوضاع أهل الشام الاقتصادية ففقدوا أرضهم التي كانت مصدر رزق لكثير منهم، كما أثر على أوضاعهم التجارية خاصة وأن كثيراً منهم كانوا يتاجرون بما يتحصل لهم من هذه الضياع، فقلت أموالهم.

فقبضت في أول الدولة ضيعة الهني والمري في الرقة، وكانت لأولاد هشام بن عبد الملك وأعطيت لأم جعفر زبيدة^(٢)، كما قبضت ضيعة تدعى بقنس في البلقاء كانت لأولاد معاوية فأعطيت لأولاد المهدي^(٣)، وأخذ عبدالله بن علي بالس^(٤) وقراها - وكانت لأولاد مسلمة بن عبد الملك - فأعطاهما لأخيه سليمان بن علي ثم لأولاده من بعده، وبعد ذلك أعطاهما الرشيد لأبنه المأمون^(٥).

وأقطعت دار الصباغين - بناها سليمان بن عبد الملك - بالرملة لصالح بن علي وأولاده من بعده، تقديراً لدوره في ملاحقة مروان بن محمد وقتله في مصر، خاصة وأنه كان يتولى إبان قتله هذه المنطقة^(٦)، وإضافة لذلك فقد أعطي صالح بن علي سلمية^(٧) فأصبحت ملكاً له ولأولاده من بعده^(٨).

-
- (١) الرئيس، محمد ضياء الدين: الخراج والنظم المالية للدول الإسلامية، دار الانصار، القاهرة، ط٤، ١٩٧٧، ص٢٨٢-٢٨٤، ماجد: "الضياع الأموية في الشام"، ص٩
 - (٢) قدامة: الخراج، ص٣١٥، البلاذري: فتوح البلدان، ص١٨٤
 - (٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص١٣٥
 - (٤) بالس: بلد بالشام بين حلب والرقة، اتخذها مسلمة وطناً له، ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٢٢٨
 - (٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص١٥٦، قدامة: الخراج، ص١٥٦، ياقوت: معجم، ج١، ص٢٢٨
 - (٦) البلاذري: فتوح البلدان، ص١٤٩، ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص١٠٢، جوده: الرملة، ص٥١
 - (٧) سلمية: بلدة في البرية من أعمال حماه، كانت تعد من أعمال حمص، ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٠، الحميري: الروض المعطار، ص٣٢٠، البغدادي: مراصد، ج٢، ص٧٣١
 - (٨) قدامة: الخراج، ص٢٩٨، ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٠

وقبضت أيضاً أرض في بغراس^(١) في أنطاكية كانت لأولاد مسلمة بن عبد الملك فأعطيت لأحد موالي المهدي، ومن أنطاكية أيضاً أخذت قطائع لقوم من ربيعة، كان مسلمة بن عبد الملك أعطاهم إياها^(٢).

وإلى جانب تلك الضياع، فقد صادر الخليفة أبو جعفر المنصور الأرض الزراعية التي كانت للأمويين في الشام وأعطاهم لأفراد عائلته، وقد خص النساء بجزء من هذه الأرض، فكان أول عباسي منح أرضاً للنساء^(٣).

ولم تكن الأرض أو الأموال هي فقط ما أخذ العباسيون من بلاد الشام، بل إنهم قبضوا من هذه البلاد رقيق الأخماس^(٤)، فأخذ الوليد بن مسلم وأهل بيته وصار للأمير صالح بن علي، ثم لأبنة الفضل من بعده، وكان الوليد قبل ذلك من أخماس أفراد عائلة الأمير الأموي مسلمة بن عبد الملك^(٥).

وقد لقيت هذه الضياع إهتمام وعناية العباسيين، فكان ديوان الضياع يشرف على إدارة هذه الضياع، وكان الخلفاء يعينون من يهتم بها، فعين الخليفة أبو العباس عمارة بن حمزة بن ميمون مشرفاً على ضياع مروان بن محمد وأعوانه^(٦)، وولى المنصور أيضاً أحد مواليه إدارة ضياع الأمويين في الشام^(٧).

(١) بغراس : مدينة قرب جبل اللكام قريبة من أنطاكية، وتقع في البلاد المطلة على نواحي طرطوس، ياقوت : معجم البلدان، ج١، ص٤٦٧

(٢) البلاذري : فتوح البلدان، ص١٥٢ - ١٥٤

(٣) شعبان : الدولة العباسية، ص٣٢

(٤) رقيق الأخماس : كانت الدولة الأموية تملك رقيقاً يسمى رقيق الخمس، وازداد هذا الرقيق نتيجة الفتوحات، وقد استمر هذا الرقيق الذي كان يشرف عليه أشخاص من الدولة حتى نهاية الدولة الأموية، ولما تولى العباسيون قبضوا هذا الرقيق منهم، ابن سعد : الطبقات، م٧، ص٤٧٠ - ٤٧١.

(٥) ابن سعد : الطبقات، م٧، ص٤٧٠ - ٤٧١، ابن عساكر : تاريخ دمشق، مخطوط، م١٧، ص٩٠٢، الذهبي : سير، ج٩، ص٢١٢

(٦) الجهشيارى : الوزراء، ص٩٠

(٧) البلاذري : أنساب الأشراف، ق٣، ص١٩٦

ب- الخراج والجباية في بلاد الشام

كان ديوان الخراج هو الرافد الأساسي للخزينة الأموية التي كانت ملأى بالأموال والمتاع، وبالرغم من الأحداث والنزاعات التي عصفت بالدولة الأموية في أواخر عهدها، فإن ما جمع في عهد الخليفة مروان بن محمد من خراج الشام بلغ قدراً كبيراً من الدنانير^(١).

وفي العصر العباسي انتقلت الدواوين من دمشق إلى بغداد، وأصبحت دواوين الشام دواوين محلية تابعة للديوان الرئيسي في بغداد، فأصبح ديوان خراج الشام يتبع الديوان الرئيسي في العراق.

وقد تولى الخراج في العصر العباسي للسفاح خالد بن برمك^(٢)، وكان هذا الديوان يشرف على أمور الخراج في جميع المناطق التابعة للدولة، فكان خراج الشام يجمع من قبل أشخاص يعينهم الولاة العباسيون على أجناد الشام^(٣).

وقد حصل العباسيون في أول دولتهم على قدر كبير من الأموال من تلك التي أخذوها من أهل الشام عامة والأمويين بشكل خاص، هذا بالإضافة إلى الأرض التي انتقلت إلى العباسيين بعد دخولهم بلاد الشام.

وأما الخليفة المنصور فقد نظم أمور الدولة الإدارية والمالية، فأعلن أنه سلطان الله في الأرض، وأنه صاحب المال والتدبير فيه، يعطيه بحقه ويقسمه بإرادته^(٤)، فأعطى المنصور اهتمامه لجميع البلاد، وأشرف على أمورها المالية، فأنشأ ديوان خراج الشام^(٥)، كما أنه بعث رجلاً إلى دمشق لتعديل مساحتها^(٦)، واهتمام المنصور بالخراج نبع من حاجته للأموال لمواجهة الحركات التي قامت ضده طوال خلافته، وكان أبرزها حركة عبدالله بن علي بالشام، وحركة محمد النفس الزكية في المدينة، ثم حاجته للأموال لبناء المدن وتحصين الثغور في الشام.

(١) ابن حوقل : صورة الأرض، ص ١٦١-١٦٢

(٢) خالد بن برمك الفارسي (ت ١٦٥هـ / ٧٨١م)، انظر : الطبري : تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٦٠، ٤٦٧
ابن عساكر، مخطوط، م ٥، ص ٤١٢-٤١٤، الذهبي : سير، ج ٧، ص ٢٢٩

(٣) بيطار : الحياة السياسية، ص ٢١٨

(٤) البلاذري : أنساب الأشراف، ق ٣، ص ٢٦٨، ابن عساكر : تاريخ دمشق، م ٢٨، ص ٢١٢

(٥) الجهشيارى : الوزراء، ص ٧٧، ماجد : " الضياع الأموية في الشام"، ص ٤

(٦) ابن عساكر : تاريخ دمشق، مخطوط، م ٣، ص ٣٩٢

وكان المنصور يولي خراج الشام لأهلها فولاهما لعبيد الله بن زياد^(١)، ولحمد بن مهاجر الذي تولى بيت المال للمنصور أيضاً^(٢)، ووجد في عصر المنصور جماعة شاميين تولوا أموراً مالية له، كهشام بن الغار الدمشقي الذي ولاه المنصور بيت المال وكان من علماء الشام^(٣)، وكذلك ولى خزانة الكسوة لإسماعيل بن عياش الحمصي الذي كان إماماً حافظاً^(٤)، وقد أراد المنصور من تولية أهل الشام خراجها، سهولة إشرافهم عليها، وبدافع معرفتهم بالمنطقة، وتقدير أمورها المالية، كما أن ذلك أقرب إلى نفوس أهل الشام.

وأختار المنصور رجلاً من حمص لتعديل مساحة أرض دمشق^(٥)، يدل على هذا الأمر، وسارت سياسة المنصور في معاملة أهل الشام بجباية الخراج باللين والتسامح، فقد أوصى عمال خراجه على الشام أن يعاملوا أهلها معاملة حسنة في جمعه، وحذرهم من التشدد في ذلك^(٦)، وكان إذا رأى ظلماً من قبل عمال الخراج على الناس يقوم بعزلهم، فعزل أخاه العباس بن محمد بن علي عن الجزيرة نتيجة ظلمه لأهلها^(٧)، كما عزل عن فلسطين واليهما الذي شدد على أهلها بالضرائب وهو عبد الوهاب بن إبراهيم^(٨).

(١) ابن حمدون : التذكرة، مخطوط، و ٧٣، ماجد : "الضياع الأموية في الشام"، ص ٤

(٢) أبو زرعة : تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ج ١، ص ٢٩٧

(٣) الذهبي: سير، ج ١، ص ١٧٠، الذهبي : العبر، ج ١، ص ١٧٠، ابن العماد : شذرات الذهب، م ٢، ص ٢٤٦

(٤) خليفة : طبقات خليفة، ص ٨١١، الذهبي : سير، ج ١، ص ٢٢٧، ابن كثير : البداية، ج ١، ص ١٨٦، العامري: غربال الزمان، ص ١٦٣.

(٥) ابن مسافر : تاريخ دمشق، مخطوط، م ٢، ٣٩٢

(٦) الطبري : تاريخ الرسل، ج ١، ص ٦٧

(٧) ابن تغري بردي : النجوم، ج ٢، ص ٢٤

(٨) الجهشيارى : الوزراء، ص ١٣٧

وعبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن علي (ت ١٥٨هـ/٧٧٤م).

انظر: السدوسي : حذف من نسب قريش، ص ١٢، مؤلف من القرن ٣هـ : أخبار الدولة العباسية، ص ٤١٤، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، ص ٢١، ابن مسافر : تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٠، ص ٥٩٠ - ٥٩٢

وهذه السياسة تخالف ما أورده المنبجي في تاريخه من أن المنصور أثناء إحدى زيارته لبيت المقدس شدد على الناس بالخراج فلحقهم بسبب ذلك مصاعب كثيرة^(١).

ولم أعثّر في المصادر التاريخية - التي اطلعت عليها - التي تحدثت عن زيارات المنصور لبيت المقدس، ما يشير إلى أن المنصور فعل ذلك، مما يشكك في هذه الرواية التي انفرد المنبجي بروايتها.

أما عمال المنصور على الشام فقد وجد منهم من كان يتشدد في الخراج والجباية على أهلها، فاشتكى أحد رجال أهل الذمة في البقاع للأمام الأوزاعي ظلم عامل الخراج له^(٢)، كما أن أهل بعلبك أيضاً عانوا من ظلم عامل الخراج لهم وتشدده عليهم بالضرائب، وهذا الظلم من قبلهم قابله أهل الشام بالثورة والخروج على الدولة، فخرجوا على عامل خراج بعلبك وقرروا قتله^(٣).

وقد أدت هذه الحركات إلى تدهور الجباية ونقص الأموال، لأن الثائرين كانوا يمنعون الخراج عن الدولة^(٤)، وهذا ما حصل في خروج أهل بعلبك على العباسيين في لبنان^(٥)، أو ما حصل في حركة عبدالله بن علي في الشام والتي منع فيها الخراج من الوصول للدولة العباسية^(٦).

(١) يذكر المنبجي أن المنصور زار مرة بيت المقدس، ففرض ضرائب على الناس لم يسبقه فيها أحد "فلم يبق إنسان من صانع ولا حمّال ولا حقّار القبور ولا فلاح ولا متصرف من صنوف الناس حتى ألزمهم الخراج وأخذ أموالهم، واشتد البلاء بالناس وبلغ الجهد حتى أن بعضهم حفر القبور وأخذ الجيف وطحنها وأكلها، وذبحت الكلاب وشويت وبيعت في الأسواق، وفنيت الدراهم من بين أيدي الناس، ولحقهم من البلاء ما لا يوصف"، المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٢) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج١، ص ٢١٠-٢١١.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٦٦.

(٤) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٥١-٤٥٢، بيطار، أمينة: "الحياة الاقتصادية في الشام بين سنتي (١٣٢٢هـ - ٢٥٩هـ)، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، عدد ٢، ص ١٣٠.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٦٦، التدمري: تاريخ طرابلس، ص ١٧٧، نصرالله: تاريخ بعلبك، ج١، ص ١٠٩.

(٦) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج٢، ص ١٢٤.

وسار الخليفة المهدي على نهج والده المنصور، فخفف الخراج عن أهل البلاد وكتب للعمال برفع العذاب عنهم واللين في معاملتهم، فهدد عامل خراج فلسطين بالعزل إذا ظلم أهلها، كما طلب منه معاملتهم باللين فتغيرت سياسته فيهم^(١)، وكان يشرف على خراج الشام في عهد المهدي عبيدالله بن زياد بن أبي ليلى الذي بقي يتولى هذا المنصب أيضاً جزءاً من عهد الهادي^(٢)، الذي ولاه أيضاً ديوان الأمانة، ثم تولى الخراج بعده محمد بن جميل^(٣)، وكان ديوان زمام الشام يشرف على مراقبة الأمور المالية في دواوين الشام وينظر فيها.

وكان عهد الرشيد نموذجاً في جمع الخراج وانتظام الجباية^(٤)، وذلك بسبب الإهتمام الذي أولاه الرشيد لأمر الخراج، فطلب من قاضيه أبي يوسف وضع كتاب له للعمل بموجبه وبتعاليمه في جمع الخراج والصدقات والعشور والجزية، وطرق جبايتها، حتى يرفع الظلم عن رعيته^(٥)، فوضع أبو يوسف كتاباً بيّن فيه مقدار الخراج، وصفات جامعيه، بحيث يرفقون بالناس ولا يضغطون عليهم أثناء تحصيله^(٦)، كما بين فيه صفات من يجمعون الجزية بأن يرفقوا بأهل الذمة ولا يؤذونهم^(٧).

وقد ورد إلى خزانة الدولة في عهد الرشيد مبلغاً كبيراً من المال^(٨)، ولا يعني كبر المبلغ أن البلاد كانت مزدهرة في عصر الرشيد، فقد أصبحت مدينة دمشق

(١) الكندي: الولاة والقضاة، ص ١٢٩، جودة: الرملة، ص ٥٣

(٢) الجهشيارى: الوزراء، ص ١٦٧، ابن حمدون: التذكرة، مخطوط، و ٧٥ أ

(٣) الجهشيارى: الوزراء، ص ١٦٩

(٤) كردعلي: خطط الشام، ج ٥، ص ٥٨

(٥) أبو يوسف: الخراج، ص ٢

(٦) أبو يوسف: الخراج، ص ٥٣-٥٤، ١١٥

(٧) أبو يوسف: الخراج، ص ١٣-١٣٥

(٨) الصابىء: رسوم دار الخلافة، ص ٢٩

جرداء بعد أن كانت جنة تحيط بها الأشجار والثمار والمياه^(١)، وإنما جاء هذا المبلغ الكبير بسبب ارتفاع نسبة الضرائب المفروضة، وزيادة الجباية على الناس، فأرهب الأهل في بلاد الشام نتيجة ذلك^(٢).

وهذا الارتفاع في الجباية والضرائب أدى إلى حركة الوليد بن طريف الخارجي (١٧٨ - ١٨٠هـ / ٧٩٤ - ٧٩٦م)، الذي منع الإيرادات أن تصل للدولة^(٣)، وأدى أيضاً إلى قطع الطريق وإغلاق دار الخراج في الموصل سنة ١٨١هـ / ٧٩٧م^(٤)، كما أدى إلى ترك أصحاب الأرض في فلسطين لأرضهم^(٥).

وفي هذه الفترة كان أشهر من أشرف على خراج الشام في عصر الرشيد ثابت ابن موسى^(٦)، وعلي بن صالح^(٧)، وممن شارك من أهل الشام في إدارة أمور الدولة العباسية المالية في عصر الرشيد يبرز إسم فرج بن فضالة التنوخي الحمصي (ت ١٧٦هـ / ٧٩٢م) الذي تولى بيت المال في بغداد، وكان قد تولاه قبل ذلك في عصر المنصور^(٨).

وتعد القائمة التي أوردها قدامه بن جعفر بمقدار المال الذي جبي من أجناد الشام في بداية القرن ٣هـ / ٩م^(٩) قليلة إذا ما قورنت بمقدار ما جبي من نفس

(١) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان، ص ١٠٤، أبو خليل : هارون الرشيد، ص ٨٨-٨٩

(٢) بيطار : الحياة السياسية، ص ٣٢١، بيطار : " الحياة الاقتصادية في الشام"، ص ١٣٠

(٣) Kennedy: The prophet and The Age of The Caliphate, p142

(٤) الأزدي : تاريخ الموصل، ص ٢٩٣

(٥) كردعلي : الإسلام والحضارة، ص ٢١٣-٢١٤، الدباغ : الموجز في تاريخ الدولة العربية، ص ٢٧٥، بيطار : " الحياة الاقتصادية في الشام"، ص ١٣١، عاقل: " فلسطين من الفتح الى أوائل القرن ٢هـ، ص ٣١١

(٦) الجهشيارى : الوزراء، ص ١٧٧

(٧) الجهشيارى : الوزراء، ص ٢٧٧

(٨) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٤، ص ٢٠٨، ابن كثير : البداية، ج ١، ص ١٧٦

(٩) قدامه : الخراج، ص ١٨٣-١٨٤.

المنطقة في عهد الرشيد^(١)، وتعود أسباب ذلك إلى انخفاض نسبة جباية الأموال من الشام أثناء فترة الصراع بين الأمين والمأمون.

والانخفاض في الجباية في هذه الفترة نتج عن الأحداث التي صاحبت الصراع بين الأمين والمأمون، فقد خرجت معظم مناطق الشام عن طاعة العباسيين، فلم يدفعوا الخراج^(٢)، كما أن حركة نصر بن شبيب التي قامت في الجزيرة (١٨٩-٢٠٦هـ/ ٨١٣-٨٢١م) أثرت على ذلك، فمنع نصر وصول خراج الجزيرة إلى العباسيين^(٣)، وقد كانت منطقة الجزيرة ترفد الدولة العباسية بمبلغ كبير من المال، وقد أورد ابن الفقيه مثلاً للخراج المجبى من هذه المنطقة يبين المقدار الكبير الوارد منها^(٤).

وبخلاف الانخفاض في الجباية فإن قلة المال أثناء فترة الصراع بين الأمين والمأمون تعود إلى الأموال التي أنفقها المأمون في القضاء على الحركات التي قامت في الشام بحيث "لم يبق في بيت ماله درهم واحد"^(٥) وتعود أيضاً إلى الأموال التي أنفقها على أعوانه الفرس ليحارب بهم الجيوش العربية التي وقفت في صف الأمين.

ومن أجل تعديل أوضاعه تلك، فقد لجأ المأمون إلى إجراءات هامة في الخراج وجبايته، فأرسل رجلاً إلى دمشق من أجل تعديل مساحة أرضها، وإعادة تنظيم خراجها^(٦)، كما أنه أرسل إلى واليه على الشام بفرض الأموال على أجناده^(٧)، وهذه الإجراءات عدلت الأوضاع فتحصل على مبلغ كبير من المال من هذه المنطقة^(٨).

(١) حمل إلى بيت المال في عهد الرشيد ٧٥ مليون دينار، ابن خلدون: العبر، م ١ ق ١، ص ٣٢١.

(٢) بيطار: الحياة السياسية، ص ٢٢٢.

(٣) ابن أعمش: الفتوح، ج ٨، ص ٣١٢، طلس: تاريخ الامة العربية، ص ١٥٠،
عمر: تاريخ العراق، ص ٦٧، ممر: ثورة نصر بن شبيب العقيلي، ص ٦٠٣.

(٤) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ١٣٣.

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٤، ص ٣، ابن تغري بردي: النجوم، ج ١، ص ٣١٣.

(٦) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٤، ص ٣٢.

(٧) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٦٣١، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٢١٨.

(٨) مسكويه: تجارب الأمم، ج ٦، ص ٤٦٨، القلمي: تهذيب الرياسة، ص ٣٤٨.

وبالرغم من قلة المال وانخفاض الجباية عند المأمون إلا أنه لم يشدد على أهل الشام وغيرهم بالخراج، فكتب إلى عماله بتخفيف الخراج عن أجناد الشام وأهلها^(١)، وسار عماله على نهجه، فكان عبدالله بن طاهر - والي الشام - يكتب لعمال الخراج أن : " ... يعطوا القوت لمن أصبح من الزراع ضعيفاً، ويكونوا إلى جانبه"^(٢)، وفي عصره كان المعتصم ومحمد بن عائذ الدمشقي (ت ٢٣٣هـ / ٨٤٧م) أبرز من تولوا خراج الشام^(٣).

وأما المعتصم، فقد اتخذ الأتراك وعينهم للإشراف على أمور الدولة الإدارية والمالية، فولى أرتكين التركي خراج الشام، فخرج عليه أحد أهل الشام وقتله^(٤)، نتيجة سياسته الظالمة في الخراج والتي اتبعتها مع أهل الشام، وقد مات المعتصم (٢٢٧هـ / ٨٤١م) وترك خلفه مبالغ طائلة من الذهب والفضة^(٥)، مما يدل على انتظام جباية الخراج في الدولة.

جـ- أثر الحركات في الشام على الوضع الاقتصادي

أثرت الحركات التي قامت في بلاد الشام ضد العباسيين بشكل كبير على الأوضاع الاقتصادية في بلاد الشام في العصر العباسي الأول.

فنهبت كثير من الأموال من بلاد الشام نتيجة هذه الحركات، وتأثرت الزراعة الشامية نتيجة الخراب والحرق الذي تعرضت له الأراضي الشامية وما فيها من مزارع وأشجار وبساتين^(٦)، وبسبب الهدم والتدمير تعطلت كثير من الصناعات الشامية، وأما التجارة فقد كان تأثير هذه الحركات عليها كبيراً، حيث خربت

(١) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص٦٤٦، مسكويه: تجارب الأمم، ج٦، ص٥٦٦

(٢) الكرديزي: زين الأخبار، ص١٠

(٣) مسكويه: تجارب الأمم، ج٦، ص٤٦٨، الذهبي: سير، ج١١، ص١٠٥-١٠٦،

ابن كثير: البداية، ج٨، ص٢٣١، ابن تغري بردي: النجوم، ج٢، ص٢٦٥

(٤) اسم قاتله هو إسحاق بن يحيى بن معاذ، ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص١٩١

(٥) مجهول: تاريخ الخلفاء والسلطين، مخطوط، و ٢٣ ب

(٦) الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص٤٤٥، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، ٨،

ص٨٠٢، ٨٠٧، بيطار: "الحياة الاقتصادية في الشام"، ص١٣٢، عاقل: "بعض ملامح الأوضاع

الاقتصادية في الشام"، مؤتمر بلاد الشام الخامس، ص١٢

الأسواق، وانعدم الأمن على الطرق التجارية، وكثرت الإعتداءات على أموال التجار وتجارتهم من قبل الثوار أنفسهم وأعوانهم، ومن قبل قطاع الطرق واللصوص الذين استغلوا هذا الأمر لنهب الأموال والأمتعة.

١- الأموال

استغل أهل الشام خروج عبدالله بن علي لمحاربة أبي الورد والسفياي (١٣٢هـ/ ٧٥٠م) في قنسرين وحلب وحمص، ونهبوا كثيراً من أمواله في دمشق عندما ثاروا مع ابن سراققة الأزدي^(١)، لكن عبدالله بن علي عاد وسيطر على الشام وأخذ أموالها، حيث أعطى جزءاً منها لأهل الشام أثناء عصيانه للمنصور سنة ١٣٧هـ/ ٧٤٤^(٢) حتى يكسبهم في صفه، لكن أهل الشام تراجعوا عنه بعد أن لمسوا تهديد العباسيين لأموالهم في الشام^(٣)، وهذا أدى إلى أخذ أبي مسلم أموال ابن علي إلى الخليفة أبي جعفر المنصور^(٤).

وفي حركة عبد السلام الخارجي (١٦٢هـ/ ٧٧٨م) زمن المهدي أخذ أموالاً كثيراً من المدن مقابل عدم مهاجمته لها^(٥)، وفي فتنة أبي الهيثم (١٧٦هـ/ ٧٩٢م) نهبت أموال كثيرة من قرى دمشق^(٦)، كما نهبت أموال مماثلة في حركة الوليد بن طريف (١٧٨هـ/ ٧٩٤م) من منطقة الجزيرة^(٧)، وفي حركة أهل دمشق على عامل دمشق (١٩٤هـ/ ٨٠٩م)، قام أهل دمشق بنهب الأموال التي كان يملكها^(٨)، وتعرضت أموال الخلافة للنهب من قبل نصر بن شبث الذي خرج على العباسيين في منطقة الجزيرة^(٩)، كما تعرضت الكنائس أيضاً للنهب في هذه الحركة^(١٠).

(١) الطبري : تاريخ الرسل، ج٧، ص ٤٤٤

(٢) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة، ج٢، ص ١٢٤، المنبجي : المنتخب من تاريخ المنبجي، ص ١١٨

(٣) الطبري : تاريخ الرسل، ج٧، ص ٤٧٦-٤٧٧، السامرائي : تاريخ الدولة الإسلامية، ص ٢٠

(٤) ابن أعمش : الفتوح، ج٨، ص ٢١٧، ابن أبي الدم : الشماريخ، مخطوط، و ٦٢ ب

(٥) ابن تغري بردي : النجوم، ج٢، ص ٤٢

(٦) ابن عساكر : تاريخ دمشق، مخطوط، ص ٨٠٣

(٧) خليفة : تاريخ خليفة، ص ٤٥٢، مجهول : العيون والحدائق، ج٣، ص ٢٩٦

(٨) اليعقوبي ك تاريخ اليعقوبي، ص ٢٠٩

(٩) الطبري : تاريخ الرسل، ج٨، ص ٦٠٠

Kennedy: The Early Abbasid Caliphate, p 168

(١٠)

وقد نبع تأثير ذلك على الوضع الاقتصادي في الشام من أن المال هو أساس أي اقتصاد، إذ لا يمكن أن تقوم زراعة أو صناعة أو تجاره بدون توفره.

ولنا أن نستدل على أهميته من أنه كان سبباً في القضاء على الفتن التي قامت في بلاد الشام في عصر الرشيد بين القبائل الشامية، فتم الإصلاح بينهم بعد إعطاء قادتهم وزعمائهم قدرأً من المال^(١)، ومن أنه كان سبباً من أسباب هزيمة مروان بن محمد أمام العباسيين في الزاب (١٣٢هـ / ٧٤٩م) عندما اندفع جنوده وانشغلوا بأخذ الأموال التي وضعت في مؤخرة الجيش وتركوا القتال^(٢)، كما أنه كان سبباً في هزيمة عبدالله بن علي أمام الخليفة المنصور، عندما تراجع أهل الشام عن القتال معه حفاظاً على أموالهم التي أصبحت تحت تهديد القوات العباسية^(٣).

٢- الزراعة

تعرضت كثير من مدن وقرى بلاد الشام للخراب والحريق نتيجة الحركات الشامية ضد العباسيين، فأحرقت في حركة أبي الورد والسفياي أجمة^(٤)، وفي قننة أبي الهيثام أحرقت بعض قرى الغوطة مثل بيت لهيا وداريا^(٥)، وأحرقت أراضي الرقة في حركة نصر بن شيبث العقيلي^(٦)، وبالإضافة إلى أراضي الرقة، فقد

(١) ابن عساكر : تاريخ دمشق، مخطوط، ٨م، ص ٧٥، ابن الأثير : الكامل، ج ٥، ص ٨٠٣، الصليبي : النقود ودورها الإعلامي، مؤتمر بلاد الشام الخامس، ص ٢٠.

(٢) مجهول : العيون والحدائق، ج ٢، ص ٢٠٢، ابن طباطبا : الفخري في الآداب، ص ١٤٧.

(٣) الطبري : تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٧٦ - ٤٧٧.

(٤) الطبري : تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٤٥.

وأجمة : موضع بالشام من نواحي حلب، ياقوت : معجم البلدان، ج ١، ص ١٠٣.

(٥) الجاحظ : البيان والتبيين، ج ١، ص ٢٠٢، ابن عساكر : تاريخ دمشق، مخطوط، ٨م، ص ٨٠٣-٨٠٧.

و داريا : قرية كبيرة في غوطة دمشق، ياقوت : معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٣١، وتبعد ٨ كم عن دمشق، ابن المبرد : رسائل دمشقية، ص ٢٥ "هامش".

(٦) حمادي : الجزيرة والموصل، ص ٧٤٥.

تعرضت كيسوم أيضاً للخراب في حركة نصر بن شبث^(١)، وخربت أيضاً زيزياء في حركة سعيد بن خالد العثماني (١٩٨هـ/٨١٣م)^(٢) وكذلك خربت أيلة في حركة أبي النداء ضد الرشيد (١٩٠هـ/٨٠٥م)^(٣).

وقد أدت تلك الأعمال إلى القضاء على عدد كبير من الأرض الزراعية والمزروعات في الشام، فتأثرت الأوضاع الاقتصادية للناس وخاصة الفلاحين.

وفي الوقت الذي نجد فيه عدداً كبيراً من الفلاحين يساندون المبرقع في حركته (٢٢٧هـ/٨٤١م) من أجل تحسين أوضاعهم^(٤)، فإننا نجد أن وجود هذا العدد الكبير ممن يشتغلون بفلاحة الأرض يدل دلالة قاطعة على ازدهار الزراعة في بلاد الشام في ذلك الوقت.

وتبرز أهمية الزراعة في حركات الشام من أنها كانت سبباً في قيام بعض هذه الحركات، وأنها كانت من عوامل انتصار طرف على آخر، أو تأثيرها على الدولة العباسية.

فقد كان الصراع على امتلاك الأرض الأفضل بين القبائل سبباً في فتنة أبي الهيثام (١٧٦هـ/٧٩٢م)^(٥)، كما أن الفتنة نفسها كانت بسبب الإعتداء على بستان رجل من أهل اليمن^(٦).

(١) الطبري : تاريخ الرسل، ج٨، ص ٦٠١.

(٢) ياقوت : معجم البلدان، ج٤، ص ٢٤٠.

(٣) الكندي : الولاة والقضاة، ص ١٤٣.

Schick: " Christianity in 'The Patrchate of Jerusalem In The Early Abbasid Period", p 11

(٤) الطبري : تاريخ الرسل، ج٨، ص ١١٦، ابن عساكر : تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٩، ص ٣٠،
حمارة : " ثورة الفلاحين ايام المعتصم"، ص ١٢، بيطار: " الحياة الاقتصادية في الشام"، ص ١٢٢،
حمارة : " مواقع ومدن في جنوب الشام"، ص ١٢.

(٥) مصطفى: دولة بني العباس، ص ٧١٢.

(٦) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٨، ص ٧٩٦، العش: تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص ٦٦.

وفي جانب آخر، فإن إزدهار الزراعة، ووجود القمح في منطقة حوران كان من عوامل انتصار اليمانية على القيسية في الفتنة نفسها، إذ هباً ذلك المدد والطعام لتلك القبائل، فاطمأنوا إلى مصدر عيشهم فحاربوا القيسية وهزمهم فيها^(١).

ونلمس تأثير الزراعة على العباسيين من حركتي الوليد بن طريف ونصر بن شبث اللذين خرجا في منطقة الجزيرة، ومنعاً وصول خراج منطقتيها إلى العباسيين^(٢)، فأدى ذلك إلى قلة واردات الدولة المتحصلة من المنطقة^(٣)، خاصة وأن هذه المنطقة كان الخراج المجبى منها كبيراً^(٤).

٣- الصناعة

ظهر تأثير الحركات على الصناعة الشامية من خلال الخراب والهدم الذي لحق ببعض مدن الشام^(٥)، ومن تأثيرها على الزراعة والتجارة الشامية، فتعطلت بعض الصناعات القائمة على موارد الزراعة، وكذلك الأمر مع الصناعات القائمة على التجارة والتي كانت تحضر من خارج البلاد، فتأثرت هذه الأمور بتدهور الأوضاع التجارية.

كما أن تأثر الأسواق الشامية التي هدم بعضها^(٦) نتيجة للحركات والإضطرابات ساهم في تعطيل بعض الصناعات الشامية التي كانت تصنع في الأسواق أو تلك التي تعرض فيها.

-
- (١) ابن عساكر : تاريخ دمشق، مخطوط، م، ص ٨٠٤، سليمان : الدولة الإسلامية، ص ١٠٠.
- (٢) ابن أعمش: الفتوح، ج٨، ص ٢١٢، طلس : تاريخ الأمة العربية، ص ١٥٠، عمر : الخليفة المجاهد هارون الرشيد، ص ٤٥، السامرائي : تاريخ الدولة العربية الإسلامية، ص ٦٧.
- (٣) عمر : الخليفة هارون الرشيد، ص ٤٥، Kennedy : The Prophet and The Age , p142.
- (٤) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان، ص ١٣٣.
- (٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م، ص ٨٠٦-٨٠٧، سليمان : الدولة الإسلامية في العصر العباسي، ص ١٠١ - ١٠٢.
- (٦) المنبجي : المنتخب من تاريخ المنبجي، ص ١١١، ابن شداد : الأعلام الخطيرة، ج١، ص ٣٧.

٤- التجارة

تأثرت تجارة الشام في العصر العباسي الأول من الحركات التي قامت فيه، فكان إحراق جسر الرقة في حركة عبدالله بن علي^(١)، وقطع جسر الزوارق في حركة نصر بن شبث^(٢)، ذا أثر كبير على انتقال التجار وتجارتهم بين بلاد الشام والبلدان الأخرى المجاورة.

ونتيجة لتلك الحركات فقد انعدم الأمن على الطرق التجارية، وأصبحت مهددة من قبل الثوار وقطاع الطرق^(٣)، الذين كانوا يقتلون التجار وينهبون أموالهم، فأعتدى الوليد بن طريف أثناء خروجه على الرشيد على طرق التجارة في الشام^(٤)، كما أنه قام بقتل التجار ونهب أموالهم^(٥).

والأمر نفسه حدث مع نصر بن شبث الذي نهب أموال التجار في منطقة الجزيرة^(٦)، وقد استغلت هذه الحركات من قبل اللصوص وقطاع الطريق، فكمّنوا للتجار وقتلوا عدداً منهم ونهبوا أموالهم، كما تعرضوا للأسواق ونهبوا ما بها من الأمتعة^(٧).

وكان هؤلاء يشاركون في الحركات لتحقيق أطماعهم، فاشتركوا في فتنة أبي الهيثام بدمشق^(٨)، وشاركوا في الصراع بين الأمين والمأمون^(٩)، كما شاركوا في

(١) البلاذري : أنساب الأشراف، ق ٢، ص ١٠٨.

(٢) رفاعي : عصر المأمون، ص ٢٧٦.

(٣) سليمان : الدولة الإسلامية، ص ١٠١-١٠٢، عمر : الخليفة المجاهد هارون الرشيد، ص ٣٦.

(٤) خليفة : تاريخ خليفة، ص ٤٥١-٤٥٢، الأزدي : تاريخ الموصل، ص ٢٨٢، الزواهره : تيسير : طرق التجارة والحج في بلاد الشام، مؤتمر تاريخ بلاد الشام الخامس، ص ٢١.

(٥) خليفة : تاريخ خليفة، ص ٤٥١.

(٦) الأزدي : تاريخ الموصل، ص ٢٢٤.

(٧) عمر : الخليفة هارون الرشيد، ص ٣٦، عمر : الجند الأموي والجيش العباسي، ص ٢٤.

(٨) الطبري : تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٦٢، ابن عساكر : تاريخ دمشق، مخطوط، م ٨، ٧٩٧، عمر : الجند الأموي والجيش العباسي، ص ٣٤.

(٩) الطبري : تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٤٧، ابن الأثير : الكامل، ج ٥، ص ١٥١.

حركة نصر بن شبيب العقيلي، وكان نصر نفسه من كبار قادتهم في الصراع بين الأمين والمأمون^(١).

وهكذا نلاحظ أن الوضع الاقتصادي في بلاد الشام بجميع جوانبه في التجارة والصناعة والزراعة والمال قد تأثر نتيجة الحركات والإضطرابات التي قامت في الشام.

وتبرز أهمية الاقتصاد في هذه الحركات، من أن كثيراً منها كان الدافع وراء قيامها دافعاً اقتصادياً، فمن أجل الحصول على الأموال هاجم عبيد حرّان وحلب الخزينة العباسية سنة ١٤١هـ / ٧٥٨م في عصر المنصور^(٢)، ومن أجل ذلك اشترك الزواقل في هذه الحركات طمعاً في الحصول على المال^(٣).

وحتى في حركة نصر بن شبيب، فإن الخليفة المأمون رأى في خروجه دافعاً اقتصادياً، لذلك نجده أثناء قيامه بالعصيان يعرض عليه الأموال لإنهاء العصيان^(٤).

وكان الدافع الاقتصادي المتمثل في الحصول على المال، وتحسين الأوضاع الاقتصادية سبباً في خروج التنوخيين في حاضر حلب وحاضر قنسرين على أهل البلاد في عصر المأمون سنة ٢٠٥هـ / ٨٢٠م^(٥).

وكان أيضاً سبباً في تأييد العدد الكبير من الفلاحين في فلسطين ولبنان ودمشق لأبي حرب المبرقع في خروجه على المعتصم في سنة ٢٢٧هـ / ٨٤١م^(٦)، والذين

(١) ابن الأثير : الكامل، ج٥، ص ١٧١

(٢) الأزدى : تاريخ الموصل، ص ١٧٢، حمادي : الجزيرة والموصل، ص ٧٥٤-٧٥٥

(٣) حمادي : الجزيرة والموصل، ص ٧٢٧، حمادي : " ثورة نصر بن شبيب"، ص ٢٧٢

(٤) ابن طيفور : كتاب بغداد، ص ٧٨

(٥) قدامة : الخراج، ص ٣٠٢، ياقوت : معجم البلدان، ج٢، ص ٢٠٦، حمزة : التنوخيون ودورهم في لبنان، ص ٣٦-٣٧

(٦) الطبري : تاريخ الرسل، ج٨، ص ١١٦، مسكويه : تجارب الأمم، ج٦، ص ٥٢٦، ابن عساكر : تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٩، ص ٣٠، الخازن : مظاهر الحضارة اللبنانية، ص ٣١، حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ١٦٦، حمارة : " مواقع ومدن في جنوب الشام"، ص ١٢، عاقل : " فلسطين من الفتح الى أوائل القرن ٤هـ"، ص ٢٨٠

ساندوه على أمل تحسين أوضاعهم، واسترجاع امتيازاتهم التي فقدوها بمجىء العباسيين، وليتخلصوا من ظلم العباسيين لهم^(١).

د- الوضع الاقتصادي في الشام

١- تمهيد

تمتعت بلاد الشام في العصر الأموي بوضع اقتصادي ممتاز، وذلك لأن الشام كانت مركز الدولة، فنالت بسبب ذلك من الخلفاء الأمويين وولاتهم الرعاية والإهتمام.

وصاحب الدخول العباسي إلى بلاد الشام التأثير على الأوضاع الاقتصادية الشامية، حيث نهب بيت المال الأموي في دمشق من قبل الأمويين أنفسهم، ومن قبل العباسيين أيضاً^(٢)، كما أن الأراضي الزراعية تعرضت للنهب من قبل الخليفة مروان ابن محمد وأعوانه أثناء هربه في الشام^(٣)، ومن العباسيين أيضاً الذين كانوا يعاقبون كل من يقف في طريقهم في بلاد الشام، فتعرضت أسواق مدينة دمشق للخراب والدمار^(٤)، بسبب مقاومة أهلها للجنود العباسيين الذين كانوا يحاصرونهم.

وغير ذلك فإن عدداً من المنشآت في تدمر والبلقاء وبيسان تعرضت للدمار والخراب من قبل العباسيين بسبب موقف أهلها أيضاً^(٥)، وكان لهذه الأعمال أثر كبير على الأوضاع الاقتصادية الشامية في الزراعة والصناعة والتجارة.

(١) بيطار : " الحياة الاقتصادية في الشام "، ص ١٢٣، حمارنة : " ثورة الفلاحين أيام المعتصم "، ص ١٢، مائل : " بعض ملامح الأوضاع الاقتصادية في الشام "، ص ٧، جوزي : " السفيناني "، ص ٥١، جوزي : " حنين العرب الى بني أمية "، ص ٦٧٧

(٢) ابن عبدربه : العقد الفريد، ج ٥، ص ٢٠٢

(٣) ابن أعمش : الفتوح، ج ٨، ص ١٨٧

(٤) ابن شداد : الأملق الخطيرة، ج ٢، ص ٢٧

(٥) الطبري : تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٤، الأصفهاني : الأغاني، م ٢٠، ص ٤١٥

وبعد أن أتم العباسيون سيطرتهم على الشام انتقل مركز حكمهم من الشام إلى العراق، وأصبحت الشام بذلك ولاية تابعة للخلافة العباسية في مركزها بالعراق.

وخلال العصر العباسي الأول سادت الأوضاع الاقتصادية في بلاد الشام فترة عدم استقرار اقتصادي، فتأثرت الأوضاع بسبب ذلك^(١).

ويعود عدم الاستقرار الاقتصادي إلى عدة أسباب، أهمها : الحركات التي قامت في بلاد الشام طوال هذا العصر، والتي خربت المدن والقرى الشامية، وأدت إلى اضطراب سياسي في الدولة^(٢)، منح الفرصة لقطاع الطرق والصوص للنهب والتخريب^(٣)، فأدى ذلك إلى انعدام الأمن^(٤)، وبالتالي التأثير على الأوضاع الاقتصادية الشامية بكافة مجالاتها.

وبالإضافة إلى الحركات، فإن صراع العصبية^(٥) الذي شهدته بلاد الشام وخاصة في عهد الرشيد كان له على الإقتصاد الشامي التأثير نفسه.

وكان للولاة على الشام أثر في ذلك، فأهمل بعضهم الاهتمام بولايتهم في الشام، ولم يطور الإقتصاد فيها، فأدى ذلك إلى تراجعها^(٦)، وهذا ما حصل مع والي دمشق في عصر الرشيد، حيث أصبحت دمشق في ولايته جرداء قاحلة بعد أن كانت جنة تحيط بها البساتين والمياه^(٧)، كما أن الشام في كثير من الفترات لم تخضع لوال واحد، وكان كل جند يدفع ضرائب للدولة^(٨)، وكان الولاة يثقلون على أهل أجنادهم فيها، فأدى ذلك إلى معاناتهم فتركوا الإشتغال بالأرض.

-
- (١) بيطار : الحياة السياسية، ص ٢٢٧
 - (٢) بيطار : الحياة السياسية، ص ٢٢٧
 - (٣) عمر : " الجند الأموي والجيش العباسي "، ص ٢٤
 - (٤) بيطار : "الحياة الاقتصادية في الشام"، ص ١٢٣
 - (٥) ابن عساكر : تاريخ دمشق، مخطوط، م، ص ٨٠٢، سليمان : الدولة الإسلامية، ص ١٠١-١٠٢
 - (٦) عاقل : " بعض ملامح الأوضاع الاقتصادية في الشام"، ص ١٢، بيطار : "الحياة الاقتصادية في الشام"، ص ١٢٤
 - (٧) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان، ص ١٠٤
 - (٨) ناجي، عبد الجبار : " نظرة في الأحوال الحضريّة لبلاد الشام"، مؤتمر بلاد الشام الخامس، ص ٢٩، عاقل : " بعض ملامح الأوضاع الاقتصادية في الشام"، ص ١٣

وتأثرت الأوضاع الاقتصادية أيضاً بنقل مركز الحكم من الشام إلى العراق، حيث انتقل بيت المال من دمشق إلى بغداد^(١)، وكان لهذا أثر كبير على الشام خاصة وأن بيت المال كان ينفق على المشاريع وتنمية الحياة في بلاد الشام ويخصها بكثير من الرعاية.

وبالرغم من هذا التأثير، فإن الأوضاع الاقتصادية في بلاد الشام في العصر العباسي الأول كانت جيدة، ويدل على ذلك النشاط الكبير الذي شهدته الزراعة والصناعة والتجارة الشامية، ويعود الفضل في هذا النشاط إلى اهتمام أهل الشام بهذه الموارد الأساسية للإقتصاد، ثم لاهتمام وعناية الخلفاء العباسيين، وبعض ولاتهم بالوضع الاقتصادي في بلاد الشام.

٢- الزراعة

شكلت الزراعة المورد الأساسي للحياة الاقتصادية الشامية في العصر العباسي، فاهتم أهل الشام بالزراعة فشهدت الشام نشاطاً زراعياً كثيفاً دلت عليه المساحات الواسعة من الأراضي التي زرعت بكافة الأصناف الزراعية، والأسواق التي عرضت فيها هذه الأصناف^(٢)، وكتب الجغرافيا والبلدان تعطي صورة واضحة عن هذا النشاط الزراعي بذكرها للأصناف وأماكن زراعتها.

فيذكر ابن الفقيه أن مدينة دمشق كانت مليئة بالبساتين^(٣)، وبعلمك أيضاً كانت كدمشق^(٤)، وأما الإصطخري فقد عدّ منطقة الشراة من أخصب مناطق الشام^(٥)، وأما الغوطة وقراها فيصفها الجغرافيون بأنها كانت مليئة بالزروع والأشجار المتصلة^(٦)، وقد عدّ ابن حوقل بيت المقدس من أخصب الأماكن، وأن حمص مدينة

(١) بيطار : " الحياة الاقتصادية في الشام "، ص ١٢٤

(٢) البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٨٤، حمادي : الجزيرة والموصل، ص ٢٢٧

(٣) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان، ص ١٠٤

(٤) اليعقوبي : البلدان، ص ٣٢٥

(٥) الإصطخري : مسالك الممالك، ص ٥٩

(٦) الإصطخري : مسالك الممالك، ص ٥٩، ابن حوقل : صورة الأرض، ص ١٦٠

كثيرة الزرع، وأشار أيضاً إلى خصوبة منطقة العواصم^(١)، وخصوبة هذه الأراضي تعود لوجود الأنهار والينابيع والعيون التي كانت تسقي هذه الأرض^(٢).

وأما أهم الأصناف الزراعية التي انتشرت زراعتها بالشام فكان منها الزيتون الذي اشتهرت زراعته في فلسطين^(٣)، وكذلك النخيل الذي زرع بكثرة في بيروت والغور^(٤) وبعلبك وعين زربه^(٥)، وزرع أيضاً قصب السكر في بيروت وبعلبك^(٦)، واشتهرت بالس والرقه بزراعة القمح والشعير^(٧)، وزرعت أنواع الخضار في حماه وحلب وشيزر^(٨).

-
- (١) ابن حوقل : صورة الأرض، ص ١٥٨، ١٦٢، ١٦٥ والعواصم : ولاية بها حصون وموانع، بين حلب وأنطاكية، وقصبتها أنطاكية، كان الناس يعتصمون بها فتحصيمهم، صيرها الرشيد جنداً واحداً ومنها منبج ودلوك وقورش وأنطاكية وتيزين ورمبان، ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ١٦٥ - ١٦٦، الحميري : الروض المعطار، ص ٤٢٢
- (٢) الإصطخري: مسالك الممالك، ص ٥٩، ابن حوقل : صورة الأرض، ص ١٦٠، ١٦٣
- (٣) ابن الفقيه : مختصر البلدان، ص ١٠٣، الإصطخري : مسالك الممالك، ص ٥٨، ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٥٩
- (٤) ابن حوقل : صورة الأرض، ص ١٦٠، ١٦٢ والغور: منطقة منخفضة بالشام بين بيت المقدس ودمشق، فيه نهر الأردن وقرى كثيرة، وعلى بحيرة طبريا والمدينة ومنها يأخذ مياهه، شديد الحر، ياقوت : معجم البلدان، ج٤، ص ٢١٧، الحميري: الروض المعطار، ص ٤٢١، البغدادي : مراصد، ج٢، ص ١٠٤
- (٥) الإصطخري: مسالك الممالك، ص ٦١، ٦٣ وعين زربة : بلد بالشفر من نواحي المصيصة، جددت ممارتها في عصر الرشيد، ياقوت : معجم البلدان، ج٤، ص ١٧٨
- (٦) الإصطخري: مسالك الممالك، ص ٦١، ابن حوقل : صورة الأرض، ص ١٦٢
- (٧) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٦٥
- (٨) ابن حوقل : صورة الأرض، ص ١٦٢ وشيزر : قلعة تشمل على كورة بالشام قرب المعرة وقريبة من حماه، ياقوت : معجم البلدان، ج٢، ص ٢٨٢

وأما المناطق التي انتشرت فيها زراعة أصناف متعددة من الفواكه فكانت جبال فلسطين والغور وعلبك^(١)، وكذلك شيزر وحماه ومنطقة الجزيرة والعواصم^(٢).

وتتميز من أنواع الفواكه : التين واشتهرت بزراعته فلسطين ومعة النعمان^(٣)، والجزيرة والعواصم^(٤)، وكذلك العنب في منبج^(٥)، وسائر جبال فلسطين^(٦)، وفي حلب وأنطاكية والمصيصة وصيدا وجرش وملطية^(٧)، وأما الرمان فقد انتشرت زراعته في فلسطين^(٨)، وكما تميزت فلسطين بزراعة الرمان فإن لبنان تميزت بزراعة التفاح الذي كان يضرب المثل بجودته^(٩).

وبالإضافة لذلك فقد زرع الجوز والفسق في منبج ومعة النعمان^(١٠)، وفي ملطية أيضاً^(١١).

-
- (١) ابن حوقل : صورة الأرض، ص ١٥٩ - ١٦٣
- (٢) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان، ص ١٢٠
- (٣) الإصطخري : مسالك الممالك، ص ٥٨، ابن حوقل : صورة الأرض، ص ١٥٩، ١٦٤ ومعة النعمان : مدينة كبيرة، من أعمال حمص بين حلب وحماه، ياقوت : المشترك، ص ٤٠١، ياقوت : معجم البلدان، ج ٥، ص ١٥٦، الحميري : الروض المعطار، ص ٥٥٥
- (٤) ابن الفقيه : مختصر البلدان، ص ١٢٠
- (٥) ابن حوقل : صورة الأرض، ص ١٦٦
- (٦) الإصطخري : مسالك الممالك، ص ٥٨
- (٧) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان، ص ١٢٣
- وملطية : بلد من بلاد الشام، أحد ثغور الشام، بناها أبو جعفر المنصور، ياقوت : معجم البلدان، ج ٥، ص ١٩٢، البغدادي : مراصد، ج ٢، ص ١٢٠، ١٢٠
- وجرش : بلد من أرض البلقاء وحوارن، من عمل دمشق، ياقوت : معجم البلدان، ج ٢، ص ١٢٧، الحميري : الروض المعطار، ص ١٥٩، وتقع جنوب شرق أريد، عبد القادر : أسماء المواقع، ص ٥٢
- (٨) ابن حوقل : صورة الأرض، ص ١٦٦
- (٩) ابن الفقيه : مختصر البلدان، ص ١١٧
- (١٠) ابن حوقل : صورة الأرض، ص ١٦٤، ١٦٦
- (١١) الإصطخري : مسالك الممالك، ص ٦٢، ابن حوقل : صورة الأرض، ص ١٦٦

ودل أيضاً على النشاط الزراعي في الشام، الأهمية البالغة التي نالتها زراعتها، وأدت إلى اشتهاها في كافة النواحي، مما دفع المعتصم إلى إحضار الغروس من الشام والجزيرة لزراعتها في سامراء أثناء بنائها^(١)، وإحضاره أيضاً الخشب والجذوع من أنطاكية وسواحل الشام لاستخدامها في بناء سامراء^(٢).

وبالإضافة لذلك فإن العدد الكبير من الفلاحين والحراثين في الأرض الذين أيدوا المبرقع في حركته ضد العباسيين (٢٢٧هـ / ٨٤١م) يدل على الاهتمام بالزراعة في بلاد الشام^(٣).

ويعود قسم كبير من الفضل في هذا النشاط الزراعي إلى تشجيع الخلفاء العباسيين للزراعة وتطويرها في أرض الشام^(٤)، فحفر عبدالله بن صالح نهراً أجراه على سلمية فانتعشت أراضيها الزراعية، كما زرع بعض الأصناف كالزعفران فيها^(٥)، وحفر المنصور نهر عيسى الأعظم على جانب الفرات فكانت السفن المحملة بقمح الشام تمر فيه^(٦)، وقام المهدي بحفر الانهار والبرك والقنوات في أرض الشام لتسقى منها الأراضي الشامية^(٧).

وأما المأمون فقد ساهم في تنمية الزراعة في هذه المنطقة حيث أجرى قناة مئين بين دير مران وجبل قاسيون^(٨).

-
- (١) اليعقوبي : البلدان، ص ٢٦٣
 - (٢) اليعقوبي : البلدان، ص ٢٥٨
 - (٣) الطبري : تاريخ الرسل، ج ٩، ص ١١٦-١١٧، ابن عساکر : تاريخ دمشق، مخطوط، م ١٩، ص ٣٠، حمارة : "مواقع ومدن جنوب الشام"، ص ١٣
 - (٤) حاملة : البنية الإدارية للدولة العباسية، ص ٧
 - (٥) اليعقوبي : البلدان، ص ٣٢٤
 - (٦) اليعقوبي : البلدان، ص ٢٥٠
 - (٧) النويري : نهاية الارب، ج ٢، ص ١١٣.
 - (٨) كردملي : خطط الشام، ج ٥، ص ٢٦٦-٢٦٧
ومئين : قرية من أعمال دمشق، بالغوطة، تبعد ١٦ كم من دمشق، ياقوت : معجم البلدان، ج ٥، ص ٢١٨، البغدادي، مرصود، ج ٣، ص ١٣٢٧
ودير مران : قرب دمشق على تل مشرف على مزارع، تحيط الأشجار به، ياقوت : معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٣٢-٥٣٤، الحميري : الروض المعطار، ص ٢٥٠
وجبل قاسيون : جبل مشرف على مدينة دمشق، ياقوت : معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٩٥

وهذا يدل على اهتمام العباسيين بالزراعة في الشام، وبذل الجهد في تطويرها وإصلاحها.

وطوال العصر العباسي الأول، فإن أهم المشاكل التي كانت تعيق وتأثر على الزراعة في الشام كانت تتلخص في الحركات التي تحرق وتخرّب الأرض الزراعية، ثم في ظلم العمال للفلاحين مما يؤدي إلى سوء أحوالهم.

٣- الصناعة

بالرغم من أن الصناعة في بلاد الشام تأثرت نتيجة الهدم والدمار، وانعدام الأمن في بلاد الشام الذي صاحب الحركات^(١)، إلا أنه قد وجد نشاط كبير للصناعة الشامية، فوجدت المصانع والمعامل في المدن والأسواق الشامية^(٢)، كما وجدت المهن والجماعات التي كانت تشتغل بهذه المهن^(٣) فيورد اليعقوبي أن المعتصم " أحضر الفعلة وأهل المهن والحداين والنجارين وسائر الصناعات من سواحل الشام وأنطاكية" للمساهمة في بناء مدينة سامراء^(٤).

وحظيت الصناعة الشامية بدعم الخلفاء العباسيين، فأتخذ المهدي المصانع في كل مكان^(٥)، وشجع صناعة السفن في لبنان^(٦) وغيرها من مدن الشام، فاشتهرت هذه الصناعة في العصر العباسي^(٧)، وبالإضافة إلى صناعة السفن والمراكب فقد برزت في الشام صناعة الأسلحة والمعادن^(٨)، وصناعة البلاط الأزرق في عصر

(١) بيطار : الحياة السياسية، ص ٢٢٨، سليمان : الدولة الإسلامية، ص ١٠١-١٠٢.

(٢) حمادي : الجزيرة والموصل، ص ٢٢٧، علي : تاريخ بلاد الشام، ص ١٨٧.

(٣) علي : تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي، ص ١٦٢.

(٤) اليعقوبي : البلدان، ص ٢.

(٥) الخويري : نهاية الأرب، ج ٢، ص ١١٣.

(٦) اليعقوبي : البلدان، ص ٣٢٧، الخازن : مظاهر الحضارة اللبنانية، ص ٤٦.

(٧) اليعقوبي : البلدان، ص ٢٥، ٣٢٧.

(٨) علي : تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي، ص ١٨٧.

المأمون^(١)، كما اشتهرت بالشام صناعة الرخام، وقد حمل المعتصم جزءاً كبيراً منه لاستخدامه في بناء سامراء، وبرزت بصناعاته مدينة اللاذقية^(٢)، وظهرت في عصر المأمون صناعة الخط، فاستقدم المأمون الصناع والعمال لعمل الخط الذي كتب فيه على المسجد الأقصى عندما زار بيت المقدس لترميمه^(٣).

وبرزت في بلاد الشام صناعة الأدوية التي قامت على نباتات زراعية كالهليون^(٤)، وصناعة المراكن^(٥) التي برزت في عصر المعتصم، وقد كان الهليون يحمل في مراكن الرصاص من الشام إلى بغداد، وأكثر المدن التي اشتهرت بهذا هي دمشق^(٦).

ومن الصناعات الشامية أيضاً صناعة قصب السكر التي انتشرت في بيروت^(٧) وفي بعلبك^(٨)، وكذلك صناعة الصابون في حلب وبالس التي كان يعمل بها الصابون الكثير^(٩). وازدهرت أيضاً صناعة الملح في البحيرة المنتنة^(١٠).

-
- (١) العارف : تاريخ الحرم القدسي، ص ١٦
 - (٢) اليعقوبي : البلدان، ص ٢٥٨
واللاذقية : مدينة على ساحل بحر الشام تعد من اعمال حمص، ياقوت : معجم البلدان، ج٥، ص ٥، البغدادي : مراصد، ج٢، ص ١١٩٣
 - (٣) العارف : تاريخ الحرم القدسي، ص ١٦
 - (٤) الهليون : نبات طبي ذو منافع، الصابيء : رسوم دار الخلافة، ص ١٨، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/١٣١١م) : لسان العرب المحيط، تحقيق يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، ج٢، ص ٨٢٦، وسيشار إليه هكذا: ابن منظور: لسان العرب.
 - (٥) المراكن : جمع مركن وهو طشت تحفظ فيه الأثمار من أذى الحر، الصابيء : رسوم دار الخلافة، ص ١٨
 - (٦) الصابيء : رسوم دار الخلافة، ص ١٨
 - (٧) ابن حوقل : صورة الأرض، ص ١٦٢
 - (٨) الإصطخري : مسالك الممالك، ص ٦١
 - (٩) ابن حوقل : صورة الأرض، ص ١٦٣، ١٦٥
 - (١٠) ابن خردادبة : المسالك والممالك، ص ٧٩
والبحيرة المنتنة : بحيرة زغر، وتقع غربي الأردن، بالقرب من مدينة أريحا، ياقوت : معجم البلدان، ج١، ص ٣٥٢

٤- التجارة

ازدهرت تجارة الشام في العصر العباسي، وذلك لعدة أسباب أهمها:

أولاً: موقع الشام التجاري^(١)، فقد كانت الشام تشكل حلقة وصل بين البلدان الإسلامية في العراق والحجاز ومصر وأفريقيا وبلاد خراسان، وكان التجار يمرّون بها أثناء ذهابهم للتجارة بين هذه البلدان، فاتصل تجار الشام بهم وتعاملوا معهم.

وبخلاف ذلك فإن الشام تقع على طريق الحج إلى بلاد الحجاز، وكان الحجاج يمرّون من بلاد الشام فيقوم تجار الشام ببيع تجارتهم لهم.

ثانياً: وجود عدد كبير من الأصناف الزراعية في بلاد الشام^(٢)، فحملت هذه الأصناف من قبل التجار إلى الناس بين مدن الشام، كما حملت بواسطتهم إلى خارج البلاد، فأدى ذلك إلى عرضها في الأسواق التي امتلأت بهذه الأصناف، كذلك كان للصناعة دور في تقدم التجارة فتبادل التجار صناعات مدنها وتاجروا بها.

ثالثاً: اهتمام الخلفاء بالتجارة وتسهيل أمور التجار، حيث أقام الخلفاء المحطات في طريق القوافل^(٣) ليستريح فيها التجار ودوابهم أثناء تنقلهم بتجارتهم بين البلدان، وقد برزت في هذا المجال مدينة معان^(٤)، وأيضاً مدينة حمص التي كانت مليئة بالفنادق المخصصة لهذه الغاية^(٥).

(١) بيطار : الحياة السياسية، ص ٣٨

(٢) حمادي : الجزيرة والموصل، ص ٢٢٧، بيطار : الحياة السياسية، ص ٣٣٨، انظر، ص ٢٥-٢٦

(٣) النويري : نهاية الأرب، ج ٢، ص ١١٣، بيطار : الحياة السياسية، ص ٣٣٨

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض، ص ١٦٧

ومعان : مدينة في طرف بادية الشام، من نواحي البلقاء، ياقوت : معجم البلدان، ج ٥، ص ١٥٣ - ١٥٤، وتقع جنوب الأردن حالياً، عبد القادر : أسماء المواقع، ص ١٧٣.

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض، ص ١٦٢

كما قام الخلفاء بقتل اللصوص وقطاع الطرق الذين كانوا يتعرضون للتجار وينهبون أموالهم^(١).

وبالإضافة لذلك فإن الخلفاء حفروا الأنهار لتمر بها السفن التجارية، فحفر المنصور نهر الفرات إلى بغداد لتمر فيه السفن المحملة ببضائع الشام والجزيرة الموصل^(٢)، وحفر المنصور نهر عيسى - كما أشرنا - لتمر منه السفن التجارية المحملة بقمح الشام ومصر^(٣).

وشجع الخلفاء على صناعة المراكب التي تحمل بضائع التجار، فكانت هذه المراكب تخرج من مدن الشام محملة بالبضائع^(٤)، كما اهتم الخلفاء بالأسواق، فكانت أسواق مدينة حمص مبلطة^(٥)، وكان الخلفاء يزيّدون الأسواق حتى يسهل على التجار عرض تجارتهم فزاد الرشيد أسواق مدينة الرقة^(٦)، وظهرت نتيجة ذلك في الشام أسواق عامرة بالتجار وبضاعتهم في منبج وحمص وحلب^(٧)، وسلمية التي اشتهر أهلها بتجارتهم وبسوقهم الذي كان يستمر ثلاثة أشهر وكان يشترك فيه التجار من كافة أنحاء الشام بعد أن يدفعوا مكوساً للقائمين على هذا السوق عن فترة الثلاثة أشهر^(٨).

-
- (١) الطبري : تاريخ الرسل، ج٨، ص٢٦٢، ابن عساكر : تاريخ دمشق، مخطوط، م٨، ص٧٩٧
 - (٢) الدينوري : الأخبار الطوال، ص٢٨٣
 - (٣) اليعقوبي : البلدان، ص٢٥
 - (٤) اليعقوبي : البلدان، ص٣٢٧، ابن الفقيه : مختصر البلدان، ص١٢٥، الإصطخري : مسالك الممالك، ص٦٣
 - (٥) ابن حوقل : صورة الأرض، ص١٦٢
 - (٦) البلاذري : فتوح البلدان، ص١٨٤
 - (٧) ابن حوقل : صورة الأرض، ص١٦٢ - ١٦٣، ١٦٥
 - (٨) اليعقوبي : البلدان، ص٣٢٤، قدامة : الخراج، ص٢٩٨، أمين، محمود: سلمية في خمسين قرناً، ١٩٨٣، ص٧٥-٧٦

وقد أدت هذه الأمور إلى ازدهار التجارة الشامية، فاشتغل أهل الشام بالتجارة، وعرفت المدن التجارية^(١)، فكانت تجارة بيروت " صادرة وواردة"^(٢)، وكانت المراكب تخرج محملة بالبضائع من صور^(٣)، وكذلك الأمر بالنسبة لبالس وحمص وأنطاكية^(٤)، وأيلة التي كانت حلقة وصل تربط الأردن وفلسطين ومصر بالحجاز، وعمان أيضاً التي برزت كمركز هام لثلاث طرق ربطت الشام بالجزيرة العربية والحجاز^(٥).

فأعطى هذا الأمر اهتماماً أكبر لدى أهل الشام بالتجارة، وظهر هذا الاهتمام في اعتراضهم على الخليفة العباسي المنصور الذي أراد بناء مدينة الرافقة^(٦) عند الروم، فاحتجوا أن ذلك يعطل أسواقهم قائلين : " تعطل أسواقنا، وتذهب بمعاشنا، وتضيق منازلنا"^(٧).

-
- (١) علي: تاريخ الشام في العصر العباسي، ص ١٨٦
 - (٢) ابن حوقل : صورة الأرض، ص ١٦٢
 - (٣) اليعقوبي : البلدان، ص ٣٢٧
 - وصور: بلد مشرفة على بحر الشام من ثغور المسلمين، شرق عكا، ياقوت: المشترك، ص ٢٨٦، ياقوت : معجم البلدان، ج٢، ص ٢٤٢، البغدادي : مراصد، ج٢، ص ٨٠٦
 - (٤) ابن حوقل : صورة الأرض، ص ١٦٢، ١٦٥، علي : تاريخ الشام في العصر العباسي، ص ١٨٦
 - (٥) فوانمة، يوسف : " التقسيمات الإدارية في مختلف العصور الإسلامية"، الموسوعة الأردنية، الأرض والانسان، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٩، ج١، ص ٢٣٧
 - (٦) الرافقة : بلد متصل بالرقّة في البناء، على ضفة نهر الفرات، من أعمال الجزيرة، بناها المنصور سنة ١٥٥هـ/ ٧٧١م على بناء بغداد، ياقوت : معجم البلدان، ج٢، ص ١٥، ياقوت : المشترك، ص ١٩٧
 - (٧) الطبري : تاريخ الرسل، ج٨، ص ٤٤

الفصل السادس

**الوضع الإداري في بلاد الشام
في العصر العباسي الأول**

الفصل السادس

الوضع الإداري في بلاد الشام في العصر العباسي الأول

أ- الأجناد الشامية والتغييرات الإدارية

(١) التغييرات الإدارية

(٢) كور ومدن الأجناد

ب- انتقال مركز الحكم من بلاد الشام

ج- الإدارة العباسية في بلاد الشام

(١) بناء المدن

(٢) تحصين الثغور

(٣) إشراف الخلفاء على الشام

د- ولاية الشام في العصر العباسي الأول

هـ- مشاركة أهل الشام في إدارة الدولة

(١) القضاء

(٢) الكتابة والوزارة

و- الدواوين والإشراف عليها

١- الأجناد الشامية والتغييرات الإدارية

(١) التغييرات الإدارية

أطلق لفظ «الجند» في بلاد الشام على كل ناحية تحتوى على عدد من الكور، وأيضاً سميت كل ناحية فيها جنود يأخذون أجورهم من خراجها جنداً^(١)، ولفظ الجند لم يستخدم في الدولة الإسلامية إلا في بلاد الشام فقط^(٢)، فلم يعرف في المغرب أو في مصر أو العراق أو غيرها، وقد احتوى كل جند عدداً من الكور، وهذه الكور ضمت عدداً من القرى، وكل جند من الأجناد كانت له قسبة^(٣)، وهذه القسبة بمثابة العاصمة أو المدينة الرئيسية للجند.

والأجناد نظام إداري عرف في الدولة الإسلامية في بلاد الشام منذ العصر الراشدي، وكان الهدف من هذا النظام يتلخص في تنظيم الحياة الإدارية في الجند، ثم سهولة العناية بالجند، وسهولة مراقبته أيضاً من قبل السلطة العليا في الدولة، وإضافة لذلك وجد هدف عسكري يتمثل في دفاع كل جند عن منطقته^(٤). والخلفاء اهتموا بالأجناد، وقد أرادوا من هذا الاهتمام تحقيق الأمن والاستقرار فيها، ثم هدف اقتصادي يتمثل في الخراج المجبى من هذه الأجناد.

والمصادر التاريخية أمدتنا بصورتين من عهد الخليفة المأمون، كل واحدة منهما تعطي مثالا لأحد تلك الأهداف.

-
- (١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٢٨، ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ١٠٣.
والجند: هم الاموان والانصار، والجند هي العسكر والجمع الاجناد، وقد خص به أبو عبيدة مدن الشام المقيمين بها من المسلمين المقاتلين، ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ٥١٢-٥١٣.
- (٢) ناجي: «نظرة في الأحوال الحضرية في الشام»، ص ٧.
- (٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٥٤، خمّاش: الشام في صدر الإسلام، ص ٢١٧، ناجي: «نظرة في الأحوال الحضرية في الشام»، ص ٧.
- (٤) الزبيري: نسب قریش، ص ١٢٥، خمّاش: الشام في صدر الإسلام، ص ٢١٥.

فوجد المأمون يكتب في الأولى إلى عماله في حمص والأردن وفلسطين ودمشق بأن يخففوا عن الناس في الخراج، وأن يعاملوهم معاملة حسنة في تحصيله^(١)، وقد أراد المأمون من ذلك الأمر أن يكسب ولاء أهل الشام، خاصة وأن الشام خرجت عن طاعته أكثر من مرة.

وفي الصورة الثانية نجد المأمون نفسه يفرض على الأجناد الشامية الأموال^(٢)، لأن المال قلّ عنده، والخراج الوارد إليه لم يكف لمتطلبات الدولة التي أنفقت الكثير من الأموال من أجل إخماد الحركات في الشام.

ولصعوبة الإشراف على أكثر من جند فغالباً ما كان جند يتولاه والٍ واحد، وقليلاً ما كان الوالي يشرف على أكثر من جند^(٣)، وإذا تم ذلك فإن ذلك يعود إلى ظروف الدولة لتحقيق الاستقرار فيها كما حصل مع عبدالله بن علي الذي تولى الشام كله في خلافة السفاح حتى يقضي على ثوراتها ضد العباسيين، أو ما حصل مع عبد الملك بن صالح الذي ولاه الأمين الشام كله سنة ١٩٦هـ/٨١١م^(٤) حتى يكسب تأييدهم له خاصة وأن عبد الملك كان محبوباً من قبل أهل الشام لسيرته معهم إبان ولايته عليهم من قبل أثناء خلافة هارون الرشيد^(٥).

وقد حدثت على الأجناد الشامية إبتداءً من العصر الأموي ومروراً بالعصر العباسي تغييرات إدارية تبعاً لظروف الدولة السياسية والعسكرية من فترة لأخرى أوبين خليفة وآخر.

ففي العصر الراشدي كانت بلاد الشام تتكون من أربعة أجناد هي: دمشق والأردن وفلسطين و (حمص وقنسرين)^(٦)، وظلت هذه الأجناد كما هي عليه حتي

(١) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ٦٤٦.

(٢) الأزدي: تاريخ الموصول، ص ٤١٢.

(٣) خمّاش: الشام في صدر الاسلام، ص ٢١٧، عاقل: «فلسطين من الفتح العربي الى اوائل القرن ٤هـ»، ص ٣٠٥، ناجي: «نظرة في الاحوال الحضرية في بلاد الشام»، ص ٢٩.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ٤٢٤.

(٥) مجهول: تاريخ الدولة العباسية، مخطوط، و ١٢٧، ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص ٦٢.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٢٨، جهادية القره غولي: العقلية العربية في العصر العباسي، ص ٥٣.

العصر الأموي، فحدث أول تغيير عليها من قبل الخليفة الأموي يزيد بن معاوية، الذي فصل قنسرين عن حمص فاصبح كل منهما جنداً مستقلاً، وضم إلى قنسرين منبج وأنطاكية ومنطقة الجزيرة، وما تضمنه من مدن^(١).

والتغيير الثاني على الأجناد قام به الخليفة عبد الملك بن مروان الذي أخرج منطقة الجزيرة من جند قنسرين وجعلها جنداً مستقلاً يأخذ جنودها أعطياتهم من خراجها^(٢)، والسبب الذي دفع عبد الملك إلى هذا العمل هو تهديد الروم لبلاد الشام وهجماتهم المتكررة عليهم، فأراد من منطقة الجزيرة -وكانت متاخمة لحدودهم- جعلها منطقة دفاعية ضدهم، وذلك بإقامة التحصينات والقلاع وترتيب العساكر فيها.

ولما سيطر مروان بن محمد على الشام وتولى الخلافة (١٢٧هـ/٧٤٤م) أعطى الأجناد جانباً من الحرية الإدارية، فمنحها حق إختيار ولاتها، فاختر أهل حمص وفلسطين والأردن ودمشق ولاية أجنادهم^(٣)، وقد أراد مروان من هذا الأمر أن يكسب تأييد هؤلاء القادة وأهل الأجناد له، خاصة وأنهم كانوا قد خرجوا عليه عندما كان في طريقه للحصول على الخلافة.

لكن إجراءات مروان بمنحهم الحرية لم تجلب له تأييدهم، فأحسوا بنوع من الثقة دفعتهم للخروج عليه مرة أخرى في كل أجناد الشام، لكن مروان استطاع أن يقضي على حركات الأجناد هذه بعد صراع استمر خمس سنوات في الفترة بين (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٤٩م)^(٤).

وفي العصر العباسي كان أول تغيير حدث على الأجناد هو ما قام به الخليفة أبو العباس السفاح الذي فصل جند فلسطين عن الشام^(٥) وولاه لصالح بن علي، وضمه إلى مصر وأضيفت إلى فلسطين منطقة البلقاء، وإذا كان هدف أبي العباس من ضم البلقاء إبعاد القبائل القيسية فيها عن أعوانهم^(٦) في الأجناد الأخرى بسبب

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٢٨، ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٦٥.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٢٨، ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ١٠٢.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٢١٢، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٥، ص ٢٠٧.

(٤) انظر في الفصل الأول: حركات الأجناد ضد مروان بن محمد، ص ١٨-٣١.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٦٠، القره غولي: العقلية العربية في العصر العباسي، ص ٥٥.

(٦) خريسات: «البلقاء من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن ٢هـ»، ص ٦٢-٦٣.

خروجهم على العباسيين أثناء دخولهم الشام، فإنه أراد من فصلها ضمان السيطرة على أجناد الشام جميعها ففصلت فلسطين وأصبح يشرف عليها وال مستقل هو صالح بن علي^(١).

وفي عصر المنصور عادت البلقاء وضمت إلى دمشق^(٢)، لأن الأمور قد استقرت بالشام بسيطرة الخليفة المنصور على الدولة بعد القضاء على حركة عبدالله بن علي، فلم يعد هناك أي مبرر لبقاء انضمام البلقاء إلى فلسطين.

وأحدث الرشيد في سنة ١٧١هـ/٧٨٧م تغييراً على الأجناد بأن أفرد قنسرين بكورها وصيرها جنداً واحداً، وفصل عنها منبج ودلوك ورعبان وقورش وتيزين^(٣) وأنطاكية وسماها «العواصم»، وجعل الرشيد منبج مدينة للعواصم^(٤)، فلقبت منبج بذلك مكانة كبيرة منحت بموجبها الرعاية والإهتمام^(٥)، وقد سميت العواصم بهذا الإسم «لأن المسلمون يعتصمون بها فتعصمهم وتمنعهم إذا انصرفوا من غزوهم»^(٦). ويذكر ابن حوقل أن العواصم ليست مدينة وإنما هي إسم للناحية كلها، وأن هذه

(١) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٤٦٠.

(٢) الزبيري: نسب قريش، ص ٨٧، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٨١، خريسات: «البلقاء من الفتح الإسلامي الى نهاية القرن ٢ هـ»، ص ٦٣.

(٣) دلوك: بلد قديم من نواحي حلب، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٦١.
ورعبان: مدينة بالثغور قرب الفرات، بين حلب وسميساط، ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٥١، البغدادي: مراصد، ج ٢، ص ٦٢١.

وقورش: مدينة قديمة ذات آثار من نواحي حلب، ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤١٢.
وتيزين: قرية كبيرة من نواحي حلب، كانت تعد من أعمال قنسرين، ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤١٢.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٢٨، قدامة: الخراج، ص ٢٩٩، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٣٢٤، ياقوت: معجم البلدان، ج ٨، ص ١٠٣، ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ١ ق ١، ص ٩.

(٥) Fiey, Jean Maurice: The Syriac Population of the Thughur al - Shamiyya and the Awasiim and its relation with the Byzantines and with the Muslims, P5, مؤتمر بلاد الشام الخامس

(٦) قدامة: الخراج، ص ٢٩٩، ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٦٥-١٦٦، ابن الشحنة: الدر المنتخب، ص ٩.

الناحية فيها أسواق ومياه وأشجار ودور ومزارع ومساجد^(١)، وضمت هذه العواصم شغور الشام والجزيرة، وكان يشرف على هذه الشغور نواب يعينون من قبل ولاية أجناد الشام^(٢).

ونظراً لأهمية هذه الشغور من الناحية العسكرية فقد لقيت اهتمام خلفاء بني العباس وقادتهم، فكانوا يشحنونها بالعدة والسلاح والرجال، وهناك من أقام فيها منهم كالخليفة هارون الرشيد، وكذلك والي الشام عبد الملك بن صالح الذي سكنها مع أولاده سنة ١٧٣هـ/٧٨٩م في عصر هارون الرشيد^(٣).

وبعد فصل الرشيد هذا أصبحت أجناد الشام ستة أجناد وهي : فلسطين وحمص ودمشق والأردن وقنسرين و(الجزيرة والعواصم)^(٤)، وبقيت أوضاع هذه الأجناد كما هي طيلة العصر العباسي الأول.

(٢) كور ومدن الأجناد

وأما أهم الكور والمدن التي احتوتها الأجناد الشامية فهي كما يلي:

جند دمشق

وهو أكبر الأجناد بعد فصل قنسرين عن حمص، وهو الأكثر اهتماماً من قبل الخلفاء لأن دمشق هي قسبة هذا الجند^(٥)، ومدينة دمشق هي الغوطة^(٦).

وقد احتوى جند دمشق على كور برية وبحرية، فأما البرية فهي: كورة البقاع ومدينتها بعلبك^(٧)، وكورة حوران ومدينتها بصرى، وكورة البثنية ومدينتها

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٦٥.

(٢) ابن شداد: الأملق الخطيرة، ج ٢ ق ٢، ص ٩٣.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٢٨، ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٦٥.

(٤) الاصطخري: مسالك الممالك، ص ٥٥، ابن شداد: الأملق الخطيرة، ج ١ ق ١، ص ٩.

(٥) الاصطخري: مسالك الممالك، ص ٥٩.

(٦) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ١٠٥.

(٧) اليعقوبي: البلدان، ص ٣٢٥.

أذرعات^(١)، وكورة الظاهر ومدينتها عمان، وكورة الغور ومدينتها أريحا، وكورة الجبال ومدينتها غرندل، وكورة الجولان ومدينتها بانياس^(٢)، وكورة الشراة ومدينتها أذرح^(٣)، ومن مدنها الشراة وتضم أيلة ومعان ومدين وتبول ومآب^(٤).

ومن كور الجند البرية أيضا كورة زغر^(٥)، وجبل لبنان أيضاً من المناطق التابعة لجند دمشق^(٦).

وأما الكور البحرية التي تتبع جند دمشق فهي: صيدا وبירות وطرابلس وجبيل وعرق^(٧).

(١) أذرعات: بلد في أطراف الشام يجاور البلقاء وعمان، ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ١٣٠، الحميري: الروض المعطار، ص ١٩، البغدادي: مراصد، ج ١ ص ٤٧.

(٢) اليعقوبي: البلدان، ص ٣٢٦.
والجولان: جبل من نواحي دمشق من عمل حوران، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٨٨.
وبانياس: كورة صغيرة وحصن بسواحل حمص، ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٥١٧، الحميري: الروض المعطار، ص ٧٤.

(٣) ابن شداد: الاعلام الخطيرة، ج ٢ ق ٢، ص ٨٢.
واذرح: بلد بأطراف الشام من أعمال الشراة، من نواحي البلقاء، ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ١٢٩-١٣٠، الحميري: الروض، ص ٢١، البغدادي: مراصد، ج ١، ص ٤٧.

(٤) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٥٥.
ومدين: مدينة على ساحل بحر القلزم، تجاه تبوك بين المدينة والشام، ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ٧٧.

وتبوك: موضع بين والي القرى والشام، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٤.
ومآب: مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء، ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣١.

(٥) اليعقوبي: البلدان، ص ٣٢٦.
وزغر: قرية بمشارف الشام، قريبة من بيت المقدس من ناحية الحجاز، ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٤٢.

(٦) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ١١٢.

(٧) اليعقوبي: البلدان، ص ٣٢٦-٣٢٧، ابن شداد: الاعلام الخطيرة، ج ٢ ق ٢، ص ٩٢.
وعرقه: بلد شرق طرابلس، في آخر عمل دمشق، ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٠٩، البغدادي: مراصد، ج ٢، ص ٩٣٧.

جند حمص

وقصبة هذا الجند هي مدينة حمص، وأما المدن البرية التي يحتويها هذا الجند فهي سلمية^(١)، تدمر، حماه، وشيزر، ومعرة النعمان، وأفامية، والرسن^(٢)، كذلك يحوي هذا الجند مدن الخوابي وكفرطاب والخصاص^(٣)، وكذلك صوران والبارة^(٤).
وأما المدن البحرية في هذا الجند فهي اللاذقية، وبانياس، وجبله، وانطرسوس^(٥)، وكذلك مدن مرقية وزندك، وكذلك الحولة والسقي^(٦).

-
- (١) الاصطخري: مسالك الممالك، ص ٦١.
(٢) اليعقوبي: البلدان، ص ٢٢٤.
وأفامية: كورة من سواحل حمص، ياقوت: المشترك، ص ٢٢٩، ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٢٢، البغدادي: مراصد، ج ٢، ص ١٠١٦.
والرسن: بلد قديم على نهر العاصي بين حماه وحمص، ياقوت: معجم البلدان، ج ٤٣، البغدادي: مراصد، ج ٢، ص ٦١٥.
(٣) المقدسي: احسن التقاسيم، ص ١٥٤.
وكفرطاب: بلد بين المعرة وحلب، ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٧٠، الحميري: الروض، ص ٥٠٠.
والخصاص: بلدة من اعمال حلب بجانب قنسرين، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٩٠.
(٤) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص ٧٥.
وصوران: كورة بحمص وجبل قريب من دابق، ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٣٢.
والبارة: بليدة وكورة من نواحي حلب، ياقوت: المشترك، ص ٣٥، ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٢٠، البغدادي: مراصد، ج ١، ص ١٥٢.
(٥) اليعقوبي: البلدان، ص ٢٢٥.
وجبله: بلدة بسواحل الشام من اعمال حلب قرب اللاذقية، ياقوت: المشترك، ص ٩٥، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٠٥.
وانطرسوس: بلد من سواحل الشام أول اعمال حمص من البلاد الساحلية، ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٧.
(٦) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص ٧٥.
والحولة: من اعمال حمص بين حمص وطرابلس، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٢٣.
والسقي: موضع قريب من حمص نظام دمشق، ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٢٩، البغدادي: مراصد، ج ٢، ص ٧٥١.

جند الأردن

وقصبة هذا الجند هي مدينة طبرية^(١)، وأما الكور التي احتواها هذا الجند فهي برية وبحرية:

فمن المدن البرية مدينة القدس والسواد وبيسان^(٢)، وكذلك صفورية وبيت راس^(٣)، وكذلك اللجون والسامرة^(٤)، وكذلك جرش وفحل^(٥).

وأما مدن الجند البحرية فهي: صور^(٦) التي ظلت تابعة لهذا الجند حتى عين الفاطميون عليها ولاية من جهتهم، ومن المدن البحرية أيضاً عكا ووضعها في الجند كما هي صور^(٧)، ومن المدن الساحلية أيضاً حيفا^(٨).

جند فلسطين

كانت قصبة هذا الجند هي اللد^(٩) حتى بني سليمان بن عبد الملك - وكان يتولى هذا الجند في عهد أخيه الوليد - مدينة الرملة فأصبحت هي القصبة^(١٠).

- (١) المقدسي: احسن التقاسيم، ص ١٥٤.
- (٢) اليعقوبي: البلدان، ص ٣٢٧.
- (٣) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص ٧٨.
- وصفورية: بلدة من نواحي الأردن قرب طبرية، ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٤١٤، وتقع شمال غرب الناصرة، عبد القادر: اسماء المواقع، ص ١١٠.
- وبيت راس: كورة بالأردن، ذات كروم كثيرة، ياقوت المشترك، ص ٧٥، ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٥٢٠، وتقع شمال اربد، عبد القادر: اسماء المواقع، ص ٢٠.
- (٤) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٥٤.
- (٥) اليعقوبي: البلدان، ص ٣٢٧.
- وفحل: موضع بالشام بالقرب من طبرية في الأردن، ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٣٦-٢٣٧، الحميري: الروض المعطار، ص ٤٣٦، البغدادي: مراصد، ج ٣، ص ١٠١٨.
- (٦) الاصطخري: مسالك الممالك، ص ٥٩.
- (٧) ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ٢ ق ٢، ص ١٦٤، ١٧٣.
- (٨) ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ٢ ق ٢، ص ١٢٤.
- (٩) اللد: قرية قريبة من بيت المقدس من نواحي فلسطين، ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ٨٥، وتقع حالياً شمال شرق الرملة، عبد القادر: اسماء المواقع، ص ١٦٤.
- (١٠) اليعقوبي: البلدان، ص ٣٢٨.

ويشتمل هذا الجند على كور برية وبحرية، فأما أهم الكور البرية فهي الخليل وقيسارية^(١)، وظلت هاتان المدينتان تابعتين لجند فلسطين حتى احتلها الفرنج في سنتي (٤٩٢هـ/١٠٩٨م) و (٤٩٤هـ/١١٠٠م) على التوالي^(٢)، كذلك من كور الجند مدينة نابلس وأرسوف وميماس وإيليا وعمواس وسبسطية وبيت جبرين، وأما من مدن الجند البحرية فهناك مدينة يافا، وكذلك مدينة عسقلان^(٣).

جند قنسرين

وهذا الجند هو أكثر الأجناد الشامية التي شهدت حدوث تغييرات سواء في العصر الأموي أو العباسي، فكان أولاً مع حمص، ثم فصل عنها، وبعدها ضمت إليه الجزيرة، ثم فصل عنها، وأخيراً أفرده الرشيد جنداً مستقلاً.

وأما قسبة هذا الجند فهي مدينة حلب التي يسكنها أكثر أهل الجند، ومن مدن الجند أنطاكية وبالس ومنبج وسميساط وبانياس ومرعش، والاسكندرونه^(٤)، وكذلك

(١) قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام تعد من أعمال فلسطين، قرب طبريا، ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٢١، ياقوت: المشترك، ص ٣٦٤، البغدادي: مراصد، ج ٣، ص ١١٣٩، وتقع جنوب مدينة حيفا على الساحل، عبد القادر: أسماء المواقع، ص ١٥٤.

(٢) ابن شداد: الأملق الخطيرة، ج ٢ ق ٢، ص ١٩٩.

(٣) اليعقوبي: البلدان، ص ٣٢٩.

وأرسوف: مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا، ياقوت: معجم البلدان، ج ٨، ص ١٥١، البغدادي: مراصد، ج ٨، ص ٥٦.

وعمواس: كورة بفلسطين قرب بيت المقدس، ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٥٧، البغدادي: مراصد، ج ٢، ص ٩٦٢، وتقع شمال غرب القدس، عبد القادر: أسماء المواقع، ص ١٢٦.

وسبسطية: بلد من نواحي فلسطين قرب بيت المقدس، ياقوت: المشترك، ص ٢٤٠، ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٨٤، الحميري: الروض المعطار، ص ٣٠٢، وتقع شمال غرب نابلس، عبد القادر: أسماء المواقع، ص ٩٧.

وبيت جبرين: بلدة بين بيت المقدس وغزة، ياقوت: معجم البلدان، ج ٨، ص ٥١٩، تقع غرب الخليل، عبد القادر: أسماء المواقع، ص ١٩.

وعسقلان: مدينة من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين، ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٢٢، ياقوت: المشترك، ص ٣٠٨، وتقع جنوب غرب المجدل بالقرب من غزة، عبد القادر: أسماء المواقع، ص ١٢٤.

(٤) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٥٤.

ومرعش: مدينة بالثغور بين الشام وبلاد الروم، ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٠٧، الحميري: الروض، ص ٥٤١.

واسكندرونه: مدينة شرق أنطاكية على ساحل بحر الشام قريبة من أنطاكية، ياقوت: معجم البلدان، ج ٨، ص ١٨٢.

مدينة قنسرين^(١)، ومن مدن الجند أيضاً قورش ورعبان ورصافة هشام ومصرين وسرمين ومرتجوان^(٢). وكانت معظم هذه المدن من الجند حتى أحدث الرشيد جند العواصم الذي ضم عدداً من مدن الجند كدلوك ورعبان وقورش ومنبج وأنطاكية وغيرها.

جند الجزيرة والعواصم

وتضم منطقة الجزيرة ديار ربيعة، وديار مضر، وديار بكر^(٣)، فأما ديار ربيعة فقصبته مدينة الموصل^(٤)، ومن مدن هذه الديار دارا وبلد وسنجان ونصيبين^(٥) وكفرتوثا^(٦) ورأس العين^(٧)، ومن ديار ربيعة أيضاً مدن الحديثة وبرقعيد ومعلتاي وتلعفر^(٨).

وأما ديار مضر فقصبته مدينة الرقة -أكبر مدن الديار- وبجانبها توجد مدينة الرافقة التي بناها المنصور^(٩)، ومن مدن الديار : حرّان والرها وباجروان^(١٠).

- (١) الاصطخري: مسالك الممالك، ص ٦١.
- (٢) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص ٧٥.
ومصرين: بلدة وكورة من أعمال ونواحي حلب، ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٥٥.
وسرمين: بلد مشهور من أعمال حلب، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢١٥، البغدادي: مراصد، ج ٢، ص ٧١٠.
- (٣) ومرتجوان: بلد من نواحي حلب، ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٠٠.
- (٤) ديار مضر: المنطقة في السهل بالقرب من شرقي الفرات نحو حرّان والرقة وسميساط وسروج وتل موزن، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٩٤، البغدادي: مراصد، ج ٢، ص ٥٤٨.
- (٥) وديار بكر: هي الحد ما بين غرب دجلة إلى بلاد الجبل المطلة على نصيبين إلى دجلة ومنه إلى حصن كيفا وأمد وميا فارقين، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٩٤، البغدادي: مراصد، ج ٢، ص ٥٤٧.
- (٦) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٢٧.
- (٧) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٧٢.
- (٨) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٧٣.
- (٩) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٧٤.
- (١٠) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٢٧.
والحديثة: بلد على دجلة قريبة من الأنبار، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٣٠.
وبرقعيد: بلد من أعمال الموصل من جهة نصيبين، ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٨٧.
ومعلتاي: بلد من نواحي الموصل قرب جزيرة ابن عمر، ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٥٨.
وتلعفر: اسم قلعة وربض بين سنجان والموصل على جبل حصين، ياقوت: المشترك، ص ٨٢، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٩، الحميري: الروض المعطار، ص ١٢٤.
- (١) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٧٢.
- (١٠) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٧٦.
وباجروان: مدينة من ديار مضر بالجزيرة قريبة من نهر البليخ، ياقوت: المشترك، ص ٢٢، ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٣١٣، البغدادي: مراصد، ج ٢، ص ١٤٧.

وحصن مسلمة وتكريت وهيت وتل بني سيار وعانة^(١) وسروج^(٢) وتل مجرى وترعوز وخاتوفة^(٣).

وأما ديار بكر فقصبته مدينة آمد، ومن مدن هذه الديار مدينة قرقيسيا^(٤) وعانات^(٥) وميافارقين وحاذية وحصن كيفا، ورحبة مالك بن طوق والفار^(٦).
ويضم هذا الجند أيضاً ثغور الشام والجزيرة، ويفصل بينها جبل اللكام^(٧).

-
- (١) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٧٧.
وتكريت: بلد مشهور بين بغداد والموصل وهي اقرب لبغداد، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٨، الحميري: الروض المعطار، ص ١٣٣، البغدادي: مراصد، ج ١، ص ٢٦٨.
وهيت: بلد على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار، ياقوت: المشترك، ص ٤٤١، ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٢١، البغدادي: مراصد، ج ٢، ص ١٤٦٨.
وتل بني سيار: بلد بين رأس عين والرقه قرب تل موزن، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٠، البغدادي: مراصد، ج ١، ص ٢٦٩.
وعانة: بلد بين الرقة وهيت من الجزيرة، ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٧٢.
- (٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٧٨.
وسروج: بلد قريب من حران من ديار مضر، ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢١٦-٢١٧، البغدادي: مراصد، ج ٢، ص ٧٤٠.
- (٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٢٧.
وتل مجرى: بلد بين حصن مسلمة والرقه في وسطها حصن، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٣.
وترعوز: قرية بحران بناها الصابئة، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٢-٢٣.
وخاتوفة: مدينة على نهر الفرات قرب الرقة، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٤١.
- (٤) ابن خرداذبة: المسالك واماالك، ص ٧٤.
- (٥) ابن خرداذبة: المسالك واماالك، ص ٧٤، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٧، ص ٢٤٤.
- (٦) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٢٨.
وحصن كيفا: بلد وقلعة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٦٥.
ورحبة مالك بن طوق: ارض بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات بقرب قرقيسيا، ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٤.
والفار: بلد في الجزيرة قريبة من أرمينية، ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٢٥.
- (٧) الاصطخري: مسالك الممالك، ص ٥٦.
وجبل اللكام: جبل يتصل بانطاكية والمصيصة ويمتد الى سمياط وملطية، ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ١١، الحميري: الروض المعطار، ص ١٠٥١٠.

ومن الثغور ملطية ومرعش^(١) وسميساط^(٢) وزبطرة^(٣).

ب- انتقال مركز الحكم من الشام

بعد أن حسم الصراع بين علي ومعاوية -رضى الله عنهما- لمصلحة الأخير فقد نزل دمشق وأصبحت داره ودار أهله وأعوانه، وبعد معاوية اتخذها خلفاء بني أمية مركزاً لحكمهم « لأنهم بها نشأوا ولا يعرفون غيرها ولا يميل إليهم إلا أهلها »^(٤).

والمكانة التي منحها الأمويون لدمشق بجعلها مركز حكمهم، أوجدت نوعاً من الولاء من قبل أهل الشام للأمويين، لأنهم تمتعوا بامتيازات لم يتمتع بها غيرهم في المناطق الأخرى، وهذه الإمتيازات جاءت من الأهمية التي منحت لدمشق والتي بموجبها أصبحت ملتقى الناس ومحط أنظارهم ومركز نشاطهم على جميع الأصعدة الاقتصادية والإدارية والثقافية.

وخلال العصر الأموي مر على دمشق حدثان بارزان أثرا عليها، إلا أن هذا التأثير لم ينزع منها الولاء والحب لبني أمية، أما الأول فهو ما قام به بعض خلفاء بني أمية بتركها والإتجاه إلى الصحراء^(٥)، وهذا العمل أفقد المدينة بعض أهميتها لما كان يمثل مركز الخليفة ووجوده فيها من أهمية في نفوس أهل دمشق.

(١) الاصطخري: مسالك الممالك، ص ٥٥.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٧٥.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٧، ص ٢٤٤.

وزبطرة: مدينة بين ملطية وسميساط والحدث في طرف بلد الروم، ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٣٠-١٣١، البغدادي: مراصد، ج ٢، ص ٦٥٧.

(٤) اليعقوبي: البلدان، ص ٢٣٥.

(٥) بخصوص انتقال الأمويين للصحراء:

علل البعض الانتقال بأنه جاء طلباً للمتعة والصيد، صكبان: تاريخ الدولة العباسية، ص ٩، حسن: تاريخ الدولة العربية، ص ٢٧٨، سالم، عبد العزيز: تاريخ الدولة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، د.ت، ص ٤١١، وأما الدوري فقد أرجع ذلك بأنه تقديراً من الأمويين لأهمية الأرض، وعملاً على إحياء الأرض الخالية القريبة من الأجناد فاستثمروها بالزراعة، الدوري: «العرب والأرض في بلاد الشام»، ص ٢٣، وأما الدكتور فواز طوقان الذي كتب عن القصور الصحراوية فقد أرجع ذلك لأسباب منها الرغبة في تجديد البناء والضيق في المساحة، ثم تكريساً لفكرة الارتحال في البوادي، إضافةً إلى التقرب من قبائل الشام، وهرباً من القلق والسأم الذي نتج من تضخم الثروة، طوقان، فواز: «الحائر في العمارة الأموية الإسلامية»، مؤتمر بلاد الشام الثاني، ص ٧١-٧٤.

وأما الحدث الثاني فهو القرار الذي اتخذهُ مروان بن محمد -آخر خلفاء بين أمية- بنقل مركز حكمة وعاصمة ملكه وإدارته وأمواله من دمشق إلى حرّان^(١)، وإذا كان هدف مروان من الانتقال أن يكون بين أعوانه ومناصريه من القبائل القيسية- وقد كان أغلب أهل حرّان من القيسية-، فإن هذا لم يكن مقبولاً عند أهل دمشق الذين- رأوا في قراره هذا تخلياً عنهم^(٢).

لذلك نرى أهل دمشق يعاقبون مروان على قراره هذا بمنعه من دخولها أثناء فراره هارباً من العباسيين بعد معركة الزاب (١٣٢هـ/٧٤٩م)، والموقف الذي اتخذته دمشق من مروان كان موجهاً له وحده، ولم يكن يعبر عن موقفهم من بني أمية عموماً، فولاؤهم لهم ظل على حاله، ومقاومتهم الحصار العباسي، والحركات التي قاموا بها في أول الدولة ضد العباسيين تشير إلى مثل هذا الموقف.

والعباسيون أدركوا أن الشام "جافية الأهل"^(٣). وأن أهلها "ليس يعرفون إلا آل سفيان وطاعة بني مروان"^(٤) لذلك ابتعدوا عن الشام وانتقلوا إلى العراق، وهذا الابتعاد كان تأثيره موجهاً إلى الشام أولاً ثم إلى العرب فيها ثانية، لأن الشام أصبحت بموجب ذلك مجرد ولاية تابعة للعراق^(٥)، وبسبب ذلك فقدت المكانة التي يمنحها وجود الخليفة وإقامته فيها، كما فقدت المكانة التي كانت تتمتع فيها في ظل وجود مراكز الدولة الإدارية، كالدواوين وبيت المال وقمة النظام الإداري فيها - المتمثل بالخليفة- والتي انتقلت إلى العراق.

وأما العرب الذين سيطروا على الأمور في الدولة الأموية مما دفع ابن حزم إلى وصف دولة الأمويين بأنها "دولة عربية"^(٦) فقد فقدوا كثيراً من أهميتهم

(١) ابن أعمش: الفتوح، ج ٨، ص ١٥٣، المسعودي: التنبيه والأشراف، ص ١٩٧.

(٢) مصطفى: دولة بني العباس، ص ٧٨.

(٣) اليعقوبي: البلدان، ص ٢٣٦.

(٤) مؤلف من القرن ٣هـ. أخبار الدولة العباسية، ص ٢٠٦، ابن قتيبة: معيون الأخبار، ج ١، ص ٢٠٤.

(٥) حسن: تاريخ الشام في العصر العباسي، ص ٧٢، عمر: ثورة نصر بن شبيب، ص ٦٠٣.

(٦) ابن حزم: رسالة في أسماء الخلفاء، ص ١٤٥، ضمن رسائل ابن حزم، ج ٢.

بمشاركة الفرس ثم الأتراك لهم في إدارة الدولة^(١)، بل إنهم غابوا تماماً في بعض الأحيان كما حدث في عصر المعتصم الذي سيطر عليه الأتراك.

وإضافة لذلك فإن انتقال الدولة إلى العراق، أثر على القبائل الشامية التي كانت تتمتع بمكاسب كثيرة في العصر الأموي^(٢)، لأن الخلفاء كانوا دائماً يطلبون رضا وتأيد هذه القبائل، وبموجب ذلك يقربونهم ويعطوهم.

وفي العصر العباسي وبسبب اعتماد العباسيين على الفرس والأتراك في الدولة. قلت أهمية القبائل، وانشغلت فيما بينها بالعصبية، وما حدث في عصر هارون الرشيد في الفترة ما بين (١٦٧-١٨٧هـ/٧٩٢-٨٠٢م)، أبرز دليل على ذلك.

وأهل الشام الذين تأثروا بالإنقال ما انفكوا خلال هذا العصر يقومون بالثورات ضد العباسيين من أجل إعادة مكانتهم تلك، فلم يخل عصر خليفة من ثورة يقوم بها أهل الشام ضد العباسيين، ومن أجل ذلك خرجوا مع أحد العباسيين وهو عبد الله بن علي ضد المنصور، ثم تراجعوا حفاظاً على بلادهم، فبنى المنصور بغداد لإدراكه أن لا أمل في حب أهل الشام لبني العباس.

وخلال العصر العباسي الأول لم يكن من السهل دخول الشام عامة ودمشق بشكل خاص من قبل العباسيين فقلت زياراتهم لها لإدراكهم بولاء أهلها^(٣)، رغم أنها كانت تستهويهم لما لها من طبيعة ساحرة وجمال وماض عظيم^(٤)، والزيارات التي كان يقوم بها الخلفاء كان أكثرها سببه الناحية الحربية التي أعطت البلد اهتماماً من قبل الخلفاء من أجل مقاومة الأخطار البيزنطية التي كانت تهددهم بين حين وآخر^(٥).

(١) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٤٦، العسكري: الاوائل، ص ١٨٤، مخزوم، محمد: الشام في صدر الإسلام، مجلة تاريخ العرب والعالم، عدد ٧٠، ص ٣٩.

(٢) القرة غولي: العقلية العربية في العصر العباسي، ص ٨٦، Kennedy: The Early abbasid Caliphate, P 101.

(٣) الحصني: منتخبات التواريخ لدمشق، ج١، ص ١٢٢.

(٤) خير، صفوح: مدينة دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٩، ص ١٦٢.

(٥) شعيرة، محمد: "تقسيمات إقليمية في العصر العباسي الأول"، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، م ٢٠، ص ٩٩.

جـ- الإدارة العباسية في بلاد الشام

توجه النظام الإداري نحو المركزية، فكان الخليفة هو الذي يدير الأمور في العراق ويساعده الأمراء والقادة وكبار الموظفين، والجيش كان ينفذ تلك التدابير^(١)، وهذه العناصر كانت تشرف على إدارة أمور الولايات التابعة للدولة.

والشام التي أصبحت ولاية تابعة للخلافة العباسية، لقيت إهتمام العباسيين لعاملين: أما الأول فهو معرفة بني العباس بولاء الشاميين لبني أمية وعداوتهم لبني العباس، والأمر الثاني هو قرب هذه البلاد للحدود البيزنطية حيث كان البيزنطيون يهاجمون الدولة بين الحين والآخر^(٢).

ولأجل ذلك فقد حرص العباسيون على ضمان الأمن والاستقرار في هذه البلاد حتى يتمكنوا من القضاء على ثورات الشاميين، ثم ليستطيعوا مواجهة الأخطار البيزنطية بكل حرية، وحتى يتحقق لهم ذلك الأمن فقد اتبعوا في هذه البلاد إجراءات إدارية كثيرة منها: أنهم سعوا لاستمالة أهل الشام بالمال والإقطاعات وتقريبهم حتى يضمنوا عدم خروجهم^(٣)، ثم في بناء المدن والتحصينات وتحصين الثغور المتاخمة للروم^(٤)، بالإضافة إلى إشراف الخلفاء بأنفسهم على بلاد الشام، ثم في تعيين الولاة الذين كانوا يديرون هذه البلاد.

وأما التنظيمات الإدارية في الشام في الشرطة والبريد والدواوين والضرائب والجيش وغيرها، فقد كانت امتداداً لتلك التي نشأت في عصر الرسول - عليه الصلاة والسلام - وعصر دولة الراشدين والدولة الأموية^(٥)، ولكنها في هذا العصر أصبحت مصغرة وتابعة للنظم الإدارية العليا في بغداد.

(١) القره غولي: العقلية العربية في العصر العباسي، ص ٢٦٦، فلهوذن: تاريخ الدولة العربية، ص ٥٣.

(٢) بيطار: الحياة السياسية، ص ٣١٦.

(٣) عمر: العباسيون الأوائل، ص ٧٦.

(٤) ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص ١٣٢، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ١٧٣، حمادي: الجزيرة والموصل، ص ٢٨٢، الحيارى: مصطفى: "حياة الناس في مدن الثغور"، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، عدد ٤، ١٩٨٠، ص ٨٥، انظر: تحصين الثغور، ص ٢٢٧-٢٣٠.

(٥) مصطفى: دولة بني العباس، ص ١٧٢، العبيدي، مبدالجبار: "الإدارة في مطلع العصر العباسي الأول" مجلة العلوم الإجتماعية، الكويت، م ١٥، عدد ٣، ص ٢٦٣.

(١) بناء المدن

بعث الخليفة أبو جعفر المنصور ابنه المهدي في سنة ١٥٥هـ/٧٧١م لبناء مدينة الرافقة في منطقة الجزيرة بجانب مدينة الرقة، فبناها مثل بناء بغداد في تنظيم شوارعها وأحيائها، ووضع فيها جنداً من أهل خراسان^(١).

وقد أراد المنصور من بناء الرافقة مواجهة أنصار الأمويين في الرقة والتي كانت مركزاً للقيسية^(٢) وهذا الأمر أدركه المنصور منذ أول الدولة العباسية عندما أخبر أخاه أبا العباس السفاح أنه لا يمكن للعباسيين أن يسيطروا على منطقة الجزيرة إلا إذا بنوا بجانب الرقة مدينة يضبطوا من خلالها أنصار الأمويين في الرقة^(٣)، فجاء الوقت هذا ليحقق المنصور فيه أمله الذي راوده منذ فترة سابقة.

وأما وضع جنود خراسان فيها، فكان الهدف منه مواجهة أهل الجزيرة لأن هؤلاء الخراسانية كانوا يحققون على الأمويين وأنصارهم، وإلى جانب ذلك عرفوا بطاعتهم للعباسيين.

وأما المدينة الثانية والتي توجهت أنظار بني العباس إليها، فهي مدينة الرقة التي اتخذها الخليفة هارون الرشيد في سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م وطناً له^(٤) بدلاً من انطاكية^(٥)، حيث رتب أمورهما، واهتم بعمرانهما، فكان يقضي أيامه فيها يتبادل الكلام والسمر مع أعوانه^(٦)، كما بايع فيها لأولاده من بعده^(٧)، فأصبحت مركزاً إدارياً تصدر منه القرارات والتوجيهات.

(١) ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص ١٣٢، مجهول: العيون والحدائق، ج٢، ص ٢٦٥، ابن حمدون: التذكرة، مخطوط، و ٩٣، ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص ١٥.

(٢) حمادي: الجزيرة والموصل، ص ١٢٠.

(٣) الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٢٢٣.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ٢٦٦، القشيري: تاريخ الرقة، ج٢، ص ١٤٣، اليافعي: مرآة الجنان، ج١، ص ٢٩١، ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص ٢٦٨.

(٥) أراد الرشيد اتخاذها وطناً فكره أهلها ذلك، وتعلل أحد أهلها أن السلاح يصدأ بها والطيب يتغير فيها فصدقه الرشيد وتركها، ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص ١١٦، ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص ٢٦٨.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ٣٥٨، الأتليدي: إلام الناس ص ٥٤.

(٧) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ٢٦٩.

والأسباب التي دفعت الرشيد إلى الإقامة بالرقعة تكمن فيما يلي:

- ١- أن يكون على صلة بالحدود الأمامية المتاخمة للبيزنطيين، فكانت الرقة قاعدة لمواجهتهم^(١).
- ٢- عدم اطمئنانه لأهل خراسان والسكن بينهم، وخاصة أنهم قد ثاروا على عامله عيسى بن ماهان سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م وقتلوه^(٢).
- ٣- أراد أن يكون قريباً من الخوارج الذين كانوا يثورون عليه بين فترة وأخرى في منطقة الجزيرة.
- ٤- أن يكون قريباً من أهل الشام وخاصة في دمشق لأن العصبية بين القبائل بلغت حداً كبيراً في هذه الفترة.

(٢) تحصين الثغور

لقيت الثغور عناية واهتمام معظم خلفاء بني العباس، وهذا الإهتمام سببه التهديدات البيزنطية المتواصلة للعباسيين في أرض الشام، فكانت الثغور نقاط مواجهة ودفاع ضد هذه التهديدات التي كانوا يقومون بها بين فترة وأخرى.

وكان الخليفة أبو جعفر المنصور إلى جانب الرشيد الأكثر اهتماماً بالثغور، فأرسل في سنة ١٣٩هـ/٧٥٦م أحد قادته وهو عبد الوهاب بن ابراهيم إلى ملطية فأصلح ما خرب البيزنطيون فيها، وأسكنها الجند وأكثر فيها من السلاح والعتاد^(٣)، وفي سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م وبعد عودة المنصور من الحج تعرض حصن المصيصة للتصدع نتيجة الزلازل^(٤)، ومهاجمة البيزنطيون له أكثر من مرة^(٥)، فكتب المنصور إلى صالح بن علي فأعاد بناء الحصن، كما جعل على المصيصة خندقاً شحناً بالجند والمقاتلين، وبني فيها إضافة لذلك مسجداً جامعاً موضع كنيسة هدمت فيه^(٦).

(١) شعبان: الدولة العباسية، ص ٤٧ Kennedy: The prophet..., P.45 ، شعيرة: تقسيمات إقليمية في العصر الأول، ص ٩٩.

(٢) الدينوري: الاخبار الطوال، ص ٣٩، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٦٦.

(٣) ابن الشحنة: الدر المنتخب، ص ١٩٢.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧، النويري: نهاية الأرب، ج ٢٢، ص ٨١.

(٥) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٢٨٧.

(٦) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ١٧٩، الأزدى: تاريخ الموصل، ص ١٧٣، المقدسي: البدء والتاريخ، ص ٦، ابن الشحنة: الدر المنتخب، ص ١٧٩.

وإضافة لذلك فإن المنصور حصّن في سنة ١٤١هـ/٧٥٨م مدينة أذنة^(١) وأسكنها جنوداً من أهل خراسان وأهل الشام^(٢)، فاجتمعوا معاً في مواجهة البيزنطيين.

وفي ولاية المنصور أيضاً أعاد صالح بن علي بناء مدينة مرعش التي أخرجها البيزنطيون، ورتب فيها المقاتلين^(٣).

واهتم المنصور بتحسين الثغور في منطقة لبنان، فحصّن صيدا ووضع فيها الجنود والسلاح^(٤)، كما أنه أسكن التنوخيين في مدن لبنان في بعلبك وببيروت وصيدا^(٥)، وكان يهدف من ذلك أن يدافعوا عن الأخطار البيزنطية وأن يتولوا حفظ الأمن في مناطقهم، وقد لعب هؤلاء دوراً كبيراً في تحقيق ذلك سواء في عصر المنصور أو المهدي^(٦).

ولما تولى المهدي استمر في تلك السياسة فحصن المدن الساحلية في لبنان وشحنها بالمقاتلين، كما أنشأ فيها دوراً لصناعة السفن^(٧)، وبأمر من المهدي أعاد القائد الحسن بن قحطبة في ١٦٣هـ/ ٧٧٩م بناء طرسوس^(٨)، كما بنى المهدي كفر

(١) أذنة: بلد من الثغور بالقرب من المصيصة، ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص ١٢٢، البغدادي: مراصد، ج١، ص ٤٨.

(٢) قدامة: الخراج، ص ٢٠٩، ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص ١٢٢.

(٣) ابن الشحنة: الدر المتخبط، ص ١٩٢.

(٤) سالم: تاريخ صيدا، ص ٦٤.

(٥) نصر الله: تاريخ بعلبك، ج١، ص ١٠٨.

(٦) السودا: تاريخ لبنان، ص ١٦٦.

(٧) الخازن: مظاهر الحضارة اللبنانية، ص ٤٦.

(٨) ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص ١١٢، الحيارى: "حياة الناس في مدن الثغور"، ص ٨٥-٨٦.

الحسن بن قحطبة بن شبيب الطائي (ت ١٨٩هـ/ ٧٩٧م).

انظر: الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٦٨، ابن كثير: البداية، ج ١٠، ص ١٨٢.

وطرسوس: مدينة بالثغور بين انطاكية وحلب، ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٨، البغدادي: مراصد، ج ٢، ص ٨٨٢.

بيا^(١)، وفي سنة ١٦٥هـ/٧٨١م أرسل المهدي ابنه الرشيد فرم المصيصة ومسجدها وزاد في شحنها بالجنود^(٢) فأراد من ذلك زيادة تحصينها لتقف في مواجهة الأخطار البيزنطية، كما أن المهدي بعث ابنه الرشيد فجدد بناء حصن منصور وشحنه بالرجال والسلاح.^(٣)

والرشيد الذي قضى معظم وقته في جهاد البيزنطيين، اهتم بالثغور اهتماماً كبيراً فأفرد لها جنداً خاصاً سمّاه "العواصم"^(٤)، كما أنه فصل ثغور الشام عن الجزيرة^(٥)، ليتولى كل منهما الدفاع عن المنطقة الخاصة به وحتى يسهل الإشراف عليهما من قبل الدولة.

وأعاد الرشيد بناء حصن كفر بيا^(٦)، كما حصن عين زربة سنة ١٨١هـ/٧٩٧م ووضع فيها جنداً من أهل خراسان أعطاهم منازل بها^(٧)، ليزداد ارتباطهم بها فيدافعون عنها، وبعد ذلك بسنتين بنى الرشيد مدينة الهارونية^(٨) ورتب فيها المقاتلين^(٩)، كما حصن طرسوس^(١٠)، وفي عهد الرشيد، حضّ أميره على الثغور ثابت

-
- (١) ابن الشحنة: الدر المنتخب، ص ١٧٩
 - وكفر بيا: مدينة بجانب المصيصة على شاطئ نهر جيحان، ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ٤٦٨.
 - (٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٢، ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص ١٤٥.
 - (٣) ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص ٢٦٦.
 - (٤) قدامة: الخراج، ص ٢٩٩.
 - ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص ٧٩-٨٠، ج٤، ص ١٦٥-١٦٦.
 - (٥) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ٢٢٤.
 - (٦) ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ٤٦٨، ابن الشحنة: الدر المنتخب، ص ١٧٩.
 - (٧) ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص ١١٢، ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ١٧٨.
 - (٨) الهارونية: مدينة صغيرة قرب مرعش بالثغور الشامية، ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص ٢٨٨، ١٠٧.
 - (٩) ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص ١١٢.
 - (١٠) ابن حوقل: صورة الارض، ص ١٦٨، الملزوزي: نظم السلوك، ص ٣٦.

الخزامي^(١) أهل البلاد على الرحيل إلى لبنان لتقويته في مواجهة البيزنطيين^(٢). وهكذا نلاحظ أن اهتمام الرشيد بالثغور كان كبيراً مما دفع الشاعر ابن أبي حفصة إلى القول:

سدت بهارون الثغور فاحكمت به من أمور المسلمين المرائر^(٣)

(الطويل)

والمأمون أيضاً اهتم ببناء وتحصين الثغور، فشرع في بناء سور لمدينة كفر بيا، لكن الموت عاجله قبل أن يتمه فأكماله المعتصم^(٤).

(٣) إشراف الخلفاء على الشام

سعى الخلفاء إلى حفظ الأمن والهدوء في بلاد الشام، لذلك ظلت هذه البلاد تحت إشرافهم، فكان الخلفاء يزورونها بين الحين والآخر، أو يرسلوا نواباً عنهم لمراقبة الأوضاع فيها، خاصة وأن هذه البلاد كانت مضطربة سياسياً بسبب الحركات التي عمت كافة الأجناد طوال العصر العباسي الأول.

وإذا تتبعنا زيارات الخلفاء للشام فإننا نجد أن انشغال أبي العباس بتنظيم أمور الدولة وتوحيدها،^(٥) إضافة إلى الموقف الشامي من العباسيين والذي عبّروا

(١) ثابت بن نصر بن مالك الخزامي (ت ٢٠٨هـ / ٨٢٣م).

انظر: خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٧٣، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٤٤٥-٤٤٦، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٤٠.

(٢) الشدياق: أخبار الأعيان، ج ٢، ص ٤٩٧.

(٣) ابن أبي حفصة، مروان بن سليمان (ت ١٨٢هـ / ٧٩٨م): ديوانه، جمع وتحقيق حسين عطوان، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ص ٥٢، وسيشار إليه هكذا: ديوان ابن أبي حفصة، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٤٧.

وعن حياة مروان الشاعر:

انظر: ديوان ابن أبي حفصة، ابن المعتز: طبقات الشعراء ص ٤٢-٥٢، المرزباني: معجم الشعراء، ٣١٧-٣١٨، الذهبي: سير، ج ٨، ص ٤٨١.

(٤) ابن الشحنة: الدر المنتخب، ص ١٧٩، البغدادي: مراصد، ج ٣، ص ١١٩٩.

(٥) العبيدي: "الإدارة في مطلع العصر العباسي الأول"، ص ٢٦٣.

عنه في حركاتهم المتعددة أول الدولة، وقصر مدة خلافته لم تتح المجال له لزيارة الشام والإطمئنان على أوضاعها، لكن ولاته الأكفاء عبد الله وصالح بن علي وأخيه أبي جعفر قاموا بهذه المهمة على خير ما يرام، فسيطروا على الأمور رغم ما شهدته الشام من اضطرابات.

وأما المنصور -ال خليفة الثاني- والذي كان يشرف على كل كبيرة وصغيرة في الدولة^(١)، فقد اتاح له ذلك زيارة الشام مرتين: الأولى كانت سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م^(٢)، وفيها قتل منصور بن جعونة الذي خرج عليه في الرقة^(٣)، كما أوكل حفظ الأمن في لبنان للأمراء التنوخيين بعد إكرامه لهم وجلبهم من معرة النعمان^(٤)، والهدف الأخير أنه اطمأن على أوضاع الشام بعد ثورة عبد الله بن علي فيها (١٣٧ هـ/٧٥٤م).

وأما الزيارة الثانية فكانت في سنة ١٥٤ هـ/٧٧٠ م وفيها اطمأن على الأوضاع في الشام وخاصة أنه سمع بتأييد بعضهم لحمد النفس الزكية^(٥)، كما أن المنصور اختار موضوعاً لبناء مدينة الرافقة وشرع في بنائها^(٦)، وراقب أوضاع الخوارج في الجزيرة والمغرب، فجهز من بيت المقدس جيشاً كبيراً بقيادة يزيد بن حاتم أرسله للمغرب^(٧).

وخرج المهدي في سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م زائراً الشام وهو يطمع أن ينال محبة أهلها بالعفو وليس بالقوة وخاصة أنه سمع بعزمهم الخروج عليه،^(٨) فأصلح المهدي

(١) العبيدي: "الإدارة في مطلع العصر العباسي الأول"، ص ٢٦٣، خماش: "التنظيم الإداري في الشام"، ص ١.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٣، ص ٢٣١، الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٨٢.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٣، ص ٢٣١.

(٤) الشدياق: أخبار الأعيان، و ج ٢، ص ٤٩٥.

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٣، ص ٢٦١.

(٦) الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٢١٨.

(٧) الذهبي: دول الإسلام، ج ١، ص ٧٥.

(٨) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٢، ص ٥٠.

بين قبائل بادية الشام^(١)، كما أصلح ما هدم من المسجد الأقصى وزاد فيه^(٢)، وكرر ما فعله المنصور مع الأمراء التنوخيين في لبنان بإكرامهم^(٣).

وقد بذل الرشيد جهداً كبيراً للإصلاح بين أهل الشام، فأرسل القادة والأموال والرجال للقضاء على الصراع بين القبائل الشامية، فأرسل في سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م أحد قادته إلى الشام ليراقب أحوالها^(٤)، خاصة بعد القضاء على فتنة أبي الهيثام (١٧٦هـ / ٧٩٢ م)، وحركة الوليد بن طريف ١٧٨هـ/٧٩٤م.

وقضى الرشيد معظم سنيه الأخيرة في الشام فاتخذ الرقة وطناً له ومركزاً لإدارته فبايع فيها لأولاده وقسم الدولة بينهم، كما أنه كان يخرج منها لمهاجمة البيزنطيين.

وبالرغم من تأييد أهل الشام للأمين في صراعه مع المأمون إلا أن ذلك لم يتج له مجال الإتصال بهم لظروف صراعه مع المأمون، وقام بهذه المهمة نيابة عنه واليه عليها عبد الملك بن صالح.

وأما المأمون الذي مال إلى الفرس وقربهم، فقد لقي معارضة أهل الشام فوقفوا ضده مع الأمين، وخرجوا عليه في معظم المناطق^(٥)، وهذا قتل من زيارته للشام فلم يزرها إلا في سنة ٢٠٤هـ/٨١٩ م حيث وصل للرقة وثبت أوضاعه في المنطقة^(٦) وخلال هذه الفترة المضطربة كان يتولى الإشراف على الشام قائده عبد الله بن طاهر الذي لم يخرج منها إلا بعد أن قضى على الثائرين وأحضرهم إلى المأمون سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م^(٧).

(١) الدوري: العصر العباسي الاول، ص ٨٦.

(٢) السيوطي: اتحاف الأخصا، ج ١، ص ٢٤٦.

(٣) الشدياق: أخبار الاميان، ج ٢، ص ٤٩٥، نويهض، مجاج: أبو جعفر المنصور، دار الصحافة، بيروت، ١٩٦٢، ص ٤١.

(٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٤١١.

(٥) خرج عليه أهل الشام في نصيبين وقورش وحمص وقنسرين وحماء وحاضر حلب والثغور والاردن وفلسطين والرملة ومنطقة الجزيرة، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٤٤٥-٢٤٦، اليعقوبي: مشكلة الناس لزمانهم، ص ٢٩.

(٦) مجهول: العيون والحدائق، ج ٢، ص ٣٥٨.

(٧) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٤٥٦، الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض، ص ١٦٨.

وظروف الحرب مع البيزنطيين -الذين ازدادت هجماتهم - فرضت عليه أن يزور الشام -بحكم موقعها القريب منهم- عدة مرات^(١)، وهذا أتاح له أن يتجول في بلدانها فأعجب بها، وأراد أن ينزل فيها مع أهله وأعوانه وجنده^(٢) رغم علمه بمحبتها للأمويين^(٣)، لكن أهلها ثاروا عليه في الرقة فعدل عن زيارتها، لكنه عاد إليها سنة ٢١٨هـ/٨٢٣م وامتحن أهلها بخلق القرآن^(٤).

وحب المأمون للشام لم يكن ليدخل في قلبه حب أهلها، فابتعد عنهم ولم يهتم بهم كما نظر لأهل خراسان^(٥)، لأنه عانى من حركاتهم ضده طوال صراعه مع الأمين، ثم بعد ذلك أثناء خلافته أشد المعاناة، وإضافة لذلك فإن المأمون لم يكن يحب الأمويين وكان يفضب إذا سمع أحداً يمدحهم^(٦)، وأهل الشام بقي حب الأمويين في قلوبهم.

د- ولاية الشام في العصر العباسي الأول

ارتبطت بلاد الشام بالتنظيم الإداري الذي اتبعه العباسيون بعد إسقاطهم الدولة الأموية، فأصبحت ولاية تابعة لمركز الخلافة في العراق مثلها مثل غيرها من الولايات الأخرى^(٧)، إلا أن تعامل العباسيين مع هذه الولاية كان ذا طبيعة خاصة سواء على صعيد من يتولى هذه الولاية، أو كيفية التعامل مع هؤلاء الولاة.

والي الشام كان يعين من قبل الخليفة مباشرة، أما ولاية الأجناد فقد كانوا يعينون من والي الشام وأحياناً يعينهم الخليفة، وكل جند كان يتولاه والٍ واحد وأحياناً كان يجمع والٍ ولاية أكثر من جند^(٨).

(١) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٤٠١، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٢١٥.

(٢) الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٤١٢.

(٣) ابن أئثم: الفتوح، ج ٨، ص ٢٣٥.

(٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٤٦٨، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٦٣١.

(٥) الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٤٠٨-٤٠٩.

(٦) الصابي: الهفوات النادرة، ص ٢٨٤.

(٧) خماش: "التنظيم الإداري في الشام"، ص ١.

(٨) بيطار: الحياة السياسية، ص ٣١٥.

ولأهمية الشام بالنسبة للعباسيين، فقد كانت الكفاءة والقدرة هي أهم صفات من يولونه الشام، لذلك حرص بنو العباس على أن يكون هؤلاء الولاة من أبناء الأسرة العباسية الذين ساهموا في إنجاح الدعوة العباسية^(١)، أو من كبار قادة العباسيين الذين خدموا الثورة العباسية^(٢)، فيضمنون بذلك ولائهم لهم.

ورغم كفاءة وقدرة هؤلاء الولاة إلا أنهم كانوا مراقبين من قبل الدولة العباسية، وقد كان يقوم بمراقبتهم صاحب البريد الذي كان يقدم تقريراً عن أعمالهم وسيرتهم، والولاة أيضاً كانوا معنيين بتقديم تقرير عن ولايتهم وإدارتهم^(٣)، وإذا ظهر أي تقصير من هؤلاء الولاة كانوا يعزلون عن ولايتهم ويعاقبون.

وإذا تتبعنا ولاة الشام في العصر العباسي الأول، فإننا نجد أن الخليفة أبا العباس السفاح ولى في سنة ١٢٢هـ/٧٥٠م الشام لعبد الله بن علي^(٤). وولى الجزيرة لعبد الله بن محمد بن علي (لأبي جعفر المنصور)^(٥)، وأعطى فلسطين لصالح ابن علي^(٦)، وهؤلاء الثلاثة من كبار أفراد الأسرة العباسية، وجهدهم في الدعوة معروف لأن عبد الله هو صانع الانتصار على الأمويين في الزاب (١٢٢هـ/٧٤٩م)، ويرجع له الفضل مع أخيه أبي جعفر في القضاء على الحركات التي قامت ضد العباسيين في أول الدولة، وأما صالح بن علي فقد قضى على آخر خلفاء بني أمية بقتله في بوصير، وكان هؤلاء الثلاثة من أعظم ولاة الشام في العصر العباسي الأول، وهذا أتاح لهم أن يستمروا في ولايتهم طوال عصر السفاح.

(١) كرد علي: خطط الشام، ج١، ص١٦٨، الدوري: العصر العباسي الأول، ص٥٢.

(٢) القره غولي: العقلية العربية، ص٨٦.

(٣) بيطار: الحياة السياسية، ص٣١٥.

(٤) مجهول: تاريخ الدولة العباسية، مخطوط، و٣ب.

(٥) خليفة: تاريخ خليفة، ص٤١٤، الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص٤٥٨.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص٤٦٠.

وأما المنصور فقد اتجه النظام الإداري في عصره للمركزية لأنه كان يشرف على كل كبيرة وصغيرة في الدولة، فهو سلطان الله في أرضه والمتصرف بماله^(١)، وكان يهتم بتحقيق العدل فيتخذ أعوانه من النصحاء الأمناء، وأصحاب التدبير^(٢)، وإضافة لذلك فقد اتخذ المنصور من يساعده في الحكم من القضاة والشرطة وأصحاب التدبير ليراقبوا عماله^(٣).

وبهذه المبادئ أدار المنصور بلاد الشام فحذرهم من مغبة أن يتطاولوا ويخرجوا عليه، كما عين عليهم من ارتضى فيه القدرة والقوة، فولى الشام وأجنادها سنة ١٢٣٧هـ/٧٥٤م لصالح بن علي^(٤)، كما ولاها لبعض أولاد صالح سنة ١٢٤٢هـ/٧٥٩م^(٥)، ولغيرهم من أبناء البيت العباسي^(٦)، وولى المنصور أيضاً الشام لبعض قادته من العرب مثل مقاتل العكي والمخارق بن الغفار وحميد بن قحطبة^(٧)، وحرص المنصور أيضاً على تولية أفراد ليسوا عرباً من الفرس على منطقة الجزيرة^(٨)، وإلى جانب العرب والفرس اتخذ المنصور الأتراك وكان من أعوانه حماد التركي^(٩).

وكما أشرنا من قبل فقد كان ولاية المنصور يتعرضون لمراقبته فيقوم بعزلهم، إما لنواح إدارية كعزله صالح بن علي عن مصر، ثم ضم فلسطين والأردن إليه، ثم

- (١) ابن قتيبة: ميون الأخبار، ج٢، ص٢٥١.
- (٢) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص٣١، الصابي: رسوم دار الخلافة، ص٦٥، مجهول: تاريخ الخلفاء والسلطين، مخطوط، و١٨ب.
- (٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص٦٧.
- (٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م٢، ص٢٩٠، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص١٦١.
- (٥) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م٢، ص٢٨٤.
- (٦) البلاذري: انساب الأشراف، ق٣، ص١٢٧، ٢٧٥، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م٢، ص٢٨٤، الطبري: تاريخ الرسل، ج٧، ص٥١٤، ابن مسافر: تاريخ دمشق، تحقيق شكري فيصل، روحية النحاس، رياض مراد، ص٢٢٢.
- (٧) خليفة: تاريخ خليفة، ص٤٣٣.
- (٨) خليفة: تاريخ خليفة، ص٤٣٣.
- (٩) العسكري: الأوائل، ص١٨٤.

عزله من فلسطين، وأخيراً نقله إلى الجزيرة، وكان ذلك بين سنتي (١٣٧-١٣٨هـ / ٧٥٤-٧٥٥م)^(١)، أو كان يقوم بعزلهم عقاباً على تقصيرهم، كعزله العباس بن محمد ابن علي عن الجزيرة سنة ١٥٥هـ / ٧٧٢م، وتغريمه أموالاً ثم حبسه^(٢).

وقد تعامل المنصور مع الحركات التي قامت ضده في الشام بكل حكمة ودراية، فأدرك بعد حركة عبد الله بن علي خطورة جمع الولاية لوالده واحد^(٣) حيث ثار مع عبد الله كافة أنحاء الشام، لذلك أخذ المنصور يعين ولاية منفردين على الأجناد.

وإلى جانب ذلك فقد عين المنصور على الشام أبا مسلم الخراساني في سنة ١٣٧هـ / ٧٥٤م^(٤). بعد انتصاره على عبد الله بن علي، وأراد من ذلك إبعاده عن خراسان حتى لا يستفرد بالأمور فيها.

ولمواجهة حركة محمد النفس الزكية، فقد عين المنصور سنة ١٥٤هـ / ٧٦٢م رجلاً شامياً لمواجهة محمد إسمه رياح المري، كما أنه لاحق من عينهم محمد ليدعوا له بالشام^(٥)، ففُضِيَ على أي نفوذ لثورته بها.

وسار المهدي على سياسة أبيه، فاتخذ أعوانه من أهل الفضل والعقل والصلاح بناءً على نصيحة والده^(٦)، كما أنه ولى الشام لأصحاب الكفاءة والقدرة من قاداته وأقاربه من العرب وغيرهم، فولى ابنه هارون الشام جميعه سنة ١٦٣هـ / ٧٧٩م^(٧).

(١) الكندي: الولاية والقضاة، ص ١٠٦.

(٢) مجهول: تاريخ الدولة العباسية، مخطوط، و١٢ب.

(٣) خريسات: "البلقاء من الفتح الاسلامي حتى نهاية القرن ٣هـ"، ص ٦٣.

(٤) النويري: نهاية الأرب، ج ٢٢، ص ٧٠.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ١٥٧، ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٦، ص ٣١١.

(٦) البلاذري: أنساب الأشراف، ق ٢، ص ٢٧٠-٢٧١.

(٧) ابن العديم: زبدة الحلب، ج ١، ص ٦٢.

وولى من أقاربه إبراهيم بن صالح بن علي ومحمد بن إبراهيم^(١) اللذين توليا دمشق في سنتي ١٦٢ و ١٦٣ هـ على التوالي^(٢)، ثم ولى الجزيرة سنة ١٥٩ هـ / ٧٧٥ م للفضل بن صالح^(٣)، وكان من قاداته يزيد بن حاتم على فلسطين^(٤)، وعيسى بن عمرو الكندي على حمص في سنة ١٦٢ هـ / ٧٧٨ م^(٥).

وأما من غير العرب فقد ولى الجزيرة لرجل من خراسان يدعي أبا هريرة^(٦)، كما اتخذ المهدي الأتراك وكان من أعوانه مبارك وتوليا التركيان^(٧).

وحاول الرشيد أن يضبط أمور دولته فقسم الدولة بين أولاده، فكانت منطقة الشام من نصيب الأمين الذي عقد له عليها عامي (١٧٣-١٧٥ هـ / ٧٨٩-٧٩١ م)^(٨) وكانت منطقة الجزيرة و الشغور من نصيب المؤتمن^(٩).

-
- (١) محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي (ت ١٨٥ هـ / ٨٠١ م) انظر: السدوسي: حذف من نسب قریش، ص ١٠، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٣٨٤، ابن حزم: جمهرة انساب العرب، ص ١٢٧.
 - (٢) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٤٦، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ١٤٩، مجهول: تاريخ الدولة العباسية، مخطوط، ١٢١، مؤلف من القرن ٣ هـ: أخبار الدولة العباسية، ص ٤٠٤.
 - (٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ١٢١.
 - والفضل بن صالح بن علي بن عباس (ت ١٧٢ هـ / ٧٨٨ م) انظر: السدوسي: حذف من نسب قریش، ص ١٣، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٣٥٤، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ١٢١، الذهبي: سير، ج ٩، ص ٢٢٢.
 - (٤) مجهول: تاريخ الدولة العباسية، مخطوط، و ١٧ ب.
 - (٥) مجهول: تاريخ الدولة العباسية، مخطوط، و ١٧ ب.
 - (٦) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٤٦.
 - (٧) العسكري: الأوائل، ص ١٨٤.
 - (٨) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٧٥، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٢٧٠.
 - (٩) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٧٥.
- والمؤتمن، القاسم بن الرشيد بن المهدي (ت ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م) انظر: الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٢٢٨، ٢٣١، المسعودي: التنبيه والاشراف، ص ٣١٥، ابن حزم: جمهرة انساب العرب، ص ٢٣، ابن النجار: ذيل تاريخ بغداد، م ١٥، ص ٥٨.

وبالرغم من أن سياسة الرشيد كانت تقوم على محاسبة العمال وتعذيبهم إذا قصرُوا في ولايتهم^(١)، إلا أن ذلك لم يمنع من الدور الذي لعبه ولاته على الشام باذكاء روح العصبية بين قبائل الشام بميلهم إلى جانب دون آخر^(٢)، وذلك يعود إلى استفراذ البرامكة بأمور الدولة التي أوكل لهم الرشيد إدارتها^(٣)، بحيث وجد من أموانهم من جاهر بولائه للأمويين وكانوا يقدمونه ويقربونه^(٤)، لكن الرشيد استطاع أخيراً أن يقضي على العصبية في الشام بتولية أمورها لرجال أكفاء كجعفر بن يحيى البرمكي الذي تولاها سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م^(٥)، وإبراهيم بن المهدي (ابن شكله) الذي ولاه دمشق سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م^(٦) واستطاع أن يضع ترتيبات نجح من خلالها في احتواء الصراع بين قبائل الشام^(٧).

ويبرز أيضاً من ولاة الشام في عصر الرشيد عبد الملك بن صالح بن علي الذي ولاه الرشيد الشام سنة ١٧٥هـ/٧٩١م والذي اتهم من قبل الرشيد بطمعه بالخلافة، لأن أهل الشام كانوا يحبونه^(٨).

ولأن ثورات الخوارج في منطقة الجزيرة تزايدت على الرشيد، فقد ولى هذه المنطقة لكبار القادة الذين استطاعوا أن يقضوا على ثوراتهم، كخزيمة بن خازم، ومحمد بن جميل، ويزيد بن مزيد^(٩)، الذي قضى على أعنف ثورة في عصر الرشيد بقتله قائدها الوليد بن طريف.

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٤١٥.

(٢) أبو دية: "العلاقات الاجتماعية في حالة قيس ويمن"، ص ١٤.

(٣) مجهول: العيون والحدائق، ج ٢، ص ٢٩١.

(٤) النديم: الفهرست، ص ١٢٠.

(٥) ابن العديم: زبدة الحلب، ج ١، ص ٦٢.

(٦) الذهبي: دول الاسلام، ج ١، ص ٩٨.

(٧) انظر في فصل الوضع الاجتماعي: وضع القبائل في الشام، ص ١٥٧-١٥٨.

(٨) ابن العديم: زبدة الحلب، ج ١، ص ٦٢، مجهول: تاريخ الدولة العباسية، مخطوط، و ١٢٧.

(٩) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٤٦٢.

وبسبب ظروف صراعه مع المأمون، فقد عمل الأمين على تولية الشام لرجال يحبهم أهل الشام أو رجال من الشام نفسها، فولى الأمين الشام سنة ١٩٦هـ/ ٨١١م لعبد الملك بن صالح^(١)، كما ولى فلسطين لمحمد بن سعيد بن السرح من أهلها^(٢)، فنجح الأمين بذلك في كسب تأييد أهل الشام له فأطاعوا عبد الملك بن صالح وساندوه، ومن ولاة الأمين على الجزيرة يبرز إسم خزيمة بن خازم الذي كان قد تسلم ولايتها في عصر الرشيد فأقره الأمين عليها سنة ١٩٤هـ/ ٨٠٩م^(٣).

وأما ولاة المأمون على الشام، فكانوا من كبار القادة أمثال طاهر بن الحسن الذي تولاهما سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م^(٤)، ثم ابنه عبد الله سنة ٢٠٠هـ / ٨١٥م^(٥)، وقد اختارهم المأمون ليستطيع بهم مواجهة الحركات التي قامت ضده في كافة أنحاء الشام والجزيرة، وكانت حركة نصر بن شبيب أشد هذه الحركات خطراً على المأمون، لكن عبد الله بن طاهر نال ثقة المأمون بتغلبه على جميع الثائرين.

وبعد أن أتم عبد الله بن طاهر مهمته بنجاح، أعطى المأمون ولاية الشام سنة ٢١١هـ/ ٨٢٦م لأخيه المعتصم، كما أعطى لابنه العباس سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٨م ولاية الجزيرة والثغور والعواصم^(٦).

وبالرغم من أن المأمون أكثر من الأتراك في دولته، وخاصة في الجيش^(٧) إلا أنه لم يرد توليته الشام لأحدهم.

(١) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ٤٢٤

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م ٢، ص ٤٣٥

(٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ٢٧٤، مجهول: تاريخ الخلفاء والسلطين، مخطوط، و٢٢، ابن أبي الدم: الشماريخ، مخطوط، و٨٢ب

(٤) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ٥٢٧، مجهول: تاريخ الدولة العباسية، مخطوط، و٤٢ب

(٥) الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض، ص ١٦٧، مسكويه: تجارب الامم، ج٦، ص ٤٥١

(٦) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ٦٢٠، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٢٨٥، مسكويه: تجارب الامم، ج٦، ص ٤٦٣، مجهول: تاريخ الدولة العباسية، مخطوط، و١٤٩

(٧) مجهول: أخبار الدول، مخطوط، و١٧٦ب

وإذا كان أهل الشام قد أظهروا حبهم للمعتصم عندما نودي بالمعتصم خليفة سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م في مسجد دمشق^(١)، فإن المعتصم لم ينظر إليهم وتحققت مقولة: "أسقط العرب من الديوان وأدخل الأتراك في الديوان واستولت الديلم ثم الأتراك"^(٢) بشكل كامل، فكان عصر المعتصم عصراً تركياً خالصاً فأكثر من اتخاذهم بناءً على نصيحة المأمون^(٣)، فكان حجابيه وحرسه ومواليه وعماله من الأتراك^(٤)، فأعطى ولاية الشام لأشناس التركي^(٥)، وهذا أغضب أهل الشام الذين عبروا عن عدم رضاهم من ذلك بمبايعة العباس بن المأمون خليفة سنة ٢٢٣هـ/٨٣٨م^(٦).

وسار الوثائق على نهج المعتصم في اتخاذ الأتراك، فكان جل أعوانه منهم^(٧)، ولكثرتهم فقد اتخذ سلطاناً منهم، فكان على السلطنة في عصره التركي أشناس^(٨)، ولتحكم الأتراك في الأمور فقد أصبحوا في الشام ينيبون نواباً عنهم يشرفون عليها^(٩).

ولم تعد القدرة والكفاءة في عصر الوثائق ومن قبله المعتصم ميزة من مميزات الولاة، فولى الوثائق على قنسرين وحلب والعواصم رجلاً يدعى محمد بن صالح بن عبد الله بن صالح، وكان صاحب سيرة رديئة، فأظهر البرطيل بالشام وكان أول من فعل هذا من الولاة^(١٠).

(١) مسكويه: تجارب الأمم، ج٦، ص ٤٦٦

(٢) المقرئزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م): السلوك لمعرفة دول الملوك، صححه محمد مصطفى زياده، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط ٢، ١٩٥٦، ج ١، ص ١٤-١٥، وسيشار إليه هكذا: المقرئزي: السلوك، انظر: السيوطي: مناهل الصفا، مخطوط، و ١٥٨ب- ١١٥٩

(٣) ابن حمدون: التذكرة، مخطوط، و ١٠٤ب

(٤) ابن حمدون: التذكرة، مخطوط، و ٧٧ب

(٥) ابن العديم: زبدة الحلب، ج ١، ص ٦٩

(٦) مسكويه: تجارب الأمم، ج ٦، ص ٤٦٦، ابن العمراني: الأنباء، ص ١٠٤

(٧) ابن حمدون: التذكرة، مخطوط، و ٧٧ب

(٨) السيوطي: مناهل الصفا، مخطوط، و ٢٥٢

(٩) المقرئزي: السلوك، ج ١، ص ١٥

(١٠) أبو الفداء: اليواقيت والضرب، ص ٥٨

هـ- مشاركة أهل الشام في إدارة الدولة

(١) القضاء

حرص الخلفاء العباسيون على الظهور بمظهر العدل والمساواة، وكان من مظاهر هذا الحرص إهتمامهم بالقضاء في جميع البلدان التابعة للدولة، واهتمامهم بالقضاء ظهر من ناحية أن الخليفة كان يعين القضاة ويشرف على أمورهم^(١).

والشام كغيرها من ولايات الدولة اهتم الخلفاء بقضائها وقضااتها، وظهر هذا في أن معظم قضاتها كانوا من أهلها^(٢)، وهذا يؤدي إلى دراسة المظالم بصورة دقيقة، كما يبعث الثقة في نفوس أصحاب القضايا.

وفي الشام كان يتولى كل جند قاضٍ واحد، وأحيان كان يجمع لقاض قضاء أكثر من جند^(٣).

وكان أبرز من تولى القضاء من أهل الشام في الدولة العباسية القاضي يحيى ابن حمزة بن واقد الدمشقي (ت ١٨٣هـ/ ٧٧٩م) الذي ولاه المنصور في سنة ١٥٣هـ / ٧٧٠م قضاء دمشق^(٤)، كم ولى المنصور قضاء حمص للقاضي محمد بن الوليد الزبيدي (ت ١٤٨هـ/ ٧٦٥م)^(٥)، وبرز أيضا في عصر المنصور القاضي معاوية بن صالح الحمصي (ت ١٥٨هـ/ ٧٧٤م) الذي ولاه المنصور قضاء المغرب^(٦).

والرشيد أيضاً كان أكثر الخلفاء الذين ولوا أهل الشام القضاء فأعطى قضاء بعلبك لسويد بن عبد العزيز الدمشقي (ت ١٩٤هـ/ ٨٠٩م)، وظل قاضياً عليها حتى

(١) خماش: "التنظيم الإداري في الشام"، ص ٢٥

(٢) خماش: "التنظيم الإداري في الشام"، ص ١٠

(٣) بيطار: الحياة السياسية، ص ٢٨٢

(٤) أبو زرعة: تاريخ أبي زرعة، ج ١، ص ٢٠٤، الذهبي: سير، ج ٨، ص ٣٥٤-٥٥

(٥) خليفة: طبقات خليفة بن خياط، ص ٨٠٧، الذهبي: دول الإسلام، ج ١، ص ٧٢، الذهبي: سير، ج ٨، ص ٢٨٠-٢٨٤

(٦) الذهبي: سير، ج ٧، ص ١٥٨-١٦٠

وفاته^(١)، كما قلد قضاء الرقة لحمد بن الحسن بن زفر الشيباني (ت ١٨٩هـ/٨٠٤م) من أهل دمشق، ثم قلده الرشيد القضاء في بغداد^(٢)، تقديراً لعلمه ونزاهته بحيث أوكل إليه هذه المكانة الرفيعة، وقلد الرشيد أيضاً محمداً بن حرب الخولاني الحمصي (ت ١٩٤هـ/٨٠٩م) قضاء دمشق وظل قاضياً بها حتى وفاته^(٣).

وبرز في عصر المأمون القاضي أبو مسهر الدمشقي (ت ٢١٨هـ/٨٣٢م) الذي ساند أبا العميطر السفيناني وتولى له قضاء دمشق سنة ١٩٦هـ/٨١١م^(٤) معارضاً بذلك للعباسيين، وعاد وعارض المأمون بقضية خلق القرآن فتعرض للعذاب والسجن بسبب ذلك^(٥)، ومن أهل الشام الذين تولوا القضاء أيضاً في عصره القاضي أحمد ابن العلاء من الرقة الذي ولاه المأمون قضاء مصر^(٦)، وكذلك خالد بن جلي الكلاعي الحمصي (ت ٢٢٠هـ/٨٣٥م) الذي تولى قضاء حمص^(٧)، وكذلك علي بن الحسن النشاري (ت ٢٢١هـ/٨٣٥م) الذي تولى قضاء الرقة وظل عليها حتى وفاته^(٨).

وممن رفض تولي القضاء للمأمون عبيد بن جناد بن أعين الحلبي الذي رفض تولي قضاء الرقة وحلب سنة ٢١٥هـ/٢٢٩م وتعلل بمرضه، لكن إصرار المأمون عليه أدى إلى إجباره قبول هذا المنصب^(٩)، ويوجد ذكر أن هذا القاضي تولى قضاء حلب حتى توفى سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م في عهد الواثق^(١٠)، بحيث نستدل من ذلك أن هذا القاضي ظل يتولى قضاء حلب في عصر المأمون ثم المعتصم وعصر الواثق.

(١) الذهبي: سير، ج٩، ص١٩، الذهبي: العبر، ج١، ص٢٤٥

(٢) ابن أبي الدم: الشماريخ، مخطوط، و٨٠، ابن كثير: البداية، ج١، ص٢١٠

(٣) الذهبي: سير، ص٥٨، الذهبي: العبر، ج١، ص٢٣٤٥

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، م٣٩، ص٣٩٦، الذهبي: سير، ج١، ص٢٢٢

(٥) البغدادي: تاريخ بغداد، م١١، ص٧٢

(٦) القشيري: تاريخ الرقة، ج٣، ص١٦٠

(٧) الذهبي: سير، ج١، ص٦٤٠-٦٤١

(٨) القشيري: تاريخ الرقة، ج٣، ص١٥٠

(٩) الأزدى: تاريخ الموصل، ص٤٠٤-٤٠٥

(١٠) أبو الغداء: اليواقيت والضرب، ص٥٨

وقد تأثر منصب القضاء في عصر المأمون فأصبح القاضي يتعرض للشتم من قبل الشعراء^(١)، فعزل قاضي دمشق سنة ٢١٨هـ/٢٣٢م لأن الشاعر علويه -أحد شعراء المأمون- تخاصم معه^(٢).

(٣) الكتابة والوزارة

كان عبد الحميد الكاتب أشهر الكتاب في الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية، ورغم أنه صاحب مثل بالبلاغة والكتابة، فإن مكانته العلمية لم تشفع له عند العباسيين لأنه أظهر وفاءً للأمويين، فقتل سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م^(٣).

ويبرز من كتاب المنصور أبو أيوب المورياني الذي قتله المنصور مع أولاده وأخوانه سنة ١٥٤هـ/٧٦٢م، لأنه قتل كاتباً نافسه في الكتابة كان المنصور يحبه^(٤)، ومن كتاب المنصور أيضاً فتح بن سلومة بن سعيد بن أبان الرقي (ت ١٥٠هـ / ٧٥٨م)^(٥).

وأما أشهر كتاب الشام بعد عبد الحميد الكاتب، فيبرز في عصر المهدي الكاتب إبراهيم بن ذكوان الحراني الذي تولى -بفضل علمه- مقاليد أمور للمهدي والهادي مثل الدواوين^(٦).

ولخوف العباسيين من أهل الشام واستفرادهم في الأمر، وعدم ثقتهم بهم، فلم يسندوا لهم مناصب قريبة من الخليفة فلم يتولى الوزارة منهم إلا أبو أيوب

(١) التنوخي: نشوار الحاضرة، ج٢، ص ١٥٦، ابن عساكر: تاريخ دمشق، م ٤٠، ص ٣٦

(٢) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص ٦٥٦

(٣) التنوخي: نشوار الحاضرة، ج٥، ص ٢٤٠، ابن رسته: الأملق النفيسة، ص ٢١٦، ابن خلكان: وفيات الأعيان، م ٢، ص ٢٢٨-٢٣٢، ابن كثير: البداية، ج ١٠، ص ٥٥

(٤) المسعودي: التنبيه والأشراف، ص ٢١٢، ابن الأثير: الكامل، ج ٢، ص ٣٦-٣٧

(٥) القشيري: تاريخ الرقة، ج ٢، ص ١٥٥

(٦) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٢٨، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٤، ص ٢١٩، المسعودي: التنبيه والأشراف، ص ٣١٤

المورياني في عصر المنصور^(١)، وعبد الله بن معاوية بن يسار الأشعري (ت ١٧٠هـ/ ٧٨٦م) من أهل طبرية الذي تولى الوزارة في عصر المهدي^(٢).

و- الدواوين والإشراف عليها

عرفت الدولة الإسلامية الدواوين منذ فترة مبكرة من تاريخها، وبالتحديد في عصر الراشدين حيث وضع عمر بن الخطاب -تقليداً للفرس- ديواناً رتب فيه أسماء الجنود وأعطياتهم، ووجد في تلك الفترة إلى جانب هذا الديوان ديوان الخراج.

ويرجع الفضل الأكبر في وضع العدد الأكبر من الدواوين إلى الخلفاء الأمويين الذين لم تشرف دولتهم على الإنتهاء إلا ودواوين مثل: الجند والخراج والخاتم والشرطة والنفقات والرسائل والبريد كانت قد أحدثت من قبلهم^(٣)، وإلى جانب هذه الدواوين وجدت دواوين تشرف على إدارة البلاد كديوان فلسطين ودمشق وغيرها^(٤).

وقد كانت هذه الدواوين في العصر الأموي تضبط وتنظم النواحي الإدارية والمالية والاقتصادية في الدولة^(٥)، فكان ديوان البريد - على سبيل المثال - يربط ولايات الدولة بمركز الخلافة، ويساهم في رقابة الولاة في ولايتهم، وكان ديوان الشرطة يشرف على الأمن في البلاد.

وبلغت الدواوين في العصر الأموي مبلغاً عالياً في الدقة والتنظيم والإدارة وخاصة في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك، وهذا ما دفع القائد العباسي عبد الله ابن علي للقول: "جمعت دواوين بني أمية فلم أر أصلح للعامّة والسلطان من ديوان هشام"^(٦).

(١) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٣١٢، العامري: غربال الزمان، ص ١٤٢

(٢) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٣١٢، المرزباني: معجم الشعراء، ص ٣١٥، الذهبي: سير، ج ٧، ص ٣٩٨، الذهبي: العبر، ج ١، ص ٢٠.

(٣) الجهشيارى: الوزراء، ص ٦٩

(٤) الجهشيارى: الوزراء، ص ٧١

(٥) القره غولي: العقلية العربية، ص ٢٦٦

(٦) البلاذري: أنساب الأشراف، مخطوط، ج ٢، و ١٧٩، ابن الأثير: الكامل، ج ٢، ص ٢٥٥، ابن كثير: البداية، ج ١، ص ٣٥٣

وأما في العصر العباسي فقد حدثت تغييرات على الدواوين في الدولة بشكل عام، وفي بلاد الشام بشكل خاص، سواءً على صعيد الديوان نفسه كنظام إداري، أو لإحداث دواوين جديدة، أو على صعيد الذين يشرفون على الدواوين.

وقد امتدت استعانة العباسيين بخبرة الفرس الإدارية الدواوين بتطوير جديد في تنظيمه وتوسيعه ووضعه^(١)، خاصة وأن الدواوين هي من ابتكار وتطوير الفرس أنفسهم.

وفي الشام وبعد أن كانت الدواوين في دمشق دواوين مركزية تشرف على الدواوين في أنحاء الدولة، أصبحت في العصر العباسي دواوين محلية تتبع الديوان المركزي في بغداد، وإضافة لذلك انتقل عدد من كبار كتاب الدواوين إلى بغداد، فآثر هذا على وضع الديوان في بلاد الشام^(٢).

وأول تغيير على وضع الديوان في العصر العباسي هو ما فعله خالد بن برمك الذي ثبت الدواوين في دقاتر، وكانت قبل ذلك في صحف^(٣)، وكان خالد يشرف على الدواوين في عصر السفاح.

والتغيير الثاني هو ما أمر به المنصور وزيره المورياني بكتابة دواوين الشام في صحف وكانت تكتب في قراطيس وكتب^(٤)، كما أن المنصور استحدث ديوان المصادرات الذي حفظت فيه أسماء من صودرت أموالهم وخاصة ضياع وأموال الأمويين في الشام^(٥).

(١) الجهشيارى: الوزراء، ص ٨٩، القاسمي: "تاريخ الدواوين"، ص ٧٤

(٢) القره غولي: العقلية العربية، ص ١٢٢-١٢٣، ماجد: "الضياع الأموية في الشام"، ص ٣

(٣) الجهشيارى: الوزراء، ص ٨٩، العسكري: الأوائل، ص ٢٢٢، مجهول: أخبار الدول، مخطوط، ١١٠٦-١١٠٧

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٥١

(٥) البلاذري: انساب الأشراف، ق ٣، ص ١٩٦، الطبري: تاريخ الرسل، ج ٩، ص ٣٠٨، القاسمي: "تاريخ الدواوين"، ص ٧٤، ماجد: "الضياع الأموية في الشام"، ص ٨-٩

واهتم المنصور بالدواوين في الشام، فعين مولاه طريفاً على بريد الشام والجزيرة^(١)، ليراقب ولاته فيها، كما اهتم بديوان الخراج فأرسل رجلاً لإعادة مسح أرض دمشق^(٢).

وفي عهد المهدي اتسعت الدواوين في عددها وتنظيمها، فأمر المهدي بترتيبها أحسن ترتيب وكان يدقق في حساباتها^(٣)، كما أنه أحدث دواوين الأئمة^(٤)، وكان أصحابها يشرفون على مراقبة دواوين الدولة^(٥)، فوجد في الشام ديوان زمام الشام الذي كان يراقب أمور الدواوين المالية الأخرى وأشهر من تولاه في الشام كان إسماعيل بن صبيح الذي تولى إلى جانبه ديوان الرسائل^(٦).

ثم أحدث المهدي ديوان زمام الأئمة^(٧)، وكان هذا الديوان يشرف على دواوين الأئمة وينظم أمورها المالية ويراجع حساباتها^(٨).

وإضافة للأئمة فقد أحدث المهدي ديوان المظالم، وكان ينظر في شكاوى ودعاوى الناس فينصفهم^(٩).

وفي سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م قام المهدي بنقل الديوان الذي يشرف على أهل بيته من الشام إلى المدينة^(١٠).

(١) الجهشيارى: الوزراء، ص ١٠١.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٣، ص ٢٩٢.

(٣) طلس: تاريخ الأئمة العربية، ص ٧٤.

(٤) مجهول: تاريخ الدولة العباسية، مخطوط، و ٢١، النويرى: نهاية الأرب، ج ٢٢، ص ١١٤.

(٥) الجهشيارى: الوزراء، ص ١٦٨، طلس: تاريخ الأئمة العربية، ص ٧٤.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٥٨، ابن حمدون: التذكرة، مخطوط، و ٧٥.

(٧) ابن حمدون: التذكرة، مخطوط، و ١٧٤.

(٨) الرئيس: الخراج والنظم، ص ٤١٢، العبيدي: "الإدارة في العصر العباسي"، ص ٢٧٢.

(٩) القاسمي: "تاريخ الدواوين"، ص ٧٥.

(١٠) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ١٦٧.

وسيطر البرامكة في عصر الرشيد على الدواوين فوضعوا عليها من يريدون^(١)، ومن الدواوين التي استحدثت في عصر الراشيد كان ديوان الإستخراج والصوافي^(٢).

وفي فترة الصراع بين الأمين والمأمون تعرضت الدواوين للإحراق وذلك سنة ١٩٨هـ/٨١٣م^(٣) فأوجدت دواوين جديدة، واهتم المأمون بديوان خراج الشام فأرسل في سنة ٢١٨هـ/٨٢٣م إلى الشام هيئة لتقوم بتعديل مساحة أرض دمشق^(٤).

وقد برز خلال العصر العباسي عدد كبير من أهل الشام الذين تولوا الدواوين، فتولى عبد الملك بن حميد من أهل حرّان الدواوين للمنصور وكان بارعاً في الكتابة فاستغل نفوذه ومكانته عند المنصور فقلد أصحابه ومقربيه أعمالاً عنده^(٥).

وفي عصر المهدي برز رجل إسمه أيوب تولى ديوان الشام إضافة لديوان النفقات وبيوت الأموال^(٦)، كما برز في عصره إبراهيم بن ذكوان الحرّاني الذي أشرف على دواوين الأزمة في عصر الهادي أيضاً، وكان صاحب نفوذ كبير في الدولة^(٧).

(١) ابن أبي الدم: الشماريخ، مخطوط، و١٧٤

(٢) القاسمي: "تاريخ الدواوين"، ص ٧٥

(٣) الصابىء: رسوم دار الخلافة، ص ٢٩

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مخطوط، م ٤، ص ٣٢

(٥) الجهشيارى: الوزراء، ص ٩٧، ابن النجار: ذيل تاريخ بغداد، م ١٥، ص ٢٩

(٦) خليفة: تاريخ خليفة، ص ٢٤٢.

(٧) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٢٨، المسعودي: التنبيه والأشراف، ص ٣١٤، الكروي: نظام الوزارة، ص ٧٩

الخاتمة

عرضت هذه الدراسة لموضوع هام في تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي وهو موقف بلاد الشام من الخلافة العباسية في العصر العباسي الأول، ودراسة تاريخ الشام في هذا العصر تعد من الأهمية بحيث تفوق دراسة تاريخ الشام في العصر الأموي، لأن المصادر التاريخية ركزت في حديثها عن الدولة العباسية على العراق بعد انتقال مركز الحكم الى بغداد، وهذه المصادر وجهت القليل من اهتمامها الى الشام.

والموقف الذي اتخذته أهل الشام من العباسيين والذي كان لارتباط أهل الشام بالأمويين دور فيه، وتعامل العباسيين معهم من هذا الجانب كان له أثره على الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية في بلاد الشام بعد سقوط الدولة الأموية.

وبالرغم من أن المؤرخين المحدثين قد أفاضوا في الحديث عن أسباب سقوط الدولة الأموية في الشام، إلا أن أهم تلك الأسباب هو الجهد الكبير الذي بذله القائمون على الدعوة العباسية من الأئمة والنقباء والقادة والدعاة سواء أثناء الدعوة أو بعد إعلان الثورة العباسية في خراسان، وهذا ظهر في استغلالهم للأوضاع المضطربة في بلاد الشام التي أعقبت مقتل الخليفة الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٣م وتولي مروان بن محمد الخلافة، حيث وقفت معظم أجناد الشام ضده، فأشغلته عن متابعة أمور الدعوة العباسية، فحقق العباسيون انتصارهم في الزاب مما مهد الطريق لهم للسيطرة على بلاد الشام.

ولم يجد العباسيون صعوبة في السيطرة على بلاد الشام، إذ اندفعت معظم المدن الشامية لتأييدهم ومبايعتهم، باستثناء بعض المدن كدمشق والبلقاء حيث وقفت ضدهم وقاومتهم، لكن العباسيين عادوا وسيطروا عليها، وقد رافق هذه الأوضاع أحداث كثيرة اختلفت بمعاملة العباسيين لأهل الشام وسياستهم فيها.

فتعرض عدد كبير منهم للقتل، كما نهبوا أملاك الشام، وحلّ الخراب ببعض المدن الشامية.

وكان لمقاومة هذه المدن للعباسيين، بالإضافة الى الحركات التي قاموا بها ضدهم في كافة أنحاء الشام، أكبر الدوافع في معاملة العباسيين تلك لأهل الشام أثناء دخولهم.

وقد تمثل الموقف الشامي المعارض للعباسيين في جانبين: الأول في الحركات التي قام بها أهل الشام ضدهم في مختلف مناطق الشام طيلة العصر العباسي الأول، والتي اختلفت أهدافها، فمنها ما سعى لإعادة الحكم الأموي كحركات السفيناني ومؤيدي الأمويين، ومنها ما كان موجهاً للعباسيين لجلب اهتمامهم للشام، ومنها ما كان رداً على سياسة القتل التي قام العباسيون بها بحق أهل الشام بعد دخولهم الشام، وبعضاً منها كان هدفه اقتصادياً.

والجانب الآخر في المعارضة تمثل في مشاركة أهل الشام في الصراعات داخل الدولة العباسية، على أمل أضعاف الدولة العباسية واستعادة مكانتهم، كما حصل في حركة عبدالله بن علي ضد المنصور أو في الصراع بين الأمين والمأمون.

ولاحظنا كيف استطاع العباسيون أن يسيطروا على هذه الحركات، لجديتهم وقوتهم، ثم لأن هذه الحركات كانت متفرقة وينقصها الاتفاق والاجتماع بين أهل الشام، وكان للعباسيين دور في هذا التفرق، إذ أن ولايتهم في الشام غالباً ما كانوا يتحيزون لأحدى القبائل على حساب القبائل الأخرى، فاشعل هذا الأمر العصبية بينها.

وهذه الأحداث والمواقف برز أثرها على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والإدارية في بلاد الشام، حيث نقل العباسيون عاصمة ملكهم من دمشق الى بغداد، واعتمدوا على عناصر جديدة في الدولة من الفرس والآتراك بعد أن أحسوا بصعوبة التعايش مع أهل الشام لموقفهم منهم، وهذا الأمر أفقد الفئات الاجتماعية في الشام بعضاً من مكانتها وامتيازاتها التي كانت قد تحققت لهم في الدولة الأموية، وأثر هذا على العلاقات بينهم وبين العباسيين، ونشأت بين أفراد المجتمع الشامي فكرة السفيناني الذي سيعود ويخلصهم من الظلم الاجتماعي، ويعيد لهم مكانتهم تلك.

وأما أوضاع القبائل في الشام، فقد كانت متباينة تبعاً لإرادة الخلفاء وتصرفات الولاة، ففي الوقت الذي نجد فيه كثيراً منهم يسعى لإبقاء الفرقة بينها، وإشغال العصبية بين أفرادها، فإننا نجد من اهتم بالتوفيق بينهم كما حصل في عهد الرشيد، إذ أوجد واليه على دمشق إبراهيم بن المهدي نظاماً وفق فيه بين قادتهم وأفرادهم فهدأت أوضاعهم.

والأمر نفسه كان مع أهل الذمة في الشام الذين تباينت أوضاعهم، فكانوا ينعمون بفترات من التسامح الديني، وبالمقابل يثقل العمال والولاة عليهم، مما يدفعهم للخروج على الدولة، كما حصل عدة مرات في لبنان.

وقد صور عدد كبير من العلماء والشعراء الوضع الاجتماعي في بلاد الشام، والعلاقة بين العباسيين وأهل الشام، فوجدنا عدداً كبيراً منهم يتصل بالخلفاء والأمراء العباسيين. فيصور لهم أوضاع بلاد الشام ويدافع عن أهل الشام.

وكانت الأوضاع الاقتصادية في بلاد الشام في العصر العباسي الأول جيدة، وقد دلّ على ذلك النشاط الزراعي والصناعي والتجاري في هذا العصر الذي كان نتيجة لإهتمام أهل الشام وكذلك إهتمام العباسيين بموارد الاقتصاد وعنايتهم بها، وتنبغي الإشارة الى أن هذه الأوضاع كان يشوبها أحياناً فترة عدم استقرار لعدة أسباب أهمها: المصادرات العباسية للأموال والأراضي الشامية، وكذلك سوء معاملة العمال لأهل البلاد وظلمهم لهم في جمع الخراج والضرائب، بالإضافة الى الأثر الكبير للحركات التي كانت تقوم في بلاد الشام والتي كانت تؤدي الى خراب الأرض وحرق المزروعات فيها، كما كانت تؤدي الى استغلال الأوضاع المضطربة الناتجة عنها من قبل اللصوص وقطاع الطرق، الذين كانوا يهاجمون التجار وينهبون تجاراتهم وبيوعهم وأموالهم.

وأما في الناحية الإدارية، فإن الموقف الذي اتخذته أهل الشام من العباسيين بخروجهم عليهم بعد دخولهم الشام، وموقع الشام القريب من البيزنطيين، دفع العباسيين الى الإهتمام بإدارة هذه البلاد، فاعتنوا بالأجناد الشامية وأحدثوا تغييرات فيها تبعاً لحاجة الدولة الإدارية والعسكرية، كما أنهم بنوا المدن في الشام وحصنوا الثغور الشامية، وأشرف الخلفاء بأنفسهم على الشام، فكانوا يزورونها بين فترة وأخرى أو يرسلون من ينوب عنهم.

وقد نفذ كثيراً من هذه الضوابط الإدارية ولاية أكفاء إختارهم الخلفاء العباسيون من أبناء أسرهم ومن كبار قادتهم، حتى يضمنوا ولائهم ويستطيعوا السيطرة على الشام.

وقد أصبحت النظم الإدارية في بلاد الشام في العصر العباسي تابعة للإدارة العليا في العراق، وقد شارك أهل الشام في النظام الإداري العباسي وفي إدارة بلاد الشام، فظهر عدد كبير منهم كقضاة وولاة ووزراء وكتاب دواوين وغير ذلك.

وأخيراً يمكن القول أن بلاد الشام - التي أصبحت في العصر العباسي ولاية تابعة لمركز الدولة العباسية في العراق - وبرغم موقفها من العباسيين فإنها لقيت عناية واهتمام وإشراف الخلفاء العباسيين وقادتهم وولايتهم في جميع النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية. وبالطبع فإن هذا الاهتمام لا يعادل ذلك الذي تحقق لهم في الدولة الأموية التي اتخذت من الشام مركزاً للحكم.

قائمة المصادر والمراجع

- أ- المصادر العربية المخطوطة
- ب- المصادر العربية المطبوعة
- ج- المراجع العربية الحديثة
- د- المراجع الاجنبية المترجمة
- هـ- المراجع الاجنبية غير المترجمة
- و- المؤتمرات
- ز- الدوريات
- ح- الموسوعات

أ- المصادر العربية المخطوطة

- ١- ابن أبي الدم، إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٦٤٢هـ/١٢٤٤م): الشماريخ في التواريخ، ميكروفيلم في مكتبة الجامعة الأردنية، مركز الوثائق والمخطوطات، رقم (٥٤٣)، مصور عن مخطوطة في مكتبة بودليان، إكسفورد، مجموعة مارش.
- ٢- ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م): مورد اللطافة في ذكر من ولي السلطنة والخلافة، ميكروفيلم في مكتبة الجامعة الأردنية، مركز الوثائق والمخطوطات، رقم (١٠٠)، مصور عن مخطوطة في جامعة برننتسون تحت رقم (٥٩٧) مجموعة جاريت.
- ٣- ابن حمدون، محمد بن الحسن بن علي (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م): التذكرة، ج١٢، ميكروفيلم في مكتبة الجامعة الأردنية، مركز الوثائق والمخطوطات، رقم (٦٠٩)، مصور عن مخطوطة في AHMET III، رقم (12-2948).
- ٤- ابن رأس غنمة، أبو الوليد، إسماعيل الأشبيلي (ت بعد ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): مناقل الدرر ومنابت الزهر، مخطوطة جستربريتي رقم (٤٢٥٤)، لدى الدكتور محمد عيسى صالحية.
- ٥- ابن عساكر، أبو القاسم، علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م): تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها، ١٨ مجلد، مخطوطة مصورة عن نسخة المكتبة الظاهرية، دمشق، كمل نقصها من النسخ الأخرى بالقاهرة ومراكش واستنبول، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، د.ت.
- ٦- البلاذري، أبو الحسن، أحمد بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م): أنساب الأشراف، ج٣، مخطوطة مصورة عن مخطوطة الخزانة الملكية، الرباط، رقم (٢٥١٨)، لدى الدكتور محمد عيسى صالحية.
- ٧- السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م): مناهل الصفا في تاريخ الخلفاء، ميكروفيلم في مكتبة الجامعة الأردنية، مركز الوثائق والمخطوطات تحت رقم (٦٦٤)، مصور عن مخطوطة في المكتبة الملكية، الرباط، الخزانة العامة، رقم (١٣٣٦).

- ٨- مؤلف مجهول، أخبار الدول أو أخبار الزمان في تاريخ بني العباس، ميكروفيلم في مكتبة الجامعة الأردنية، مركز الوثائق والمخطوطات، تحت رقم (٣٠٢).
- ٩- مؤلف مجهول (ت القرن ١١هـ/١١م) تاريخ الخلفاء، قام بنشر النسخة المصورة وكتابة المقدمة بطرس غريازنيويج، عني بالفهارس ميخائيل بيوتروفسكي، وبطرس غريازنيويج، دار العلم وإدارة التحرير للآداب الشرقية، موسكو، د. ت.
- ١٠- مؤلف مجهول، تاريخ الخلفاء والسلطين، ميكروفيلم في مكتبة الجامعة الأردنية، مركز الوثائق والمخطوطات، رقم (٥٦٢) مصور عن مخطوطة في مكتبة بودليان، اكسفورد تحت رقم (٢٤٠) مجموعة مارش.
- ١١- مؤلف مجهول، تاريخ الدولة العباسية، ميكروفيلم في مكتبة الجامعة الأردنية، مركز الوثائق والمخطوطات تحت رقم (٤١) مصور عن مخطوطة في المتحف البريطاني رقم (١٣٣١٣).

ب- المصادر العربية المطبوعة

- ١٢- الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت ٨٥٠هـ/١٤٤٦م): المستطرف في كل فن مستظرف، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٥٢.
- ١٣- ابن أبي حاتم الرازي. عبد الرحمن بن محمد (ت ٣٢٧هـ/٩٣٨م): الجرح والتعديل، ٩ أجزاء، دار الأمم للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٢.
- ١٤- ابن أبي الحديد. عز الدين أبو حامد عبد الحميد (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م): شرح نهج البلاغة، ٥ أجزاء، تحقيق حسن تميم، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٣.
- ١٥- ابن أبي حفصة، مروان بن سليمان بن يحيى (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م): ديوانه، جمع وتحقيق حسين عطوان، دار المعارف، القاهرة، ط٣، د. ت.
- ١٦- ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، ١٠ أجزاء، مراجعة وتعليق نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٨٠.

- ١٧- _____: اللباب في تهذيب الأنساب، ٣ أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠.
- ١٨- ابن أعثم، أبو محمد الكوفي (ت ٣١٤هـ/٩٢٦م): الفتوح، ٨ أجزاء، دار الندوة الجديدة، بيروت، د.ت.
- ١٩- ابن باطيش، إسماعيل (ت ٦٥٥هـ/١٢٥٧م): التمييز والفصل بين المتفق في النقط والخط والشكل، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، د.م، ١٩٨٣.
- ٢٠- ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف أبو المحاسن (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصورة عن طبعة دار الكتب، ١٦ جزء، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣.
- ٢١- ابن حبيب البغدادي، أبو جعفر محمد (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م): المحبر، تصحيح إيلزه ليختن شتيتز، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.
- ٢٢- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل (ت ٨٠٢هـ/١٤٤٩م): رفع الأصر عن قضاة مصر، ٢، تحقيق حامد عبد الحميد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦١.
- ٢٣- ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن محمد (ت ٨٣٧هـ/١٤٣٤م): ثمرات الأوراق في المحاضرات، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٠٢، (بهامش كتاب الأبشيهي: المستطرف).
- ٢٤- ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م): جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط ٥، ١٩٨٢.
- ٢٥- _____: رسالة أسماء الخلفاء وذكر مددهم، ضمن رسائل ابن حزم، ج ٢، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١.
- ٢٦- ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م): صورة الأرض، دارمكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

- ٢٧- ابن خرداذبه، أبو القاسم عبد الله (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م): المسالك والممالك، عناية م. ج. دي جويه، مطابع بريل، ليدن، ١٨٨٩.
- ٢٨- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م): العبر وديوان المبتدأ والخبر وأيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٧ أجزاء، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨١.
- ٢٩- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨ أجزاء، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧.
- ٣٠- ابن دريد، أبو بكر محمد (ت ٣٢١هـ/٩٣٢م): الإشتقاق، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، د.ت.
- ٣١- ابن الدمياطي، أحمد بن أبيك (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م): المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار، تحقيق قيصر أبو فرح، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
- ٣٢- ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر، (ت اوائل القرن ٤هـ/١٠م): الأعلاق النفيسة، مطابع بريل، ليدن، ١٩٦٧.
- ٣٣- ابن رسول، عمر بن يوسف (ت ٦٩٦هـ/١٢٩٦م): طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تحقيق ك. و. سترستين، مطبعة الترقى، دمشق، ١٩٤٩.
- ٣٤- ابن زيد الحنبلي، حمد بن محمد (ت ٨٧٠هـ/١٤٦٥م): محاسن المساعي في مناقب الأوزاعي، تحقيق وتعليق عبد الله عمر البارودي، دار الجنان للطباعة والنشر، د. م. ١٩٨٥.
- ٣٥- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م): الطبقات الكبرى، ٩ أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٩٥٨.
- ٣٦- ابن سلام، أبو عبيد (ت ٢٢٤هـ/٨٣٨م): الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، إدارة إحياء التراث الإسلامي. قطر، د.ت.
- ٣٧- ابن الشحنة، أبو الفضل محمد (ت ٨٩٠هـ/١٤٨٥م): الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، دار الكتاب العربي وعالم التراث، دمشق، ١٩٨٤.

- ٣٨- ابن شداد، أبو عبد الله الحلبي (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م): الأعلام الخطيرة في ذكر
أمراء الشام والجزيرة، جزءان، نشر المعهد الفرنسي للدراسات العربية،
دمشق، حاق ١ تحقيق دومينيك سورديل، ١٩٥٣، ج ٢ ق ٢ تحقيق سامي
الدهان، ١٩٥٦.
- ٣٩- ابن طاهر المقدسي، مطهر (ت ٣٥٥هـ/٩٦٦م): البدء والتاريخ، ٦ أجزاء، مكتبة
المثنى، بغداد، د.ت.
- ٤٠- ابن طباطبا، محمد بن علي (ت ٧١٠هـ/١٣١٠م): الفخري في الآداب السلطانية
والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ٤١- ابن طيفور، أحمد بن طاهر (ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م): كتاب بغداد، مكتب نشر
الثقافة الإسلامية، د. م، ١٩٤٩.
- ٤٢- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م): العقد الفريد،
تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر، القاهرة، د.ت.
- ٤٣- ابن العبري، غريغوريوس (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م): تاريخ مختصر الدول، دار
المسيرة، بيروت، د.ت.
- ٤٤- ابن العديم، كمال الدين عمر (ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م): بغية الطلب في تاريخ حلب،
تحقيق سهيل زكار، د. ن، دمشق، ١٩٨٨.
- ٤٥- ———: زبدة الطلب من تاريخ حلب، ٣ أجزاء، تحقيق سامي الدهان،
المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٥١-١٩٦٨.
- ٤٦- ابن عساكر، أبو القاسم، علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م): تاريخ مدينة
دمشق ، ٣٨م ، من عبد الله بن قيس -عبدالله بن مسعدة، وم. ٤٠، من
عبد الحميد بن حبيب -عبد الرحمن بن عبدالله، و ج٣٩، من عبدالله بن
مسعود -عبد الحميد بن بكار، تحقيق سكيئة الشهابي، مجمع اللغة العربية،
دمشق، ١٩٨٦، و ج٣٤، من عبدالله بن سالم -عبدالله بن أبي عائشة، تعليق
مطاع الطرابيشي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٦، م تراجم النساء،
تحقيق سكيئة الشهابي، نشر دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦، م عبادة بن أوفى -
عبدالله بن ثوب، تحقيق روحية النحاس، وشكري فيصل، ورياض مراد، نشر
مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٢.

- ٤٧- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ/١٦٨٧م):
شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨ أجزاء، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار
ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٩٨٨.
- ٤٨- ابن العمراني، محمد بن علي (ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م): الأنباء في تاريخ الخلفاء،
تحقيق قاسم السامرائي، نشر المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث
العربية، القاهرة، ليدن، ١٩٧٣.
- ٤٩- ابن الفقيه الهمداني، أبو بكر أحمد (ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م): مختصر كتاب
البلدان، عناية م. ج. دي جويه، مطابع بريل، ليدن ١٩٦٧.
- ٥٠- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م): الإمامة
والسياسة، جزءان، تحقيق طه الزيني، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٧.
- ٥١- _____: الشعر والشعراء، جزءان، تحقيق محمد محمود شاكر، دار
المعارف، مصر، د.ت.
- ٥٢- _____: عيون الأخبار، ٤ أجزاء، المؤسسة المصرية العامة للتأليف
والترجمة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، د.ت.
- ٥٣- _____: المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، دار الكتب، مصر، ١٩٦٠.
- ٥٤- ابن قدامة المقدسي، عبد الله (ت ٦٢٠هـ/١٢٢٣م): كتاب التوابين، تحقيق
جورج المقدسي، نشر المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٦١.
- ٥٥- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية في
التاريخ، ١٤ جزء، تحقيق أحمد أبوملحم، مهدي ناصر الدين، علي عطوي،
فؤاد السيد، علي عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٩٨٧.
- ٥٦- ابن الكلبي، هشام (ت ٢٠٤هـ/٨١٦م): جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن، دار
عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦.
- ٥٧- ابن ماكولا، أبو نصر، علي بن هبة الله (ت ٤٧٥هـ/١٠٨٢م): الإكمال في رفع
الترتيب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ٧ أجزاء، نشر
محمد أمين دمج، بيروت، ١٩٦٢، ١٩٦٥.
- ٥٨- ابن المبرد، جمال الدين يوسف (ت ٩٠٩هـ/١٥٠٣م): رسائل دمشقية، تحقيق
صلاح محمد الخيمي، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٨.

- ٥٩- ابن المعتز، عبد الله (ت ٢٩٦هـ/٩٠٨م): طبقات الشعراء، تحقيق عبد السلام أحمد فراج، دار المعارف، مصر، ط ٢، د.ت.
- ٦٠- ابن المقفع، عبد الله بن زوربه (ت ١٢٩هـ/٧٥٦م): "رسالة في الصحابة"، تصنيف محمد كرد علي، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط ٤، ١٩٥٤، (ضمن رسائل البلغاء).
- ٦١- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب المحيط، ترتيب يوسف خياط، نديم مرعشلي، دار لسان العرب، د.م، د.ت.
- ٦٢- ابن النجار، أبو عبد الله محمد البغدادي (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م): ذيل تاريخ بغداد، بيروت، د.ت.
- ٦٣- ابن الوردي، زين الدين عمر (ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩م): تتمة المختصر في أخبار البشر، ويعرف بتاريخ ابن الوردي، جزءان، تحقيق أحمد رفعت البدرائي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٠.
- ٦٤- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٢٨هـ/٨٤٢م): ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عزام، دار المعارف، مصر، ط ٤، د.ت.
- ٦٥- أبو حنيفة الدينوري، أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م): الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠.
- ٦٦- أبو دلامة الاسدي، زند بن الجون (ت ١٦١هـ/٧٧٧م): ديوانه، جمع رشدي علي حسن، دار عمار، الاردن، ومؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥.
- ٦٧- أبو زرعة الدمشقي، عبد الرحمن بن عمرو النصري (ت ٢٨١هـ/٨٩٤م): تاريخ أبي زرعة الدمشقي، جزءان، دراسة وتحقيق شكر الله نعمة الله القوجاني، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٠.
- ٦٨- أبو عطاء السندي، أفلح بن يسار (ت ١٥٧هـ/٧٧٣م): ديوانه، تحقيق نبي بخش بلووس، نشر لجنة إحياء الأدب السندي، حيدر آباد، باكستان، ١٩٦١.
- ٦٩- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م): المختصر في أخبار البشر، ٤ أجزاء، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ١٩٠٧.
- ٧- _____: اليواقيت والخرب في تاريخ حلب، تحقيق محمد كمال وفالح البكور، دار القلم العربي، حلب، ١٩٨٩.

- ٧١- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م): كتاب الخراج، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٩٧٢.
- ٧٢- الأربلي، عبد الرحمن بن قنيتو (ت ٧١٧هـ/١٣١٧م): خلاصة الذهب المسبوك "مختصر من سير الملوك"، طبع وتصحيح مكي السيد جاسم، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.
- ٧٣- الأزدي، أبو زكريا يزيد بن محمد (ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م): تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، لجنة إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٦٧.
- ٧٤- الإصطخري، أبو إسحاق (ت ٣٤٠هـ/٩٥١م): مسالك الممالك، عناية، م. ج. دي جويه، مطابع بريل، ليدن ١٩٦٧.
- ٧٥- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م): كتاب الأغاني، تحقيق مجموعة من العلماء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- ٧٦- _____: مقاتل الطالبين، تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٩.
- ٧٧- الأصفهاني، حمزه بن الحسين (ت ٣٦٠هـ/٩٧٠م): تاريخ سني ملوك الارض والانبيا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- ٧٨- البخاري، أبو عبد الله بن إسماعيل (ت ٢٠٦هـ/٨٦٩م): التاريخ الصغير، م٢، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦.
- ٧٩- البسوي، أبو يوسف يعقوب (ت ٢٧٧هـ/٨٩٠م): المعرفة والتاريخ، ٢ أجزاء، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١.
- ٨٠- بشار بن برد (ت ١٦٨هـ/٧٧٣م): ديوانه، ٣ تحقيق وجمع وشرح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، نشر الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٦.
- ٨١- البشاري المقدسي، شمس الدين محمد (ت ٣٨٧هـ/٩٩٥م): أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، عناية م. ج. دي جويه، مطابع بريل، ليدن ١٩٦٧.
- ٨٢- البكري، أبو عبيد عبد الله (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ٤ أجزاء، تحقيق مصطفى السقا، دار عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣.

- ٨٣- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م): أنساب الأشراف، ج٣، تحقيق محمد باقر المحمودي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، د. ت، ج٥، تحقيق جوايتين، القدس، ١٩٣٦، ق ٣ تحقيق عبد العزيز الدوري، نشر فرانكس شتاينر، بيروت، ١٩٨٧.
- ٨٤- ———: فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨.
- ٨٥- التنوخي، أبو علي، الحسن (ت ٢٨٤ هـ / ٩٩٤م): الفرج بعد الشدة، ٥ أجزاء، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨.
- ٨٦- ———: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ٨ أجزاء، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧١.
- ٨٧- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م): تحفة الوزراء، تحقيق حبيب الراوي وابتسام الصفار، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٧.
- ٨٨- الجارمي، أبو المعالي المؤيد، (ت أوائل القرن ٧هـ/١٣م): نكت الوزراء، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود، لجنة إحياء التراث العلمي العربي، بغداد، ١٩٨٤.
- ٨٩- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م): البرصان والعرجان والعميان والحوLAN، تحقيق عبد السلام هارون، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢.
- ٩٠- ———: البيان والتبين، ٤ أجزاء، تحقيق عبد السلام هارون ، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، ط٤، د. ت.
- ٩١- ———: التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٤، (منسوب إليه).
- ٩٢- ———: رسالة العثمانية، ضمن رسائل الجاحظ السياسية، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٧.
- ٩٣- ———: رسالة فضل هاشم على عبد شمس، ضمن رسائل الجاحظ السياسية، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٧.
- ٩٤- الجهشياري، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ/٩٤٢م): الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى الحلبي وأولادة، القاهرة، ١٩٣٨.

- ٩٥- الحازمي، محمد بن أبي عثمان (ت ٥٨٤هـ/١١٨٨م): عجالة المبتدى وفضالة المنتهى في النسب، تحقيق عبد الله كنون، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٦٥.
- ٩٦- الحميري، محمد عبد المنعم (ت ٧٠٠هـ/١٣٠٠م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤.
- ٩٧- الحميري، نشوان (ت ٥٧٣هـ/١١٧٧م): ملوك حمير وأقيال اليمن، تحقيق السيد إسماعيل وإسماعيل الجرافي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٩٧٨.
- ٩٨- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م): تاريخ بغداد، ١٤ جزء، دار الكتاب العربي، د.ت.
- ٩٩- خليفة بن خياط، أبو عمرو العصفري (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م): تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار القلم، دمشق، بيروت، ومؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٧٧.
- ١٠٠- _____: طبقات خليفة بن خياط، جزءان، تحقيق سهيل زكار، مطابع وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٦٦.
- ١٠١- الخولاني، عبد الجبار أبو علي (ت ٣٦٥هـ/٩٧٥م): تاريخ داريا ومن نزلها من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، تحقيق سعيد الافغاني، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤.
- ١٠٢- دعبل بن علي، أبو علي بن رزين الخزاعي (ت ٢٤٦هـ/٨٦٠م): ديوانه، جمع وتحقيق عبد الصاحب الدجيلي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٧٣.
- ١٠٣- ديك الجن الحمصي، عبد السلام بن رغبان (ت ٢٣٥هـ/٨٣٦م): ديوانه، جمع وتحقيق مظهر الحجري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٧.
- ١٠٤- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م): أسماء الذين راموا الخلافة، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٢، ١٩٧٨.
- ١٠٥- _____: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث (١٢١-١٤٠هـ) و (١٤١-١٦٠هـ)، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٨.

- ١٠٦- ———: دول الإسلام، جزءان، نشر جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر
أباد، ط٢، ١٩٤٧.
- ١٠٧- ———: سير أعلام النبلاء، ٢٣ جزء، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت،
ط٣، ١٩٨٥، ج٥ تحقيق شعيب الأرنؤوط، ج٦ تحقيق حسين الأسد، ج٧
تحقيق علي أبو زيد، ج٨ تحقيق نذير حمدان، ج٩ تحقيق كامل الخراط، ج١٠
تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ج١١ تحقيق صالح السمر.
- ١٠٨- ———: العبر في خبر من غبر، ٤ أجزاء، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد
بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.
- ١٠٩- ربعة بن ثابت بن العيزار الرقي (ت ١٩٩هـ/٨١٤م): ديوانه، جمع وتحقيق
يوسف بكار، دار الاندلس، ط٤، ١٩٨٤.
- ١١٠- الزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م): الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي العاني،
مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢.
- ١١١- ———: جمهرة نسب قریش وأخبارها، تحقيق محمد محمود شاكر،
مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٣٨١هـ.
- ١١٢- الزبير، أبو عبد الله المصعب (ت ٢٣٦هـ / ٨٥٠م): كتاب نسب قریش،
تعليق ونشر ليفي برونفسال، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٥٣.
- ١١٣- السدوسي، مؤرج بن عمرو (ت ١٩٥هـ/٨١٠م): حذف من نسب قریش، مكتبة
دار العروبة، القاهرة، د.ت.
- ١١٤- السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م): الأنساب، ١٠ أجزاء،
تحقيق عبد الرحمن اليماني، نشر محمد أمين دمج، بيروت، ١٩٨٥.
- ١١٥- السيوطي، أبو عبد الله محمد (ت ٨٨٠هـ/١٤٧٥م): إتحاف الاخصا بفضائل
المسجد الأقصى، تحقيق أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
القاهرة، ١٩٨٢.
- ١١٦- السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م): تاريخ الخلفاء، دار الكتب
العلمية، بيروت، ١٩٨٨.
- ١١٧- الصابى، أبو الحسن بن هلال (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م): رسوم دار الخلافة، تحقيق
ونشر ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٤.

- ١١٨- ———: الهفوات النادرة، تحقيق صالح الأشتري، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق. ١٩٦٧.
- ١١٩- صفى الدين البغدادي، عبد المؤمن (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م): مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٥.
- ١٢٠- الصولي، أبو بكر، محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م): أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم من كتاب الأوراق، نشر ج. هورث، دار المسيرة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٩.
- ١٢١- الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك، ١٠ أجزاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٩٦٤.
- ١٢٢- العامري، يحيى بن أبي بكر اليماني (ت ٨٩٣هـ/١٤٨٨م): غربال الزمان في وفيات الأعيان، دار الخير للنشر، دمشق، ١٩٨٥.
- ١٢٣- عبد الحميد الكاتب (ت ١٣٢هـ/٧٥٠م): رسالة إلى فرق العرب، ضمن رسائل البلغاء، تصنيف محمد كرد علي، نشر لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٥٤.
- ١٢٤- العسكري، أبو هلال، الحسن (ت ٤٠٠هـ/١٠٠٩م): الأوائل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.
- ١٢٥- العليمي، مجير الدين أبو اليمن الحنبلي (ت ٨٦٠هـ/١٤٥٥م): الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، جزءان، مكتبة المحتسب، عمان، ١٩٧٣.
- ١٢٦- قدامة بن جعفر (ت ٣٢٩هـ/٩٠م): الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١.
- ١٢٧- القزويني، زكريا بن محمود (ت ٦٨٢هـ/١٢٨١م): أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ١٢٨- القشيري، أبو علي محمد بن سعيد الحرّاني (ت ٣٣٤هـ/٨٤٨م): تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم والتابعين والفقهاء والمحدثين، تحقيق طاهر النعسلي، د. ن، دمشق، د.ت.
- ١٢٩- القلعي، أبو عبد الله محمد (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، تحقيق إبراهيم يوسف مصطفى عجو، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٥.

- ١٣- القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ١٤ جزء، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الفكر للثقافة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧.
- ١٣١- ———: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ٣ أجزاء، تحقيق عبد الستار فراج، دار عالم الكتب، بيروت، د.ت.
- ١٣٢- ———: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩.
- ١٣٣- الكرديزي، أبو سعيد عبد الحي، (ت أواسط القرن ٥هـ/١١م): زين الأخبار، تعريب محمد بن تاوويت، مطبعة محمد الخامس الجامعية، فاس، ١٩٧٢.
- ١٣٤- الكندي، أبو عمر يوسف (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م): كتاب الولاة وكتاب القضاة، تهذيب وتصحيح، رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨.
- ١٣٥- المالقي، علي بن محمد (ت ٦٠٥هـ/١٢٠٨م): الحقائق الغناء في أخبار النساء، تحقيق عائدة الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، د.ت.
- ١٣٦- المبرد، أبو العباس محمد (ت ٢٨٥هـ/٨٩٨م): التعاوي والمراثي، تحقيق محمد الديباجي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٦.
- ١٣٧- ———: الكامل في اللغة والأدب، ٤ أجزاء، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ت.
- ١٣٨- المرزباني، محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م): معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار فراج، دار إحياء الكتب العربية، د.م، ١٩٦٠.
- ١٣٩- المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م): التنبيه والأشراف، تحقيق لجنة إحياء التراث، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١.
- ١٤٠- ———: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٥ أجزاء، تحقيق شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٠.
- ١٤١- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ/١٠٣١م): تجارب الأمم وتعاقب الهمم وذيله، ج١، عناية م. ج، دي جويه، مطابع بريل، ليدن، ١٨٧١، نشر مع كتاب العيون والحدائق.

- ١٤٢- المقرئزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م): السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤ أجزاء، ج١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٥٦.
- ١٤٣- الملوذي، عبد العزيز بن عبد الواحد (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م): نظم السلوك في ذكر الأنبياء والخلفاء والملوك، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٣.
- ١٤٤- المنبجي، أغابوس بن قسطنطين (ت منتصف القرن ٤ هـ/ ١٠ م): المنتخب من تاريخ المنبجي، انتخبه وحققه عمر عبد السلام التدمري، دار المنصور، طرابلس، ١٩٨٦.
- ١٤٥- مؤلف مجهول، (ت القرن ٤ هـ/ ١٠ م): أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية ودار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، ١٩٨١.
- ١٤٦- مؤلف مجهول، (ت في القرن ٤ هـ/ ١٠ م): العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ج٢، عناية م. ج، دي جويه، مطابع بريل، ليدن، ١٨٧٩.
- ١٤٧- مؤلف مجهول (من القرن ٣ هـ/ ٩ م): أخبار الدولة العباسية، وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، دار صادر، بيروت، ١٩٧١.
- ١٤٨- النديم، محمد بن إسحاق (ت ٣٧٧هـ/٩٨٥م): كتاب الفهرست، مكتبة خياط، بيروت، د.ت.
- ١٤٩- النمرى، منصور بن الزبرقان بن شريك (ت ١٩٠هـ/٨٠٥م): ديوانه، جمع وتحقيق الطيب العشاش، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، دار المعارف، دمشق، ١٩٨١.
- ١٥٠- النويري، شهاب الدين أحمد (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٤ جزء، الأجزاء من ١-١٨، المؤسسة المصرية العامة للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣، ج٢٢ تحقيق محمد جابر الحيني وإبراهيم مصطفى، نشر المجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤.

- ١٥١- الياقعي، عفيف الدين عبد الله (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، تحقيق عبد الله الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤.
- ١٥٢- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): المشترك وضعاً والمفترق صقلاً، نشر ويستنفلد، ليدن، ١٨٤٦.
- ١٥٣- _____: معجم البلدان، ٥ أجزاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩.
- ١٥٤- اليعقوبي، أحمد بن واضح (ت ٢٩٢هـ/٩٠٤م): البلدان، عناية م. ج. دي جويه، مطابع بريل، ليدن، ١٩٦٧، ضمن كتاب الأعلام النفيسة.
- ١٥٥- _____: تاريخ اليعقوبي، ٣ أجزاء، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ١٥٦- _____: مشاكلة الناس لزمانهم، تحقيق وليم ملورد، دار الكتاب الجديد، د. م، ١٩٦٢.

ج- المراجع العربية الحديثة

- ١٥٧- أبو حبيب، سعدي: مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢.
- ١٥٨- أبو خليل، شوقي: هارون الرشيد، دار الفكر، دمشق، ط ٣، ١٩٨١.
- ١٥٩- الأتليدي، محمد المعروف بدياب: إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، مكتبة محمد علي صبيح، مصر، د.ت.
- ١٦٠- أمين، أحمد: ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٧، د.ت.
- ١٦١- أمين، محمود: سلمية في خمسين قرناً، د. ن، د. م، ١٩٨٣.
- ١٦٢- بيضون، إبراهيم: الدولة الأموية والمعارضة، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٠.
- ١٦٣- _____: محاضرات في التاريخ السياسي للدولة العربية، مكتب كريدية إخوان، بيروت، ١٩٨٠.

- ١٦٤- بيطار، أمينة: الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام في العصر العباسي، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠.
- ١٦٥- التدمري، عمر عبد السلام: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الأيمان، طرابلس، ط٢، ١٩٨٤.
- ١٦٦- الجاسر، حمد: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، من ط-ي، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٩٧٧.
- ١٦٧- الجبوري، عبد الله: الأوزاعي، حياته وعصره، دار الرسالة، بغداد، ١٩٨٠.
- ١٦٨- جودة، صادق أحمد: مدينة الرملة منذ نشأتها حتى ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، دار عمار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦.
- ١٦٩- حبيبة، علي: دولة الأمويين، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ت.
- ١٧٠- —: العباسيون في التاريخ، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ت.
- ١٧١- حتامله، عبد الكريم: البنية الإدارية للدولة العباسية، جمعية عمال المطابع، عمان، ١٩٨٥.
- ١٧٢- حجاب، محمد نبيه: معالم الشعر وأعلامه في العصر العباسي الأول، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٧٣.
- ١٧٣- حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٧، ١٩٦٤.
- ١٧٤- حسن، علي إبراهيم: التاريخ الإسلامي العام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.
- ١٧٥- حسن، نبيله: تاريخ الدولة العباسية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٠.
- ١٧٦- —: في تاريخ الدولة العربية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٩.
- ١٧٧- —: تاريخ الشام في العصر الإسلامي، مكتبة كريدية اخوان، بيروت، د.ت.

- ١٧٨- الحصني، محمد: منتخبات التواريخ لدمشق، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩.
- ١٧٩- حمادة، محمد ماهر: الوثائق السياسية والإدارية للعصر العباسي الأول، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩.
- ١٨٠- حمادي، محمد جاسم: الجزيرة الفراتية والموصل، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٩٧٧.
- ١٨١- حمزة، نديم ثاييف: التنوخيون ودورهم في جبل لبنان، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٤.
- ١٨٢- الخازن، وليم: مظاهر الحضارة اللبنانية زمن الدولة العباسية، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٨٤.
- ١٨٣- الخضري، محمد: تاريخ الامم الإسلامية "الدولة العباسية"، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
- ١٨٤- خمّاش، نجدت: الشام في صدر الإسلام، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، ١٩٨٣.
- ١٨٥- الخوري، منير عيسى أسعد: تاريخ حمص، نشر مطرانية حمص الارثوذكسية، حمص، ١٩٨٤.
- ١٨٦- خير، صفوح: مدينة دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٩.
- ١٨٧- الدباغ، مصطفى: الموجز في تاريخ الدولة العربية وعهودها في فلسطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠.
- ١٨٨- دلو، برهان الدين: مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٥.
- ١٨٩- الدوري، عبد العزيز: العصر العباسي الأول، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٨٨.
- ١٩٠- الراوي، ثابت: تاريخ الدولة العربية، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٦.

- ١٩١- رفاعي، أحمد فريد: عصر المأمون، م١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٢٧.
- ١٩٢- الرئيس، محمد ضياء الدين: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار الأنصار، القاهرة، ط٤، ١٩٧٧.
- ١٩٣- الزرو، خليل داود: الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، دار الآفاق الجديدة، د. م، ١٩٧٤.
- ١٩٤- سالم، السيد عبد العزيز: تاريخ الدولة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، د. ت.
- ١٩٥- ———: تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٨٦.
- ١٩٦- ———: العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د. ت.
- ١٩٧- السامرائي، خليل إبراهيم: تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٨.
- ١٩٨- سرور، محمد جمال الدين: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، خلال القرن ٢٠١ هـ، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٦٦.
- ١٩٩- سليمان، حسين: الدولة الإسلامية في العصر العباسي، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٨٤.
- ٢٠٠- السودا، يوسف: تاريخ لبنان الحضاري، دار النهار للنشر، بيروت، ط٢، ١٩٧٩.
- ٢٠١- السويدي، أبو الفوز محمد: سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، دار إحياء العلوم، بيروت، د. ت.
- ٢٠٢- الشدياق، طنوس: أخبار الأعيان في جبل لبنان، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٠.
- ٢٠٣- شراب، محمد أحمد: معجم بلدان فلسطين، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ١٩٨٧.

- ٢٠٤- شعبان، محمد عبد الحي: تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧.
- ٢٠٥- —: الدولة العباسية (١٢٢-٤٤٨هـ)، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٦.
- ٢٠٦- شلبي، أحمد: التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٦٦.
- ٢٠٧- شلبي، سعد إسماعيل: الشعر العباسي "التيار الشعبي"، مكتبة غريب، الفجالة، د.ت.
- ٢٠٨- صكبان، جاسم: دراسات في التاريخ العربي، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٨٥.
- ٢٠٩- —: تاريخ الدولة العباسية، دن، د.م، د.ت.
- ٢١٠- طلس، محمد اسعد: تاريخ الامة العربية، "تاريخ الدولة العباسية" ١٣٢-٢٣٢هـ: دار الاندلس، بيروت، ١٩٦٠.
- ٢١١- العارف، عارف: تاريخ الحرم القدسي، دار الأيتام الإسلامية، القدس، ١٩٤٧.
- ٢١٢- عاقل، نبيه: خلافة بني أمية، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٩٧٥.
- ٢١٣- العاني، حسن: سياسة المنصور أبي جعفر الداخلية والخارجية، وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨١.
- ٢١٤- العبادي، أحمد مختار: في التاريخ العباسي والاندلسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١.
- ٢١٥- عبد القادر، حسن: أسماء المواقع الجغرافية في الأردن وفلسطين، منشورات اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر، عمان، ١٩٧٤.
- ٢١٦- العدوي، ابراهيم: الدولة الأموية، مكتبة الشباب، د.م، ١٩٨٨.
- ٢١٧- العش، يوسف: تاريخ عصر الخلافة العباسية، دار الفكر، دمشق، د.ت.
- ٢١٨- —: الدولة الأموية، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٨٥.
- ٢١٩- عطوان، حسين: الدعوة العباسية "تاريخ وتطور"، دار الجيل، بيروت، د.ت.

- ٢٢٠- —: الدعوة العباسية، "مبادئ وأساليب"، دار الجيل، بيروت، د.ت.
- ٢٢١- —: شعراء الدولتين الأموية والعباسية، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٨١.
- ٢٢٢- العلبي، أكرم حسن: خطط دمشق، دار الطباع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٨٩.
- ٢٢٣- علي، أحمد إسماعيل: تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي، دار دمشق للطباعة دمشق، ١٩٨٤.
- ٢٢٤- علي، حسن: دراسات في التاريخ العباسي، مكتبة الشباب، المنيرة، ١٩٨٩.
- ٢٢٥- عمر، فاروق: بحوث في التاريخ العباسي، دار القلم للطباعة، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧٧.
- ٢٢٦- —: تاريخ العراق في عصور الخلافة العربية الإسلامية (١-٦٥٦هـ): مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٨٨.
- ٢٢٧- —: الثورة العباسية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨.
- ٢٢٨- —: الخليفة المجاهد هارون الرشيد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩.
- ٢٢٩- —: طبعة الدعوة العباسية، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٠.
- ٢٣٠- —: العباسيون الأوائل، ج١، دار الارشاد، بيروت، ١٩٧٠.
- ٢٣١- غنيم، عبد العزيز: دور العباسيين في طلب الخلافة، دار الوفاء، القاهرة، ١٩٨٣.
- ٢٣٢- غوانمة، يوسف درويش: الحياة العملية والثقافية في الأردن في العصر الإسلامي، دن، د.م، ١٩٨٤.
- ٢٣٣- فروخ، عمر: تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، دار العلم للملايين، بيروت، ط٦، ١٩٨٣.

- ٢٢٤- فهد، بدري: الخليفة المغني إبراهيم بن محمد (١٦٢-٢٢٤هـ)، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٧.
- ٢٢٥- فهمي، عزيز: المقارنة بين الشعر الأموي والعباسي في العصر العباسي الأول، دار المعارف، مصر، د.ت.
- ٢٢٦- قدورة، زاهية: الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الاجتماعية في العصر العباسي الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٢.
- ٢٢٧- القره غولي، جهادية: العقلية العربية في التنظيمات الإدارية والعسكرية في العراق والشام خلال العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ): دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.
- ٢٢٨- كرد علي، محمد: الإسلام والحضارة العربية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، د.م، ط ٣، ١٩٦٨.
- ٢٣٩- —: خطط الشام، ٦ أجزاء، د.ن، بيروت، ط ٢، ١٩٦٩.
- ٢٤٠- الكروي، إبراهيم سليمان: نظام الوزارة في العصر العباسي الأول، شركة كاظمة للنشر، الكويت، ١٩٨٣.
- ٢٤١- ماجد، عبد المنعم: العصر العباسي الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٤.
- ٢٤٢- محمصاني، صبحي: الأوزاعي وتعاليمه الإنسانية والقانونية، دار العلم للملايين، بيروت، د.ت.
- ٢٤٣- مصطفى، شاكراً: دولة بني العباس، ج ١، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٣.
- ٢٤٤- مكي، محمد علي: لبنان من الفتح العربي إلى العثماني، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٧.
- ٢٤٥- الملي، محمد بركات: الدعوة العباسية "ثورة بني العباس على الخلافة الأموية"، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٨٦.
- ٢٤٦- نصر الله، حسن: تاريخ بعلبك، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٤.

٢٤٧- نويهض، عجاج: أبو جعفر المنصور وعروبة لبنان، دار الصحافة، بيروت، ١٩٦٢.

٢٤٨- الولي، طه: عبد الرحمن الأوزاعي "شيخ الإسلام وإمام أهل الشام"، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.

د- المراجع الأجنبية المترجمة:

٢٤٩- حتي، فيليب: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة كمال اليازجي، دار الثقافة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٢.

٢٥٠- —: مختصر تاريخ لبنان، ترجمة فؤاد جرجس نصار، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨.

٢٥١- سوفاجية، جان: دمشق الشام، تعريب فؤاد أفرام البستاني، دار الوارف، دمشق، ١٩٨٩.

٢٥٢- سيديو: خلاصة تاريخ العرب، ترجمة محمد أفندي بن أحمد بن عبد الرزاق والسيد الشرقاوي الشراشيمي، دار الآثار، بيروت، ط ٢، ١٩٨٠.

٢٥٣- شعبان، محمد عبد الحي: الثورة العباسية، ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي، دار الدراسات الخليجية، د.م، د.ت.

٢٥٤- علي، سيد أمير: مختصر تاريخ العرب، ترجمة عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، ١٩٦٧.

٢٥٥- فان فلوتن: السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمة إبراهيم بيضون، دار الحداثة، بيروت، د.ت.

٢٥٦- فلهوزن، يوليوس: تاريخ الدولة العربية، نقله عن الألمانية محمد عبد الهادي أبو ريده، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨.

٢٥٧- كاهن، كلود: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ترجمة بدر الدين القاسم، دار الحقيقة للنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٧٧.

٢٥٨- مرتضى، نظمي زاده: كلشن خلفا، نقله إلى العربية موسى كاظم نوري، المجمع العلمي العراقي، بغداد، د.ت.

٢٥٩- ويستنفلد، ف: جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية في أيامها وشهورها، ترجمة عبد المنعم ماجد وعبد الحسن رمضان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.

هـ- المراجع الاجنبية غير المترجمة

- 260- Hawting, G.R: The First Dynasty of Islam "The Umayyad Caliphate", Sowthern Illinots University Press, Carbondale and Edwardsville.
- 261- Kennedy, Hugh: The Early Abbasid Caliphate, Croom Helm, London, sydney, 1981.
- 262- Kennedy, Hugh: The Prophet and the Age of The Caliphates, "The Islamic Neareast from The Sixth To The Eleventh Century", Longman, London and New York, 1986.

و- المؤتمرات

١- البحوث العربية

- ٢٦٣- أبودية، سعد: العلاقات الاجتماعية في حالة قيس ويمن في العصر العباسي، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، بلاد الشام في العصر العباسي (١٣٢-٤٥١/٧٥٠-١٠٥٩م). لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٠، ص١-ص١٥.
- ٢٦٤- بدر، أحمد: فقهاء الشام في العصر العباسي الأول وعلاقتهم بالخلفاء العباسيين، مؤتمر تاريخ بلاد الشام الخامس، الجامعة الأردنية، ١٩٩٠، ص١-ص٢١.
- ٢٦٥- بيضون، ابراهيم: الشام والدعوة العباسية، مؤتمر بلاد الشام الخامس، الجامعة الأردنية، ١٩٩٠، ص١-ص٣٤.

- ٢٦٦- محمد دة صالح: المسيحية في أرض الشام أوائل الحكم الإسلامي، المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٤، ص ٥٤٩-٥٦٢.
- ٢٦٧- —: مواقع ومدن في جنوب الشام ودورها في العصر العباسي الأول، مؤتمر تاريخ بلاد الشام الخامس، الجامعة الأردنية، ١٩٩٠، ص ١-٢٣.
- ٢٦٨- خماش، نجدت: التنظيم الإداري في الشام (١٣٢-٣٥٨ هـ/٧٥٠-٩٦٨ م): مؤتمر تاريخ بلاد الشام الخامس، الجامعة الأردنية، ١٩٩٠، ص ١-٣١.
- ٢٦٩- الدوري، عبد العزيز: العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام، مؤتمر تاريخ بلاد الشام الثاني، الجامعة الأردنية، ١٩٧٤، ص ٢٥-٣٨.
- ٢٧٠- الزواهره، تيسير: طرق التجارة والحج في بلاد الشام في العصر العباسي، مؤتمر تاريخ بلاد الشام الخامس، الجامعة الأردنية، ١٩٩٠، ص ١-٣٣.
- ٢٧١- الصليبي، محمد: النقود في بلاد الشام في العهد العباسي ودورها الإعلامي، مؤتمر تاريخ بلاد الشام الخامس، الجامعة الأردنية، ١٩٩٠، ص ١-٣٢.
- ٢٧٢- طوقان، فواز: الحائر في العمارة الأموية الإسلامية، مؤتمر تاريخ بلاد الشام الثاني، الجامعة الأردنية، ١٩٧٤، ص ٦٩-١٣٨.
- ٢٧٣- عاقل، نبيه: بعض ملامح الأوضاع المالية والتجارية في فلسطين في العصر العباسي، مؤتمر تاريخ بلاد الشام الخامس، الجامعة الأردنية، ١٩٩٠، ص ١-٢٠.
- ٢٧٤- عياش، عبد القادر: مشاركة مدن الفرات في سوريا، مؤتمر بلاد الشام الثاني للتاريخ، الجامعة الأردنية، ١٩٧٤، ص ٢٥٥-٢٦٧.
- ٢٧٥- ناجي، عبد الجبار: نظرة في الأحوال الحضرية لبلاد الشام في العصر العباسي حتى نهاية القرن ٤ هـ/١٠ م، مؤتمر تاريخ بلاد الشام الخامس، الجامعة الأردنية، ١٩٩٠، ص ١-٣٢.
- ٢٧٦- يحيى، لطفي عبد الوهاب: مصدران بيزنطيان عن تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي، مؤتمر تاريخ بلاد الشام الخامس، الجامعة الأردنية، ١٩٩٠، ص ١-٢٦.

٢- البحوث الأجنبية

- 277- Fiey, Jean Maurice: The Syriac Population of the Thughur al-Shamiyya and the Awasim and its relation with the Byzantines and with the Muslims.

مؤتمر تاريخ بلاد الشام الخامس، الجامعة الأردنية، ١٩٩٠، ص ١-١١.

- 278- Schick, Robert: Christianity In The Patriarchate of Jerusalem In The Early Abbasid Period, A.D 750-813

مؤتمر تاريخ بلاد الشام الخامس، الجامعة الأردنية، ١٩٩٠، ص ١-٢٦.

- 279- Zeyadeh, Ali Hussein: Beisan, Acity From The Ninth century A.D.

مؤتمر تاريخ بلاد الشام الخامس، الجامعة الأردنية، ١٩٩٠، ص ١-٢٨.

ز- الدوريات العربية

- ٢٨٠- أمين، حسين: من تاريخ الدعوة العباسية، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، عدد ١٠، ١٩٧٩، ص ٩-٢٢.

- ٢٨١- بيضون، ابراهيم: ظاهرة الإصلاح السياسي في مطلع القرن ٢ هـ/٨ م، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، عدد ٢، ١٩٨٠، ص ٦٦-٧٠.

- ٢٨٢- بيطار، أمينة: الحياة الاقتصادية في بلاد الشام بين سنتي (١٣٢-٣٥٩هـ)، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، دمشق، عدد ٣، ص ١٢٣-١٥٦.

- ٢٨٣- التكريتي، بهجت كامل: ثورات بلاد الشام بين (٢١٨-٢٥٦هـ) دوافعها ونتائجها، مجلة المورد، بغداد، مجلد ٤، عدد ١، ١٩٧٥، ص ١٧-٢٨.

- ٢٨٤- جوزي، بندلي: حنين العرب إلى بني أمية، مجلة المقتطف، القاهرة، مجلد ٧٨، ج ٦، ١٩٣١، ص ٦٧٣-٦٧٩.

- ٢٨٥- _____: السفيناني، مجلة المقتطف، القاهرة، مجلد ٨٣، ج ١، ١٩٣٣، ص ٤٧-٥٤.

- ٢٨٦- حمادي، محمد جاسم: ثورة نصر بن شبيب العقيلي، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، عدد ١٨، ١٩٨١، ص ٢٧٠-٢٨٢.
- ٢٨٧- حمارنة، صالح: ثورة الفلاحين أيام المعتصم في فلسطين (٢٢٧هـ/٨٤٢م): مجلة أوراق، عمان، عدد ٤، ١٩٨١، ص ١١-١٨.
- ٢٨٩- الحيارى، مصطفى: حياة الناس في مدن الثغور، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، دمشق، عدد ٤، ١٩٨٠، ص ٨٥-٩٥.
- ٢٩٠- خريسات، محمد عبد القادر: البلقاء من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن ٣ هـ، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، دمشق، مجلد ٧، عدد ٢١-٢٢، ١٩٨٦، ص ٤٩-٧٠.
- ٢٩١- شعيرة، محمد عبد الهادي: تقسيمات اقليمية في العصر العباسي الأول، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية مجلد ٢، ١٩٤٤، ص ٨٥-١٠٢.
- ٢٩٢- عاقل، نبيه: بعض أحداث الدولة العباسية والدور العباسي الأول، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، دمشق، عدد ٤، ١٩٨١، ص ٦٣-٨٤.
- ٢٩٣- —: الدعوة العباسية، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، دمشق، عدد ١٣-١٤، ١٩٨٣، ص ٥١-٧٤.
- ٢٩٤- العبيدي، عبد الجبار: الإدارة في مطلع العصر العباسي الأول، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الكويت، مجلد ١٥، عدد ٣، ١٩٨٧، ص ٢٥٩-٢٨٥.
- ٢٩٥- العلوي، هادي: الإغتيال السياسي في الإسلام، مجلة دراسات عربية، بيروت، مجلد ٢٢، عدد ٤، ١٩٨٦، ص ٤٠-٧٢.
- ٢٩٦- عمر، فاروق: الجند الأموي والجيش العباسي، مجلة آفاق عربية، بغداد، عدد ٢، ١٩٧٩، ص ٢٤-٣٥.
- ٢٩٧- —: نصر بن شبيب العقيلي، مجلة العرب، الرياض، ج ٧، آذار، ١٩٧٢، ص ٦٠٢-٦٠٩.

- ٢٩٨- القاسمي، خالد: تاريخ الدواوين في العصور الإسلامية، مجلة تاريخ العرب والعالم، بيروت، عدد ٨٣-٨٤، ١٩٨٥، ص ٦٨-٧٥.
- ٢٩٩- مخزوم، محمد: الشام في صدر الإسلام، مجلة تاريخ العرب والعالم، بيروت، عدد ٧٠، ١٩٨٤، ص ٣٠-٣٩.
- ٣٠٠- مصطفى، مجاهد: أوهام وشبهات حول شعر العصر العباسي الأول، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، مجلد ٥، عدد ١٩، ١٩٨٥، ص ١٩٥-٢١٥.

ج- الموسوعات

- ٣٠١- عاقل، نبيه: فلسطين من الفتح العربي الإسلامي إلى أواسط القرن ٤ هـ/ ١٠م، الموسوعة الفلسطينية، ق ٢، الدراسات الخاصة، بيروت، ١٩٩٠، ص ٢٥٥-٣٤٧.
- ٢٩٧- غوانمة، يوسف درويش: التقسيمات الإدارية في مختلف العصور العباسية، الموسوعة الأردنية، ج ١، الأرض والإنسان، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٩، ص ٢٢٩-٢٤٠.